

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



التأثير الديني للمعبودات المصرية والفينيقية في بلاد المغرب القديم (دراسة مقارنة بين الإله آمون والإلهة تانيت)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (ل. م. د) في التاريخ
تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم

إشراف:
أ. د التجاني مياطه

إعداد الطالبة:
حكيمه شيحي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
السعيد شلالقه	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	رئيسا
التجاني مياطه	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	مشرفا ومقررا
عبد الحق بالنور	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	عضوا مناقشا
عمر بوصبيع	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي-	عضوا مناقشا
عبد الحميد بعبطيش	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
لخضر بن بوزيد	أستاذ تعليم عالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ / 2023-2024م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



**التأثير الديني للمعبودات المصرية والفينيقية في بلاد المغرب القديم
(دراسة مقارنة بين الإله آمون والإلهة تانيت)**

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (ل.م.د) في التاريخ
تخصص: تاريخ بلاد المغرب القديم

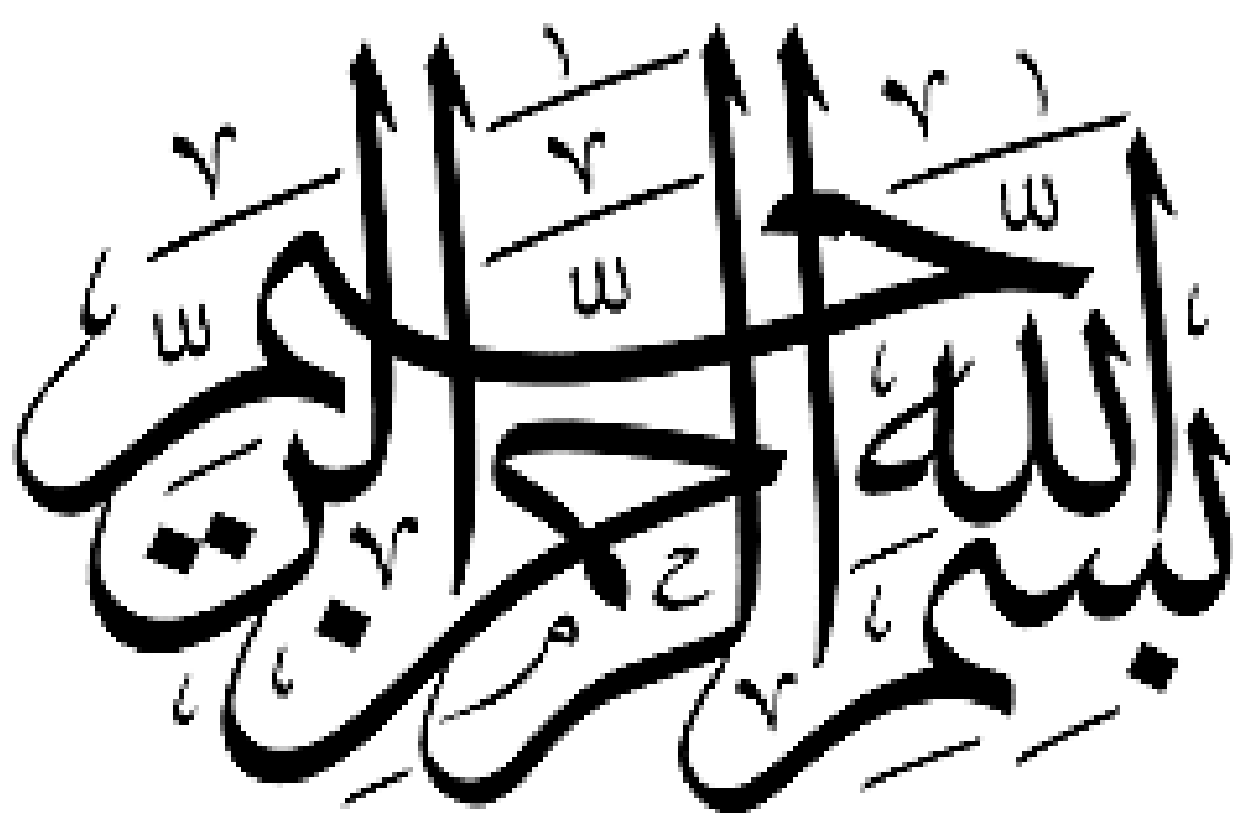
إشراف:
أ. د التجاني مياطه

إعداد الطالبة:
حكيمه شيحي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
السعيد شلالقه	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-	رئيسا
التجاني مياطه	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-	مشرفا ومقررا
عبد الحق بالنور	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-	عضوا مناقشا
عمر بوصبيع	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-	عضوا مناقشا
عبد الحميد بعيطيش	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
لخضر بن بوزيد	أستاذ تعليم عالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1444 - 1445هـ / 2023 - 2024م



مقدمة

كان للدين المكانة الأسمى عند شعوب العالم القديم لارتباطه بحياتهم اليومية، فجاء مرتبطاً بالطبيعة مباشرة، فالدين البدائي هو رد فعل ووسيلة يتقي بها الإنسان الخطر الذي قد يتعرض له في الطبيعة، وذلك من خلال التمسك بعقائد وأفكار تجعل لديه رد فعل دفاعي يقاوم به، ومما لا شك فيه أن الإنسان القديم قد اكتسب العديد من التجارب الطويلة التي مارسها خلال عمليات صراعه مع الطبيعة بقواها المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى قد اكتسب أيضاً العديد من التجارب المتوارثة مما هياً له إمكانية بداية التوصل إلى بعض الأصول الخاصة بتفسير ظواهر الحياة من حيث تكونها وغايتها نظراً لصعوبة العثور على الآثار الكافية اللازمة لذلك التفسير.

ويمكن القول بأن تطوره الفكري قد استغرق وقتاً طويلاً تدرج فيه إلى أن وصل فعلاً إلى ممارسة بعض التقاليد الدينية، فتصور أن الآلهة هي المسؤولة عن كل ما يحدث له، فهي المانحة والحامية والمدمرة والمسببة للأعاصير والمرسلة للرياح القوية، وهي جالبة للانتصارات ومسببة للهزائم، وهي من تختار الأسرة الحاكمة ومن يتولى العرش، وكان الملك أو الحاكم هو المنفذ لمشئته تلك الآلهة على الأرض وعلى البشر طاعتها طاعة تامة وإقامة الشعائر الدينية لها وترك بعض الآثار المعبرة عنها، وتركز تلك الآثار بصفة خاصة في الرسوم والنقوش التي تركها على جدران وأسقف الكهوف والمغارات التي كان يتخذها كمنازل هذا بالإضافة إلى عدد من التماثيل ذات الطبيعة الدينية والعديد من التماثيل الحجرية والصدفية والطينية التي وجدت بجانب المقابر ولم يقتصر اهتمام إنسان ما قبل التاريخ على ما يتصل بحياته الدنيوية، بل اتجه إلى توقيير بعض الأماكن

بدفن موته وتصل تلك المظاهر الدينية الأولى إلى مداها في العقيدة ابتداء من العصر الحجري القديم حتى العصر الحجري الحديث الذي يمثل مرحلة هامة للدخول للعصر التاريخي، والذي توصل فيه الإنسان القديم إلى مرحلة من التطور عن طريق الاستقرار وتطور فكره الديني، وهو نفس التطور الذي مر به إنسان بلاد المغرب القديم بمراحله الثلاثة، فالبدائية كانت بتقديس مظاهر الطبيعة، ثم الإيمان بالآخرة والبعث والحساب، ليصل إلى عبادة الآلهة.

باعتبار أن بلاد المغرب القديم مسرحا لتلاقي معتقدات وثقافات مختلفة بتلاقي أقوام وأعراق بشرية على أرضها هو ما جعل معتقدات سكان بلاد المغرب القديم تتشابه مع معتقدات الشعوب المجاورة كالمصريين والفينيقيين حيث تأثر سكان المنطقة بها، فعبدوا الكثير من المعبودات وتمسكوا بتقديسها وممارسة طقوسها حتى في وقت لاحق.

وتمثل الطقوس الدينية والجنائزية مصدرا أساسيا لدراسة الجانب الديني ببلاد المغرب القديم لانعدام الشواهد الكتابية المتعلقة بفترة ما قبل التاريخ وفجره، لأنها شواهد مادية ترتبط بمفاهيمه الدينية التي تسمح دراستها بالاطلاع على معتقداته إلا أن الاعتماد في دراسة تلك المعتقدات على الجانب المادي بمفرده قد يؤدي إلى الابتعاد عن الحقيقة وإعطاء صورة مغايرة عن المعتقدات الجنائزية لإنسان المنطقة، فالقصد بالطقوس الجنائزية كل ما يدخل ضمن دائرة التعامل مع الأموات، من حيث طرق الدفن ووضعيته، إلى جانب الأثاث الجنائزي وأماكن دفن الأموات ومجموع الأعمال المتعلقة بهم والتي يقوم بها الأحياء عن قصد وفي ذلك حفظ لمكانة الشخص حتى بعد موته.

كما تعد الأسطورة واقع ثقافي يمكن تناوله من جوانب متعددة ومتباينة وفهمها ليس مجرد فهم لمرحلة تاريخية، إنما هو تفكيك لآلية الوعي الأسطوري في فهم الإنسان لذاته وللعالم المحيط به، فهي تروي مغامرات الآلهة وعلاقاتها مع الإنسان من خلال إسهام بعض المتميزين من البشر في نسج الأحداث، والدخول في عالم الآلهة، حيث يتقاتلون ويتزاوجون فيما بينهم، فالإنسان سليل الآلهة والأبطال هم بشر أدركوا كيف يوقظوا الجانب الإلهي فيهم، ولم يكن للأسطورة أن تتجز كل ذلك لولا استخداماتها لمجموعة من التقنيات الخاصة كالسحر مثلاً ليكون وسيلة، القصد منها إجراء انعطافات في سير الأحداث، لتأتي موافقة لتطلعات هذا الإله أو ذاك، ليتبين -عبر ذلك كله- مدى حاجة كل منهما إلى الآخر فالآلهة تؤكد قوتها في مواجهة العجز البشري، والبشر يعلمون على تخطي ضعفهم من خلال اللجوء إلى قوة الآلهة عبر الخضوع لها.

وتتجلى أهمية الموضوع في اعتبار أن الدين عاملاً أساسياً من العوامل التي بنى عليها سكان بلاد المغرب القديم كل حياتهم، فقد كانوا يستشرون الآلهة في كل أمور حياتهم، إضافة إلى أهمية الدين في الحياة وعبر كل العصور، فالدين مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإطار الثقافي الذي وجد فيه.

وبما أن دراسة بلاد المغرب القديم من الجانب الديني خاصة علاقة التأثير والتأثر مع المعبودات المصرية والفينيقية التي أنتجت فكر ديني متطور لدى سكان المنطقة التي استغلها في التطور الحضاري بجميع مجالاتها التي تحتاج إلى جهد كبير وتركيز، وفي هذه الدراسة الموضوعية لهذا الموضوع ستوضح كيف كان تأثير المعبودات المصرية والفينيقية على بلاد المغرب القديم بشكل عام، والإله

آمون والإلهة تانيت بشكل خاص وهذا من خلال المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع.

ومن الأسباب الداعية لاختيار هذا الموضوع هي فهم الاختلافات الدينية القائمة بين سكان بلاد المغرب القديم ومصر وفينيقيا، وطرح الآراء المتناقضة في وجهات بين المختصين والباحثين القدامى والمحدثين في علاقة التأثير والتأثر في الفكر الديني بين الشعوب القديمة هذا بوجه عام، أما الوجه الخاص فيتمثل في مقارنة تأثير الإله آمون والإلهة تانيت على الفكر الديني على سكان المنطقة، وقد جاء اختيارهما لسببين: الأول لكون الإله آمون ذكر ومن أهم الآلهة التي عبدت في مصر القديمة، وتانيت لكونها أنثى ولمكانتها الهامة ضمن المعبودات الفينيقية، وباعتبارهما الأكثر شهرة لدى سكان بلاد المغرب القديم، فالهدف من ذلك التعرف على أيهما كان أكثر تأثيراً على الفكر الديني لسكان بلاد المغرب القديم، والسبب الثاني فهو مقارنة واستنتاج مدى تقبل سكان المنطقة لآلهة الأجنبي.

أما الأسباب الذاتية في اختيار هذا الموضوع، فترجع إلى ميولي الخاصة للغوص أكثر في خبايا الفكر الديني لإنسان بلاد المغرب القديم التي لاتزال الأجيال تتوارثها إلى يومنا هذا في شكل معتقدات شعبية، يضاف لهذا طبيعة عملي كأستاذة في مرحلة التعليم المتوسط وما يميز الفئة العمرية لتلاميذ مستوى سنة الأولى متوسط من حب الاطلاع والاستكشاف، حيث لمست عند تقديمي لعنصر "علاقات سكان شمال إفريقيا مع شعوب الجوار" خاصة الجانب الديني

اهتمام التلاميذ بهذا الموضوع ومحاولة مقارنته وإسقاطه على الموروث الحضاري والثقافي للمنطقة في وقتنا الحالي.

والهدف من هذه الدراسة التعرف على تأثير المعبودات المصرية والفينيقية على بلاد المغرب القديم بمقارنة تأثير الإله آمون والإلهة تانيت، والتطرق إلى الأساطير التي لعب فيها الإلهين دور البطولة، والقرايين والطقوس التي قدمت لهذين المعبودين سواء في مصر أو في فينيقيا وبلاد المغرب القديم.

ومحاولة جمع المصادر الأثرية كالنقوش التي تتناول هذا الموضوع وتحليلها ومقارنتها بمصادر والمراجع المؤرخين والباحثين المعاصرين.

إضافة دراسة جديدة إلى رصيد مراجع تاريخ بلاد المغرب القديم في الجانب الديني خلال الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأوسط إلى سقوط قرطاجة هذه الفترة التي تعاني من ندرة المصادر والمراجع، إضافة إلى التضارب الذي تعرفه المصادر حول هذا الموضوع، وتسهيل عمل من سيبحث فيه في وقت لاحق.

ويتمثل المنهج المتبع في إنجاز هذه الدراسة والإلمام بمختلف جوانبه هو المنهج التاريخي السردى والتحليلي المناسب لسرد الأحداث التاريخية والأساطير المتعلقة بالآلهة وطقوس عبادتها بتحليلها واستنتاج المغزى منها وتأثيرها على الفكر الديني لسكان بلاد المغرب القديم، أما المنهج المقارن فقد وظّف في مقارنة الأصل المحلي والأجنبي للإله آمون والإلهة تانيت، وأوجه التشابه والاختلاف والتكامل في تأثيرهما على بلاد المغرب القديم.

وفي رحلة البحث عن المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع لم أجد عمل يدرسه بهذا الشكل، وحتى إن وجدت كانت تدرسه بشكل ضمني مثل: كتابات المؤرخ هيرودوت وستيفان جزال ضمن معبودات المنطقة، وكتاب علي فهمي خشيم الذي ترجم فيه مجموعة من النصوص الإغريقية والرومانية، وفي كتابات محمد الهادي حارش ومحمد الصغير غانم، وعبد الحميد عمران أو على شكل مقالات مثل مصطفى الأعشي في مقاله (الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي)، ومن أهم الرسائل الجامعية الأقرب لهذا الموضوع نجد عبد الرحمان خلفه في الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م)، أو الصالح بن سالم في مقاله "عبادة الإله أمون الإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم".

إن موضوع الدراسة يتناول بلاد المغرب القديم في الفترة الممتدة من العصر الحجري القديم الأوسط (100.000-35000 ق.م)، والتي عرفت المنطقة فيه قيام الحضارة الموسترية والعاترية، وحتى سقوط قرطاجة (146 ق.م)، باعتبارها المدينة الهامة التي آلت إليها السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وسقوطها في يد الرومان يعني انتشار الآلهة الرومانية، وقد امتدت هذه المنطقة من مصر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً، يضاف لها بعض المناطق المجاورة لها.

لمعالجة موضوع الدراسة وبما أن تاريخ بلاد المغرب القديم يشكل محطة هامة لكثير من الدراسات وبمختلف اللغات نظراً لإبداعات العنصر البشري الذي سكنها، ولعل ما لفت اهتمام الباحثين ذلك الموروث الحضاري في الجانب الديني

للمنطقة في شتى صوره، ومن أبرز مظاهره تلك النقوش الأثرية والنصوص القديمة، والتي عالجت أفكار ومعتقدات دينية التي تأثرت به الكثير من المجموعات البشرية بها سواء كانوا الأصليين أو الوافدون التي استوطنت هذه المنطقة، وكما درست علاقة التأثير والتأثر بينها.

من هنا فإن الإشكالية الأساسية لدراسة الموضوع فقد طرحت كآتي:

- ما مدى تأثير المعبودات المصرية والفينيقية في بلاد المغرب القديم، وكيف أثرت هذه المعبودات في الفكر الديني لسكان المنطقة خاصة الإله آمون والإلهة تانيت؟

وقد تفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي:

- كيف نشأ الفكر الديني عند سكان بلاد المغرب القديم؟
- ما هي أهم المعبودات التي عبدها السكان، وهل هي محلية أم وافدة للمنطقة قادمة من الحضارات المجاورة لها والمتمثلة في الحضارة المصرية والحضارة الفينيقية؟

- كيف كانت عبادة الإله آمون والإلهة تانيت في المنطقة خلال العصور القديمة، ونظراً للتفاعلات التاريخية والتبادلات الدينية المصرية والفينيقية، ماهي أوجه التشابه والاختلاف بينها؟

- في ما يتجلى تأثير الإله آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم، وأيهما كان أكثر تأثيراً في الفكر الديني لسكان المنطقة؟

وللإجابة عن الإشكالية الأساسية للموضوع والتساؤلات المتفرعة عنها

وضعت خطة تتكون من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

وتجدر الإشارة إلى أن خلال دراستي للموضوع سأدرس المعتقدات بشكل منفصل، أما الطقوس والأساطير فقامت بدرستها بشكل ضمني لكثرتها.

فالفصل الأول جاء بعنوان "المعتقدات والطقوس لدى سكان بلاد المغرب القديم" وتم التطرق فيه إلى المعتقدات والطقوس الدينية للسكان الأصليين للمغرب القديم، بدراسة عبادة القوى الطبيعية والحيوانات والقوى الخفية والكواكب والبشر وكذلك المعتقدات في الحياة الثانية والطقوس الجنائزية المرتبطة بها.

أما الفصل الثاني "العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم ومصر" من خلال استكشاف التفاعلات والعلاقات التاريخية بين المغرب القديم ومصر، مع توثيق وجود الآلهة المصرية في المغرب القديم وبالعكس، مع التركيز على التوفيق الديني والتبادل الثقافي، إضافة إلى تحليل تأثير المعتقدات المصرية في الحياة الثانية، وممارسات تقديم الأضاحي، وطقوس الدفن.

وفي الفصل الثالث "العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم وفينيقيًا" بدراسة الوجود الفينيقي في المغرب القديم، ثم دراسة دور العلاقات الحضارية في تشكيل الممارسات الدينية، بالإضافة إلى توضيح تأثير الآلهة الفينيقية وطقوسها ومعابدها وعمارتها الدينية.

الفصل الرابع والأخير "الإله آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم (دراسة مقارنة من خلال المصادر التاريخية)"، وتم فيه تقديم روايات تفصيلية عن أساطير وأسماء، وأصول وصفات الإله آمون المصري وآمون الذي نسب أصله إلى بلاد المغرب القديم، ونفس الدراسة للإلهة الفينيقية تانيت، وتانيت التي عبدت في بلاد المغرب القديم، ثم وصف أماكن عبادتهما في بلاد المغرب القديم وأثرها

على الممارسات الدينية المحلية، لأصل إلى مرحلة تحليل مقارنة بإجراء تحليل مقارنة للتأثير الديني لآمون وتانيت في المغرب القديم، والتعرف على أوجه التشابه والاختلاف في عبادتهما وتأثيرهما على النظم العقائدية الأصلية في المنطقة وأيهما كان له التأثير الأكبر فيها.

أما الخاتمة قدمنا فيها النتائج الرئيسية للبحث من خلال الإجابة عن الإشكالية وما تفرع عنها من التساؤلات مطروحة حول الموضوع، كما أرفقت الرسالة بمجموعة من الملاحق في شكل صور وخرائط لتسهيل فهم الموضوع ولتوضيح بعض الأحداث الواردة في الدراسة.

تتنوع المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذه الدراسة، بين المصادر الدينية (الكتب المقدسة) والمصادر التاريخية الكتابية الكلاسيكية المكتوبة باللغة اللاتينية والإغريقية المترجمة، والمراجع (الدراسات الحديثة) المترجمة إلى العربية والتي تباينت فيها وجهات النظر نظراً لاختلاف عقيدة مؤلفيها (الإسلام، اليهودية، المسيحية) من جهة واختلاف توجهاتهم الإيديولوجية من جهة أخرى وهي كالتالي:

-الكتب المقدسة: حيث تم الاعتماد على التوراة، وهو يعتبر من أقدم المصادر التاريخية، باحتوائه على مجموعة من أخبار الشعوب.

-المصادر التاريخية:

هيرودوت "Hérodote": أشهر مؤرخي الإغريق، لقب بأبو التاريخ، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد قام بتدوين كل ما رآه وسمعه، يشمل مؤلفه

(التاريخ) في تسعة أجزاء، والذي ألفه في حوالي 444 ق.م تحدث في الجزء الرابع على بلاد المغرب القديم.

سترابون "Strabon": من أشهر الجغرافيين الإغريق ولد في القرن الأول قبل الميلاد له عدة مؤلفات أهمها: (كتاب الجغرافيا) الذي يتكون من 17 جزءاً والكتاب السابع عشر هو الذي تناول فيه ليبيا ومصر.

-المراجع: تتمثل الكتب المترجمة في: شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا الشمالية، ج1، ترجمة محمد مزالي، وجيهان ديزانج، "البربر الأصليون"، تاريخ إفريقيا العام، مج2، ترجمة جمال مختار، واستيفان أقزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التارزي سعود.

أما المراجع العربية فقد تم الاعتماد على عدة مؤلفات من أهمها مؤلفات محمد الصغير غانم مثل: محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، والمظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم.

ومجموعة من الرسائل الجامعية مثل: محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، ومها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، وعبد الرحمن خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146ق.م).

والمراجع الأجنبية:

فاللغة الإنجليزية:

-Dufresene (Isabelle.), le symbole de Tanit. Étude d'iconographie phénico-punique.

-Harden (d.), the Phoenicians.

واللغة الفرنسية:

-Delattre (R.p.), Nécropole punique de la colline de Sainte-Monique.

-Lipinski (Edward.), dieux et déesses de l'univers phénicien et punique.

مقالات والروايات باللغة الإسبانية:

-Ben Abid (Lamia.), "les scènes de sacrifice sur les stèles du tophet de Sousse".

-d'Andrea (Bruno.), Giardino (Sara.), "le tophet".

-Flaubert (Gustavo.), salambô, Tr. Bayo (ciro.).

والإيطالية:

-Le Glay (marcel.), "les religions de l'Afrique romaine au II siècle d'après Apulée et les inscriptions".

مصادر تاريخ بلاد المغرب القديم الخاصة بالجانب الديني قليلة ومبعثرة في طيات عدد هائل من مقتطفات النقوش الأثرية وفي الأطلال، وفي شذرات النصوص القديمة وبين العديد من التحقيقات الأثرية والمؤلفات الحديثة، يكتنفها الغموض وأكثرها دراسات وصفية متحيزة إلى وطن الكاتب (إغريق، رومان)، حيث اتفق جلهم على تسمية سكان بلاد المغرب القديم بالبربر (بربروس كلمة لاتينية تعني البعدين عن أطر الحضارة اللاتينية).

كما اعتمدت أغلب المصادر الكلاسيكية على الأساطير، ودرست الأحداث بمقياس المصادر الإغريقية الرومانية حيث ذكرت أحداث سابقة عنهم بآلاف السنين عن المغرب القديم دون ذكر مصادرهم (مثل هيرودوت)، وجهلها لغات

ولهجات الشعوب الذين كتبوا عنهم، ثم عدائهم للفينيقيين وتواجدهم بالمغرب القديم، فقد عمل الرومان على محو آثار الحضارة القرطاجية ومن خلالها الحضارة النوميديّة، حيث تم حرق معظم الكتب البونية، ولم يستثنى إلا ما خدم الرومان منها مثل كتاب ماغون حول الزراعة، وما يعاب على هذه المصادر السطحية وعدم الدقة في أخبارها.

تواجه أي باحث مجموعة من الصعوبات في إنجاز عمله، ولعل من أهمها:

- نقص المصادر الكتابية والمادية الخاصة بدراسة الفترة المدروسة، لاسيما ما تعلق بالعمارة الدينية مثل المعابد والأسوار والأثاث الجنائزي وتعرضها للتلف.
- اهتمام جُل الدراسات على الفترة الرومانية في بلاد المغرب القديم صعب مهمة دراسة الفترة السابقة لها.
- عدم الاتفاق بين ما تشير له المصادر الكتابية وما تثبته المصادر المادية من حيث الزمن مما يؤدي إلى صعوبة إنجاز البحث.
- وجود فترة غموض تاريخي بين نهاية العصر الحجري الحديث (النيوليتي) في منطقة بلاد المغرب القديم وبين نزول البحارة الفينيقيين على شواطئ بلاد المغرب القديم والذي غالبا ما يربط ببداية الفترة التاريخية في المنطقة.
- اتصاف المؤرخين القدامى الإغريق واللاتين الذين تناولوا تاريخ بلاد المغرب القديم في كتاباتهم بعدم الدقة والتحيز لشعوبهم في كثير من

الأحيان، مما يجعل الباحث يقف عاجزا عن تأويل وتفسير كثير من الأحداث التي أشار إليها هؤلاء الكتاب.

- في دراسة الأساطير تعترض الباحث صعوبات نتيجة عدة عوامل نذكر منها: النقص التي تعاني منه النصوص الأمر الذي صعب على المختصين عملهم في جمعها وترجمتها واستنتاج مدلولها، وجود كلمات معناها الأكيد غير واضح إلى اليوم لصعوبة استنباط مدلولها من خلال النص.

- في الدراسة القطع الأثرية الموجودة في متحف سيرا بقسنطينة، والتي تم جلبها من معبد الحفرة وجدت صعوبة في اختيار ما يخدم دراستي لكثرتها (750 نصب الجزء الأكبر منها للفترة البونية) خاصة نصب الإلهة تانيت، والتي يمكن أن تكون لها دراسة منفردة من طرف الباحثين في المستقبل.

- أما الصعوبات الذاتية تتمثل في صعوبة التوفيق بين العمل في مجال التعليم وما يترتب عنه من التزامات، والبحث العلمي الذي يتطلب التفرغ والصبر والمثابرة، وعدم الانقطاع في الإنجاز.

وفي الأخير أقدم شكري وتقديري لكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل أخص بالذكر مشرفي "أ. د التجاني مياطه" على ما قدمه من نصائح وتوجيهات وأسأتذتي الكرام بما قدموه من عبارات التشجيع والتحفيز بالإضافة إلى أعضاء اللجنة المناقشة لقبولها مناقشة عملي، وكل عمال المتحف العمومي الوطني سيرا

بقسنطينة على ما قدموه من تسهيلات في الدراسة الميدانية للقطع الأثرية التي
تخدم موضوع بحثي.

الفصل الأول

المعتقدات والطقوس الدينية لدى
سكان بلاد المغرب القديم

الفصل الأول: المعتقدات والطقوس الدينية لدى سكان بلاد المغرب القديم

تمهيد

أولاً: تقديس قوى الطبيعة والحيوانات والكواكب

ثانياً: عبادة البشر والطقوس الدينية والجنائزية

خلاصة الفصل

تمهيد

عرف إنسان بلاد المغرب القديم عدة مراحل في تطور فكره الديني* مثل ما مر به الإنسان في كافة أنحاء العالم القديم (الخريطة رقم 01 و 02 ص 405)

- * قبل الشروع في دراسة هذا الموضوع يجدر بنا تقديم شرح لبعض المصطلحات والمفاهيم، وهي كالآتي:
- الدين: يعرفه دراز محمد عبد الله على أنه العلاقة بين الطرفين، الأول خضوعا وانقيادا، والطرف الثاني سلطانا وحكما ورباط الجمع بينهما هو الدستور النظم لتلك العلاقة الذي يعبر عنه.
 - كما عرفه السواح فراس بأنه الأحاسيس والخبرات التي تعرض للأفراد في عزلتهم وما تقود إليه من تصرفات وتتعلق هذه الأحاسيس والخبرات بنوع من العلاقة، يشعر الفرد بقيامها بينه وبين ما يعتبره إلها.
 - **المعتقد**: هو الأمر الذي تصدق به النفوس، وتطمئن إليها القلوب ويكون يقينا عند أصحابها، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك فهو بذلك الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.
 - أما الجوهري محمد فيعرف المعتقدات على أنها الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية العادية والشاذة، كتصورات الناس عن الزلزال، البرق والخسوف.
 - **الأسطورة**: وردت الأسطورة عند ابن منظور في معجم لسان العرب: سطر يساوي السطر بمعنى الصنف من الكتاب والجمع أسطر وأساطير ومفرده أسطورة أو أحدىثة وأحاديث، كما فسرها بالخيال والباطل والأباطيل وسترها تعني ألفها وستر علينا بمعنى أتان بالأساطير ويقال سطر فلان على فلان أي زخرف له الأقاويل أو الأحاديث ولمقها.
 - الأسطورة هي حكاية أو قصة أو مجموعة من القصص تحمل أحداثا خارقة للعادة، وهي نظام فكري متكامل تروي أحداث الإنسان الأول من التاريخ البشري الذي حاول نقل وعيه وفكره وعقيدته وتصوراته للأجيال القادمة، وهي مجمع الحياة الفكرية والروحية للإنسان وتكون صادقة أحيانا كما يمكنها أن تكون بعيدة عن حقيقة الواقع في أحيان أخرى وتأخذ انعطافا جذريا دينيا في بعض الأحيان.
 - **الطقس**: (Rite) لفظة ذات أصل لاتيني وتعني العبادات والاحتفالات الدينية، العادات والتقاليد والأعراف، كما تعرف بأنها الشعائر والأعمال الدينية، التي تشكل الجانب العملي من العقائد ومن اللاهوت، وتمثل الطقوس مجموعة من الممارسات المعينة أو المحظورة والمتعلقة بالمعتقدات السحرية أو الدينية، وعادة ما يكون ذلك تحت واقع احتفالات ضخمة.
 - ومنه تتبين أن العلاقة وثيقة بين ممارسة الطقس والعقيدة الدينية، إضافة إلى أن الطقس والمعتقد والأسطورة ركائز للدين حيث لا يمكن استبعاد أي منها ولا فصلها عن بعضها. حكيمة شيجي، والتجاني مياطه، "طقس استدرار المطر عند مجتمع بلاد المغرب القديم"، مجلة قبس، المجلد 7، العدد 2، منشورات جامعة الشهيد حمّـه لخضر، الوادي، الجزائر، ماي 2023، ص ص 488-489.

واعتقد بوجود قوى خفية متحركة في مصيره، وقد أكد بعض المؤرخين المهتمين بمنطقة شمال إفريقيا على ارتباط السحر بالدين في الظواهر الدينية ويرجع سبب ذلك لوجود الأرواح في الطبيعة¹.

وتظهر هذه العلاقة من خلال الرسوم والنقوش الصخرية والتماثيل، الوشم والتعويذات، حيث ظن الإنسان أنه يستطيع التسلط على قوى الطبيعة بالسحر والشعوذة، وقد حصل على هذه القوة من إحساسه بالفشل والعجز لذلك لجأ إلى قوى أخرى تتفوق عليه مثل الأرواح².

وقد اختار سكان بلاد المغرب القديم كغيرهم من الشعوب القديمة المظاهر الطبيعية والتي رأوا أنها تتجاوز قدرة تفكيرهم*، فعبدوا بعضاً منها للاستفادة من

- السحر: (Magic) لفظ مشتق من كلمة Mag ذات أصل فارسي تعني العلم والحكمة، وهي تدل على معانٍ مختلفة وطقوس تفترض التحكم غير العلمي من قبل القوى خارقة وكامنة في العالم لصالح الإنسان والسحر نظام من الأفعال القائمة على الاعتقاد بالفاعلية الفورية لبعض التصرفات يريد الإنسان منها ترويض الطبيعة والآخرين تبعاً لمشيئته وإرادته، أو محاولة السيطرة على القوى المحيطة به بواسطة ممارسات معينة. وريدة على محمد المنقوش، السحر في مصر القديمة، المجلد 1، العدد 14، جامعة مصراته، ليبيا، سبتمبر 2019، ص 155.

¹ مصطفى أعشي، جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية من خلال عصور ما قبل التاريخ، مركز طارق بن زياد، الرباط، 2002، ص 32.

² حبيب سعيد، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، مصر، ص 12.

* لا يمكن دراسة بلاد المغرب القديم من الناحية الدينية دون التعرف على التركيبة البشرية للمنطقة لمعرفة مدى تقبل السكان لما هو أجنبي مع علاقة التأثير والتأثر فيها، والتي تتنوع في التركيبة البشرية، إذا تعددت الأجناس بين المحلية ووافدة وقد ذكر هيرودوت بأن سكان المنطقة الممتدة من غرب النيل إلى المحيط شعوب تسمى الليبيون وهم العناصر المحلية وتتمركز في الشمال، بينما يسكن الأثيوبيون جنوبها إضافة إلى المور والنوميد والجيتول، أما الفينيقيون والإغريق فهم الوافدون. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله ملاح، ط1، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، 2001، ص 369.

منافعها فقدسوا الجبال، ومنها جبال الأطلس الذي يعتقد أن قمته ترتفع عن السحاب وقريبة من القمر¹، وتسهل عملية الاتصال بين المقدس والعُباد كما كانت المغارات هي الأخرى موضع تقديس وعبادة ويرجع ذلك إلى عصر ما قبل التاريخ حيث اعتبر سكان شمال إفريقيا أن انغراز المغارة في جوف الأرض يسمح بالاتصال بالآلهة العالم السفلي وحتى مع آلهة العالم العلوي².

تعد ظاهرة الاستتجاد بالقوى الطبيعية متأصلة في سكان بلاد المغرب القديم وتجلّى ذلك في كثرة الطقوس المصاحبة لعمليات الحرث والبذر، الحصاد والدرس، حيث يرى "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) بأن الدراسات التي قام بها كل "دوتي" (Doté) و"مرسي" (merecier) و"بل" (Bel) و"دستنج" (Desteng) وغيرهم، هي جهود أولية تحتاج إلى البحث أكثر، وذلك بالاعتماد على عادات ولغة السكان الأصليين للوصول إلى الحقيقة³.

منطقة بلاد المغرب القديم بحاجة إلى جهود كبيرة من الأبحاث والدراسات خاصة وأن الصحراء الكبرى التي مازالت تحتفظ بالكثير من الأسرار التي يتم التعرف عليها من خلال أساليب الدفن والرسوم، النقوش والمدافن مع غياب النصوص المكتوبة مما يتحتم على الباحث الاستعانة بالمدونات الملازمة لها زمنيا في مناطق أخرى كمصر وبلاد ما بين النهرين والهلال الخصيب والجزيرة العربية

¹ Plinie L'ancien, Histoire Naturelle, (belles lettres), T. 6, p. 07.

² محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة (النشأة والتطور)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 137.

³ Gsell (St.), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T. 6, paris, 1927, pp. 119-120.

والحبشة لفهم الرموز المشتركة عن طريق المقارنة خاصة قبل التضاؤل التدريجي لدور الصحراء الكبرى التي أصابها الجفاف وخف فيها التنقل والتفاعل والتطور¹. وقد أكد (فنطر محمد حسين) أن أصول الديانة في بلاد المغرب القديم تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط إذ تم العثور في موقع القطار (Elgattar) على كويرات حجرية تكدست في شكل مستدير حيث تمارس حولها طقوس في أوقات معينة ويعتبر ذلك مكاناً مقدساً وهذه الحجارة معاصرة للحضارتين الموسترية والعاترية²، كما أشار إلى أن المدافن قد ظهرت متأخرة نسبياً ببلاد المغرب القديم وهي شديدة الاتصال بالعالم الآخر ويمكن تفسير رأيه على الآثار المادية المتمثلة في الأثاث الجنائزي والغير مادية وهي الطقوس والمعتقدات يكون بالبحث في المدافن³.

هذا الرأي يسانده (عمران عبد الحميد) حيث يرى أنه لدراسة المعتقدات الدينية القديمة يتم الاعتماد على مجموعة من الرسوم الصخرية والنقوش وكذا المدافن وبعض النصوص القديمة التي وصلت عبر الكتاب الإغريق والرومان وإن كانت محفوفة بكثير من اللبس لقلة المادة المتوفرة لدراسة هذا الموضوع، وباعتبار

¹ عفراء علي الخطيب، "التفاعل الثقافي بين المغرب والصحراء الكبرى وجنوب الجزيرة العربية خلال العصور القديمة (المعتقد الديني نموذجاً)"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2001، ص 141.

² محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 11.

³ محمد حسين فنطر، (المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني)، دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، أشغال المؤتمر العاشر للآثار في الوطن العربي، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص ص 189-190.

أن المنطقة كانت مفتوحة على مجال واسع جغرافيا وزمانيا وبالتالي حركية التأثير والتأثر¹.

كما أن فقدان النصوص الميثولوجيا الأسطورية أدى إلى بناء فرضيات تقارن مع ما وجد بالجوار الجغرافي التي غالبا ما تكون نتائجها نسبية². بالإضافة إلى أن أقدم الدراسات الأثرية المتصلة بالأدوات المستعملة للإنسان المغاربي ترجع جذور التدين في منطقة بلاد المغرب القديم إلى العصر الحجري القديم الأوسط الذي يتميز باستعمال أدوات حجرية متنوعة مثل قطع الصوان القابلة للتشذيب³.

وقد ضم هذا العصر حضارتين متميزتين هما: الحضارة المoustيرية* والحضارة العاترية**.

¹ عبد الحميد عمران، الرومنة والتدين في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018، ص 18.

² محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 122.

³ محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2012، ص 38.

* الحضارة المoustيرية: استمدت اسمها من موقع مoustير (بالدردون بفرنسا) وهي معروفة جدا في أوروبا وسمحت دراسة العديد من مواقعها بتمييز سماتها وأنواعها، ومعرفة الإنسان الذي شيدها أنه إنسان نياندرتال، أما المواقع المنسوبة إليها ببلاد المغرب القديم لا تتعدى 11 موقعا على الأرجح، منها موقع تحت الكهوف في الرطايمية ورأس تنس وحي مالكي بالجزائر العاصمة (الجزائر) ووادي العقارب بالقرب من قابس وموقع القطار قرب قفصة وعين مترشم (تونس)، وموقع تافورلت وكيفان بالغماري وجبل الرعود بالمغرب الأقصى، ويرى فرانسيس أور بأنه يوجد في شمال إفريقيا مoustيري له ملامح أوروبية وذلك في المغرب (جبل الرعود) وفي تونس (وادي المكاريت). محمد رشدي جارية، حضارات بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم، ط1، دار هومه، الجزائر، 2017، ص ص 124-125.

ومن أهم المواقع الأثرية بها موقع القطار (تونس) الذي ينتمي للحضارة
الموستيرية¹.

تجدر الإشارة إلى أن المعابد أو الأماكن المقدسة كانت تتوسط المواقع
الأثرية حيث كان يجتمع عندها الإنسان المغربي القديم معتقداً بوجود قوة مقدسة
تتخذ من هذا المكان منزلاً لها فيحاول التقرب إلى هذه القوة لكسب رضاها
وللاطمئنان على معاونتها له في مختلف مجالات حياته، كما أدرك أن هذه القوة
هي من تتحكم في الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية².

لقد اختار سكان بلاد المغرب القديم كغيرهم من الشعوب البدائية ديانة
يسيرونها على شريعتها والتي تنوعت بين عبادة قوى الطبيعة كالجبال والأودية
والحجارة، وعبادة الحيوانات مثل: الكبش، الثور، القردة، وعبادة القوى الخفية
والكواكب، إضافة إلى عبادة البشر كالأسلاف والملوك مع الطقوس والشعائر، وما
كان يمارسه السكان من عادات وتقاليد مختلفة، في هذا الفصل سيتم التعرف على
مظاهر ديانة بلاد المغرب القديم.

^{**} الحضارة العاترية: أخذت اسمها من حفرة قريبة من وادي الجبانة ببئر العاتر التي تبعد حوالي 90
كلم إلى الجنوب من مدينة تبسة في الشمال الشرقي للجزائر وتتميز بوجود الساق في القليل أو الكثير من
أدواتها حسب الترتيب الزمني، إذ عثر بها على العديد من الأدوات المنسوبة إليها، ويرجع أقدم موقع عثر
فيه على بقايا هذه الحضارة إلى 40 ألف سنة وتستمر في الإشعاع إلى حوالي 25 ألف سنة. نفسه، ص
135-138.

¹ محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 103.

² رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1، العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص
105.

أولاً: تقديس قوى الطبيعة والحيوانات والكواكب في بلاد المغرب القديم
بحكم طبيعة المنطقة التي عاش فيها سكان بلاد المغرب القديم مارس الإنسان الزراعة والرعي والصيد، حيث عبدوا مظاهر الطبيعة من سحب وعواصف وآبار وأشجار¹.

1. عبادة قوى الطبيعة

كما هو الحال في الديانات المبكرة للشعوب المجاورة لبلاد المغرب القديم اعتقد سكان المنطقة بوجود قوى غير مفهومة تسكن العالم، يمثل هذه القوى الشياطين، ولهذا كان الناس يخافونهم من جهة، ويثقون بهم من جهة أخرى، حيث نسبت لهم الظواهر الطبيعية التي لا يمكن تفسيرها وقدمت لها التعاويذ الدفاعية الأمر الذي دفع السكان إلى بناء ملاذاهم (أماكن عبادتهم) على أعلى المرتفعات في المنطقة.

1.1. الجبال والكهوف والمغارات:

اهتم الإنسان البدائي بالجبال والكهوف والمغارات لأنه اعتبرها ملجأ للقوى الخفية، ووسيلة للاتصال بعالم الأموات، لذلك جعلها مكاناً لإقامة طقوسه وتقديس نذره².

¹ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1966، ص 45.

² محمد الصغير غانم، سيرتنا النوميديّة...، ص 137.

1.1.1. الجبال:

قدّس سكان بلاد المغرب القديم الجبال والأماكن العالية فكان اختيارها مبنيا على تسهيل عملية الاتصال بين المقدس والعُباد، أو لأن ارتفاعها قد يذكر الإنسان بالسماء مقر كل إله قوي، ويعتقد بأنها قريبة من القمر.

والجدير بالذكر أن تقديس الجبال يرجع إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث عثر في جبل شطابة قرب قسنطينة على كتابة بالحروف اللاتينية لاسم أحد الآلهة يدعى "ج-د-أ" (G.D.A) والذي أطلق عليها (جزيل) تسمية "جيدادا" (Giddada) إضافة إلى قمم جبال الأطلس بأنها أعمدة للسماء¹، كما قال (هيرودوت) أنهم يسمون قمة الجبال عمود السماء، وقال عن الجبل أنه يرتفع ارتفاعًا شاهقًا إلى حد أن الناس يقولون أن قمته لا ترى لأنها لا تخلو من السحب صيفا وشتاء²، ومن هذه الجبال نجد "جبل بوقرنين" (SALO) الذي بني عليه معبد للآله ساتورنوس ويذهب مكسيم الصوري إلى أن جبال الأطلس تمثل أيضا معبدا ومركز للآلهة بالنسبة لليبيين الغربيين³.

كما أشار "ر. باسي" (R. Basset) من جهته إلى أن بعض الجبال في الجنوب الجزائري كانت تشير إلى الخشية الدينية لدى قبائل الطوارق والتي لا

¹ Pline L'Ancien, 6, p. 07.

² عبد المنعم المحجوب، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012، ص 24.

³ Leglay (M.), les religions orientales dans l'Afrique ancien, officielles, Alger, 1966, p. 29.

يستطيعون قهرها والتغلب عليها، وذلك يعود إلى الجن الذي يسكنها، وليس إلى ضخامة الجبال وهيئتها التي تخيفهم¹.

ومما سبق ذكره يمكن الوصول إلى أن الإنسان المغاربي القديم قد اعتقد أن الجبال هي مساكن للآلهة والتي قدّست حتى قبل مجيء الفينيقيين.

1-1-2 الكهوف والمغارات:

لعبت الكهوف دورا مهما في حياة سكان المغرب القديم حيث أنه استخدمها كمساكن لحماية نفسه من الظروف الجوية القاسية ويمكن إرجاع ذلك إلى أقدم مراحل الحضارة الإنسانية وهي مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل، وتجدر الإشارة إلى أن الإنسان المغاربي القديم قد بذل جهدًا في هذا المجال وهو ما أثبتته الأدلة الأثرية في المواقع المختلفة².

ويرجع هذا الاعتقاد إلى الكهوف وسيلة للدخول إلى العالم السفلي، وقد استمر ذلك الاعتقاد إلى غاية الفترة التاريخية، وحتى زمن القديس "أوغسطين" واعتقد المغاربة أن أرواح الشر ساكنة في البيوت المظلمة والكهوف والغيران³.

إضافة إلى أن الكهوف لم تخصص للسكن والرسم على جدرانها فحسب بل كان المغاربة القدماء يدفنون موتاهم في أرضيتها أيضا، حيث تحدث (هيرودوت) على عادة الليبيين في النوم على قبور أسلافهم في الكهوف والراغبين منهم في

¹ Bassét (Henri.), recherches sur la religion des berbères, éd, Ernest Leroux, paris, 1910, pp. 06-07.

² رشيد الناضوري، المغرب الكبير...، ص 67.

³ الفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 60.

الاطلاع على الغيب، فيصلون وينامون على قبورهم وكل ما يرونه في الحلم يفعلونه¹.

ويرى "جزيل" بأنه في "إفرو" (Ifro) بمنطقة القبائل توجد مغارة جدرانها مليئة بالكتابات الليبية وكذا في "كهف الخراز" بين مدينتي قالمة وعين البيضاء بالشرق الجزائري حيث توجد مغارة يحتوي مدخلها على علامات منقوشة وملونة بالأحمر²، كما نجد كلمة (Ifri) وتعني الكهف وأفر (Afer) تعني سكان الكهوف أما كلمة (Ifro) ويقصد بها الإله المحلي، ثم شمل هذا الاسم في ما بعد قارة إفريقيا بأكملها³.

وقد وجدت على جوانب الكهف رسومات آدمية وحيوانية ويستعين المغاربة بتجسيدها في المناطق المظلمة باستعمال النار وتلك الأماكن كانت تقتصر إلا على الكهنة ومحرمة على الأفراد العاديين⁴، وبما أن انغراز المغارة في جوف الأرض يسمح بالاتصال بآلهة العالم السفلي وحتى مع آلهة العالم العلوي لأن بعض معاصري القديس أوغسطين يعتقدون بقربهم من الإله عند توغلهم في أماكن تحت الأرض⁵.

ومن المغارات المقدسة نذكر ما اكتشفه العالم الأثري "فروبينيوس" (L.Frobenius) سنة 1914م بالقرب من سيلا (sila) بولاية قسنطينة حيث

¹ Hérodote, histoire les belles letters, 4, Paris, 1982, p. 172.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 137.

³ Ibid, p. 256.

⁴ محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة...، ص 66.

⁵ Bassét (Henri.), op-cit., pp. 06-07.

عثر فيها على بقايا عظام إنسانية وفخاريات، وقد وصف هذه الكهوف فيما بعد الباحث الأثري "بوسكو" (J. Bosco) الذي أعاد بداية استعمالها إلى الفترة الفينيقية بالمغرب القديم¹، وكهف "بوزباوين" بجبل الفرطاس بناحية عين مليلة وكهف "دخلة الزيتون" في نفس المنطقة بالإضافة إلى كهف "غار جمعة" بجبل طاية².

وقد عبد المغاربة القدامى الإله "باكاكس" (Baccax) حيث وجدت له نقوش أثناء العهد الإمبراطوري وهي عبارة عن إهداءات مقدمة له، كما توجد آثار عبادة مشابهة في مغارة صخرية بجبل الشطابة بالقرب من قسنطينة³.

ويظهر أن الكهوف والمغارات كانت محل تقديس ينظر إليها بخوف واحترام لاعتقادهم أنها مساكن للآلهة.

2.1. الحجارة:

عبد سكان بلاد المغرب القديم الحجارة منذ العصر القديم حيث عبدوا بعض الأحجار التي تميزت بمكان نشأتها أو شكلها، أو بالاعتقادات المتصلة بها، كما يعتقد أنها مسكن لبعض الأرواح وهو ما أشار له الكتاب اليونان والرومان بعبادة الأحجار المقدسة "Bétyles" وأصل الكلمة سامي ومعناها (بيت إله)⁴، كما أورد "ستيفان جزال" عن (بومبيوس ميلا) بأن في برقة توجد صخرة لا يجب أن يمسه أحد بيده لأنه وإن حدث ولمست فإن الرياح تثور بقوة وتثير رياح جنوبية وذلك

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 19.

² محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة...، ص ص 01-07.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 136.

⁴ الفريد بل، المرجع السابق، ص 65.

لاعتقادهم أن الجن هو الذي يقوم بإثارة غضبها¹، وأكد أن البناء يستعمل لأغراض متعددة مثل التبرك ونبذ الأرواح الشريرة لاسيما في الأرياف². كما أرجع "شارل جوليان" تاريخ بعض الحجارة إلى العصر الحجري الأعلى، وهو ما ذهب إليه "ستيفان جزال" عندما قدر تاريخ النقوش بـ 3000 سنة قبل الميلاد³.

نستنتج من هذه الأدلة أن الحجارة كانت لها قيمة عند سكان المغرب القديم منذ القدم وتظهر في الدولمينات*.

واستخدمت الصخرة كطاولة لتقديم الأضاحي والقربان وذلك لاعتقاد أن الإنسان كان يرجو من الحجارة الشفاء من الأمراض، أو أن ترجو النساء الخصوبة منها ظنا منه أن ذلك يعطيها قوة، وعثر على حجارة مكورة في المعابد الفينيقيّة من الجرانيت بمكثّر ذو لون رمادي ودائري بارتفاع 32سم وسمك 28سم، ويحمل خطوط تمثل ملامح لوجه بشري بأذان حيوانية وكتب على وجهه الآخر نقوشاً بونية تؤرخ للقرن الخامس قبل الميلاد، ويعتقد بأن الشكل الكروي يرتبط بفترة رضاعة الإنسان من ثدي أمه الشبيه بالشكل الكروي⁴.

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 134.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 21.

³ شارل أندري جوليان، تاريخ شمال إفريقيا الشمالية، ج1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص ص 61-62.

* قبور الدولمن (Dolmens): تعرف بالقبور المنضدية بأنها تلك القبور الحجرية التي بنيت فوق سطح الأرض والمكونة من ثلاثة أعمدة حجرية قصيرة تعلوها حجرة أخرى مدت في شكل أفقي تمثل السقف ومزودة بفتحة. للاطلاع أكثر ينظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 36.

⁴ محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 152.

استمرت عبادة الحجارة في شكل أنصاب في المناطق الريفية حتى الفترة الرومانية ببلاد المغرب القديم بل وتواصلت هذه العبادة حتى الفتح الإسلامي حيث يذكر "أ.ف.جوتيه" (E.F.Gautier) أن طلبة فاس بالمغرب الأقصى يتبركون بحجر أسود ربما كان شهاباً - بالقرب من مدرستهم، ويمكن مقارنته بتوقير الحجر الأسود في الكعبة عند المسلمين¹.

3.1. الأودية والينابيع:

حظيت مصادر المياه وخاصة الأنهار والينابيع بتقديس كبير من طرف سكان بلاد المغرب القديم حيث يعتبر تقديس المياه أمراً طبيعياً في البلدان التي كان يسودها الجفاف².

وقد عثر على شواهد تشير إلى لعبادة الآبار المقدسة وذلك بأحد مواقع الليمس بمنطقة ديميدي "Castellum Dimmidi" حيث وجدت فيه عدة معالم لطقوس عبادات مختلفة³، كما ذكرت عدة نقوش عبادة المياه من طرف المغاربة القدماء وقد قدمت لها القرابين والإهداءات مثل الإهداء الذي عثر عليه في السيق والموجه إلى جن النهر "Genio Fluminis" في منبع بومرزوق، كما وجد إهداء إلى جن المنبع "Genio Fontis" موجه إلى جوبتير بمنبع القائد بالقرب من باتنة⁴.

¹ الفريد بل، المرجع السابق، ص 65.

² C.H (Picard.), ciuites Mactaritana, Paris, 1957, p. 11.

³ للاطلاع أكثر ينظر:

-Georg pflaum (Hans.), "castellum Dimmidi", journal des savants, N°1, paris, 1949, pp. 55-62.

⁴ Bassét (Henri.), op-cit., pp. 09-10.

كما عبر الإنسان المغربي القديم عن حاجته إلى الماء باستدرار المطر بطرق مختلفة وقد قدم الكثير من الابتهالات والتضرع إلى جن المياه حيث يخرج المغاربة في حال الجفاف على شكل جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق معبرين عن حاجتهم للغيث بإظهار خضوعهم وضعفهم معتقدين بأن الجفاف كان عقاباً لهم وغضب من الآلهة عليهم¹، وذلك بسكب بعض المياه على التربة ثم لعقها وتلطix وجوههم بالوخل والتربة دليل على مدى احتياجهم للغيث²، وللتقرب وكسب رضا الإله أنزار* (سيد المطر)³.

بحكم أن المطر هو المصدر الأساسي للحياة، كانت تمارس طقوس لطلبه ويسمى "بوغنجة" وهي عبارة عن (دمية المطر) وتصنع مهرق ملعقة كبيرة (المغرف) وتكسى بزي العروس وتحاط بفتيات القرية ويتبعهن الأطفال والنساء وترفع الدمية يديها وهما عبارة على ملعقتين مفتوحتين نحو السماء لكي تتلقيا المطر الذي طال انتظاره وترتبط الملعقة بالغذاء. (الشكل رقم 01 ص 386).

¹ محمد الصغير غانم، "بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب"، مجلة الحوار الفكري، العدد 02، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص 61.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 122.

* أنزار: هو اسم إله المطر وله أسطورة محلية تقول بأن (أنزار) نزل من السماء إلى الأرض واقترب من فتاة فائقة الجمال كان يرغب في الزواج منها فلما رأته خافت منه وهربت من الوادي الذي كانت تستحم فيه، فغضب أنزار من تصرفها فأمر الوادي فجف فجأة، وأطلقت الفتاة صرخة خوف ومزقت ملابسها وبقيت عارية تماماً، ثم استجدت به ليعيد الماء للوادي، الذي تجلى هذا الإله على شكل برق عظيم ضمته الفتاة إلى صدرها وعاد الوادي إلى الجريان، ونبت العشب من جديد. لمزيد من الاطلاع ينظر:

-CH (Picard.), les représentations du sacrifice molt sur le ex votos de Carthage, kartago XVII, paris, 1976, p. 10.

³ محمد الصغير غانم، الملامح الباكزة...، ص ص 13-14.

ويلعب الماء دورا هاما في الاقتصاد وذلك في الزراعة وتربية الماشية فهو مقدس عند السكان.

4.1. الأشجار:

عبد المغاربة القدماء الأشجار لأنها في اعتقادهم سكن للمقدس، حيث أحيطت بشروط خاصة تمثلت في عدم إيذائها واقتلاعها أو قطعها من قبل الأشخاص ومن فعل عكس ذلك فإنه سيتعرض لعقاب الآلهة.

يمكن إرجاع عبادة الأشجار لصوت حفيفها الغامض والذي فسر بوجود قوى خفية هي من تصدره لذا كانت تقدم لها التعاويذ الدفاعية من خلال تعليق قطع من القماش على الأشجار، والهدف من ذلك قدرتها على درء الأرواح الشريرة¹.

أورد (غانم محمد الصغير) هذا النوع من الطقوس في قوله: [وكان "أرنوب" (Arnobe) الذي عاش في القرن الرابع ميلادي، قد أشار في كتاباته إلى وجود تلك العادة مستمرة في فترته، مثل ما كان يحتفل به حينذاك اتجاه شجرة ضخمة ولها ميزة قدسية حيث كان سكان تلك القرية يطلقون عليها اسم (لالة فرنانة) إذ يقومون بوضع أشرطة من القماش أو الثياب بعد أن يكونوا قد قاموا بطقوسهم النذرية طلبا للشفاء من المرض الذي يعانون منه أو النجاح في الحصول على الحاجة التي يطلبونها، ونفس العمل أيضا كان يقوم به سكان منطقة القبائل

¹ Walzik (Günther.), Die Numider, Rheinland- Verlag Gmbh, Bonn, 1979-1980, p. 61.

بالجزائر بتقديمهم الولاء والطقوس النذرية لشجرة (لالة عيشوشة) طلبا لقضاء حاجتهم¹.

ويفهم من خلال هذا القول أن الهدف من هذه الممارسة هو طرد الشر وطلب الشفاء وتحقيق الأمنيات والمطالب.

أما الأشجار التي تم تقديسها فهي متنوعة، فمنها شجرة الزيتون والكرمة والنخلة أو السدر وغيرها².

ويمكن انطلاقا من ذلك التعليل اختلاف الأشجار المقدسة باختلاف المناطق الجغرافية، أو لأن الأشجار والنبات تمثل شكلا من أشكال الحياة تسمح بتجدها فارتبطت من خلال ذلك بفكرة الخصوبة كما احتلت عبادة النخيل مكانة هامة نظراً لدور هذه الشجرة في حياة الإنسان المغربي القديم وقد وردت في كثير من نصب معبد الحفرة بقسنطينة* (الخريطة رقم 03 ص 406). وهذا يشير إلى ما تمنحه من أغصان وجذوع وسعف جعلها محل تقديس ورمز للانتصار وقضاء الحاجات والزخرفة والتجميل في المجتمعات القديمة³.

¹ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة ...، ص 131.

² الطاهر عبد الجليل، المجتمع الليبي (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1969، ص 172.

* معبد الحفرة: يقع في الجنوب الغربي لمدينة كرطن عاصمة المملكة النوميديّة، وذلك في مدخل باب المدينة الجنوبي، وتمتد الهضبة المشار إليها على طول محور يبلغ حوالي 400 م. زينب بلعابد، المقدس والرمز من خلال نصب معبد الحفرة بقسنطينة، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 85.

³ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة ...، ص 132.

2. عبادة الحيوانات

باعتبار أن الحيوانات بشتى أنواعها ضرورية في حياة الإنسان البدائي فعمل على تقديسها حيث كانت الحيوانات المفترسة رمزا للقوة يستعان بها في الحروب في حين كانت الحيوانات الأليفة مساعدة له في نشاطاته الحيوية مثل: الزراعة والرعي، والصيد.

ولذلك اهتم الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ برسم العديد من الحيوانات مثل: الأغنام والأبقار وغيرها من الحيوانات التي كانت تعيش في محيطه ويمكن الاستدلال من خلال هذه الرسوم على دور وأهمية الحيوان في حياته، والصلة التي يشوبها الخوف والحذر منها¹.

أن حياة الإنسان البدائي اعتمدت في المقام الأول على جمع الطعام والصيد، فقد دفعته الحاجة إلى التعرف على عادات وطبيعة الحيوانات، حتى يصبح بمقدوره مطاردتها ورميها بالسهم ومن هذا تطورت صلة الإنسان بالحيوان آنذاك².

واعتقد سكان بلاد المغرب القديم أن وضع جلود الأسود على البوابات يعمل على درء الحيوانات المفترسة³، وتعتبر الرسوم الصخرية من أقدم الوثائق التي

¹ محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات...، ص 153.

² يورى ديمتريف، الإنسان والحيوان عبر التاريخ، تر: محمد سليمان عبود، ط1، دار النمير، دمشق، 1993، ص 05.

³ Walzik (Günther.), op-cit., p. 61.

تظهر عبادة حيوانات مختلفة، ذلك لأنها في رأيهم تدفع الضرر على الإنسان وتجلب له الخير والسعادة¹.

1.2. الكباش:

أن الحيوانات المرسومة يمكن أن تشهد إلى حد ما على بعض الطقوس السحرية أو شعائر عبادة الحيوان²، التي ترجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد³ خاصة الحيوانات الآلهة حيث قدّم (أندري جوليان شارل) عدة أدلة بطرح أراء كل من أ.ف. قوتييه (E.F. Gautier) وه. بروي (H. breuil) وغيرهم حول موضوع الصخور المنقوشة في إفريقيا الشمالية، كما أشار إلى استنتاج (ج.ب. فلامان) الذي يرى أن الكباش ورد بصورة مغطى الرأس بغطاء مدور الشكل⁴، وهو نفس الرسم الذي أكدّه ستيفان جزال، حيث أن الرسوم الصخرية احتوت على شكل الكباش الذي تحيط بعنقه قلادة في الغالب على رأسه دائرة وذلك في منطقة الطاسيلي، كما وجدت رسومات مماثلة بمنطقة الجنوب الوهراني وفي ناحية قسنطينة. (الشكل رقم 02 ص 386).

ومنه يمكن من خلال المادة العلمية الموجودة تقسيم الرسوم والنقوش الصخرية للكبّاش إلى ثلاث مجموعات رئيسية:
أ- الصحراء الشرقية: بفران (ليبيا) والطاسيلي (الجنوب الجزائري).

¹ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 124.

² الفريد بل، المرجع السابق، ص 56.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 127.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 58-60.

ب- الجنوب الوهراني في كل من بوعلام زناقة، وقصر زكار والجلفة وآفلو بالأغواط.

ج- الشرق القسنطيني: بخنقة بوحجار وكهف تاسنغه¹.

وكما سبق ذكره أن نشاط سكان بلاد المغرب القديم المتمثل في الرعي وتربية الماشية²، لذلك كان له دور في المعتقد المحلي، أما الهدف من تلك العبادة في رأي بعض المؤرخين أنها موجهة لضمان النمو والازدهار، كما ينظر إلى الحيوان على أنه رمز للخصوبة والنماء³.

أما حول ما إذا كان الكباش المغطى بشكل كروي معبوداً أو موجه للتضحية، فقد اعتبره بعض الباحثين معبوداً واستدلوا بذلك ظهور الثيران بجانبه في العديد من مقابر عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الممتدة من جنوب المغرب حتى النوبة مروراً بفزان، إلى جانب وجود أشخاص يظهرون في الرسوم - بغض النظر عن التفاصيل بين موقع وآخر - بأن لهم صلة بالكباش المتوجه منها تلك التي تظهر شخصاً رافعاً يديه فيما يشبه حالة التعبد للمعبود الموجود معه الذي هو الكباش⁴.

فسر "كامبس" (Camps) مشاهد الكباش أنها لم تكن آلهة لأنها في أغلب الحالات تتبع رجلاً يظهر في وضعية تضرع ونتيجة لذلك يعطيها ظهره وهذا دليل

¹ محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات...، ص 157.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 226.

³ محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة...، ص 63.

⁴ عبد الرحمن خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م)، ماجستير في التاريخ القديم، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص 69.

على أن العبادة كانت موجهة إلى ذات أخرى ولم يكن الكبش إلا أضحية مزيّنة بالقرص لكي يقدم كقربان للإله¹.

هذا ما أشارت إليه (العقون أم الخير)، حيث فسرت حرص سكان المغرب القديم على رسم حيوان الكبش بكثرة في كل المواقع وأنه كان محل عبادة وهو اعتقاد معظم الباحثين، كما تطرقت لرأي آخر الذي يرى أن الكباش هي عبارة عن قرابين للتضحية وليست المعبود نفسه، ودليلهم في ذلك ظهور الكباش في الرسوم الصخرية وعنقها محاطة برباط وهي تتبع صاحبها مثل ما هو الحال في كبش فجة الخيل فلو كانت هذه الكباش هي المعبود ما أدار لها الرجل ظهره، بل الأصح أن يكون مقابلاً لها أي في وضعية المتعبد².

لكن هذا الرأي مستبعد لعدم وجود رسم لصورة؛ وهو أهم من القربان نفسه وقد كانت عبادة الكبش شائعة عند الشعوب القديمة بدل النعاج ويستدل بذلك ظهور زخرفة الأغنام في معبد الحفرة³ باعتباره رمزاً للخصوبة والقوة، فاختره المصريون وصوروا إلههم "خنومو" وهو إله الخصب برأس كبش، كما عبد الإغريق إلهاً على هيئة كبش باعتباره رمزاً للخصوبة⁴.

¹ Camps (G.), les berbères aux marges de l'histoire, éd. Errance, paris, 1987, pp. 202-203.

² أم الخير العقون، "المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين"، مجلة عصور، ج2، العدد03، مخبر البحث التاريخي، وهران، الجزائر، 2003، ص ص 165-166.

³ محمد الصغير غانم، النصب اليونانية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص 74.

⁴ مصطفى الأعشي، المرجع السابق، ص 37.

وبحسب الرسوم الصخرية فقد عرفت انتشارا واسعا إلى درجة أن يكون لكل قبيلة ليبية كبشها المقدس، قد أشارنا سابقا لأمثلة على ذلك و لم يكن النظر إليها متاحا للجميع، بل فقط للكهنة الذين يحيطونه بالقداسة والمهابة أمام الجميع¹.
قدّم (مصطفى الأعشي) بتحليل لغوي لأسماء بعض القبائل في المغرب القديم مثل الجيتول أو الكيتولي والتي تعني "آيت" أي الغنم لأنهم كانوا يربون الأغنام وتربيتهم لها تجعلهم وبلا شك مرتبطين برب يرمز إلى الغنم وهو إله الكبش "آمون"².

كما أن قبائل "ايدأويزمار" وتعني بالأمازيغية أبناء الكبش واسم "ايمكارد ايزيمار" عند قبائل "جندافة" وتعني مخ الأكباش وقبيلة "آيت بودولي" في جنوب "دمنات" بالمغرب الأقصى وتعني أصحاب الأكباش، وهذه المناطق كلها متاخمة للصحراء، مما يعني أن عبادة الكبش كانت عبادة صحراوية ثم انتقلت شمالاً بفعل انتقال النازحين الفارين من الجفاف³.

وهو ما أكدّه (مهران محمد بيومي) في قوله: [أنها كانت قد انتشرت في شمال إفريقيا، قبل أن تصبح الصحراء جرداء، وطبقا لرواية أثاناسيوس (Athanasius) أن الليبيين إنما اعتبروا الكبش إلها مقدسا تحت اسم "مأون"⁴.

¹ محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني...، ص 63.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 36.

³ مصطفى الأعشي، المرجع السابق، ص 44.

⁴ محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1990، ص 205.

تجدر الإشارة أن عبادة الكباش تطورت لتصبح حيوان تضحية الاستبدال كما ورد ذلك في التراكيب اللغوية التي أبرزتها نقوش نصب معبد الحفرة بقسنطينة¹.

ويبدو أن الكباش هو رمز الأضحية لتعويض الطفل، أو ما يعرف لدى الساميين بتضحية الاستبدال "مولخومورو" (Molchmoro) - سيتم شرحها في الفصل الثالث-.

وقد بقيت مكانة الكباش مميزة ليومنا هذا وسوف نفصل أكثر في عبادته في الفصول الموالية -تفاديا لتكرار المعلومات-.

2.2. الثور:

قدس سكان بلاد المغرب القديم الحيوانات التي ترمز إلى قوة التوالد² خاصة الثور الذي حظي بالتقديس عند بعض القبائل الليبية حيث كانت قبيلة القوانتيون (Laguentan) ترسل إلى عدوها قبل خوض المعركة ثوراً كان لديها بمثابة قائد الحرب ويعتقدون بأنه يمثل إلههم "غزريل" (Gurzil) المولود من آمون ومن البقرة "إزيس"، لذلك عرف الثور عندهم بإله الحرب³.

وقد أظهرت الرسوم الصخرية صوراً لثيران ربما كانت قد اتخذت كمعبودات حيث أورد استرابون أن حيوانات موريتانيا تشبه الثيران في الشكل والمسماة "ريزيس"⁴، وكما قد أظهرت النصب الموجودة بمعبد الحفرة (قسنطينة) تقديمها

¹ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة ...، ص 127.

² محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 205.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 253.

⁴ استرابون، الجغرافيا، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2006، ص 97.

كتضحية، وهو معتقد سائد في المعتقدات القديمة حيث قُدّم الثور على شكل أضحية لها معاني ودلالات وارتباطات عميقة الصلة بعلم الفلك ودورة الطبيعة وتبدلاتها الفصلية إذ أنّ برج الثور كان يقابل الشمس مع مطلع كل خريف فيتوجب على الشمس أو على إله الشمس أن يتجاوز على الثور بنوره الوهاج أو يقضي عليه، لكي ينتهي موسم الجفاف أو ذبول، ويبدأ موسم الأمطار والخيرات¹. كما وجد العديد من الدمى (Idol) في مناطق متعددة في "تين هناكاتن" (Hanaten Tin) بالطاسيلي وهي عبارة عن بقر (Bodivie)، وفي كهف "مازاريا" بالصحراء الوسطى وجد العديد من الجدران الصخرية على طول الوادي التي احتوت على بقرات ينظر إليها على أنها كانت محل عبادة، وهو ما تناوله (عمران عبد الحميد) حيث أشار إلى أن عبادة الثور المنتشرة على نطاق واسع في بلاد المغرب القديم بالرغم من قلة النصوص الأدبية التي تناولت هذا الموضوع². لكن لو تم مقارنة المادة العلمية التي تعرضت لتقديس الثور في معتقدات الشرق الأدنى القديم ومصر لوجدناها أكثر سعة من بلاد المغرب القديم.

3.2. الأسد:

حظي الأسد بالاحترام والرغبة من سكان بلاد المغرب القديم مثل باقي الشعوب القديمة، وهذا راجع لما يميزه في المظهر والقوة حيث عثر له عن صور

¹ للاطلاع أكثر ينظر: سعد عبود سمار، "تقديس الحيوان وعبادته عند العرب قبل الإسلام"، مجلة كلية التربية، ج1، العدد 36، جامعة واسط، العراق، 2019، ص 203.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 38.

كثيرة تمثله على الرسوم والنقوش الصخرية بمواقع عديدة في الأطلس الصحراوي والشرق القسنطيني¹.

كما ظهرت عدة نقوش على نصب القبور الملكية النوميدية مثل الضريح الموريتاني وفي ضريح دوقة وجوار ضريح مكتر، لذلك عُبد الأسد كأحد القوى المسيطرة على عالم الحيوان والإنسان، لدرجة أنه سمي بملك الغابة².

أما (عقون محمد العربي) فقد استشهد بالتمثال الموجود في معبد بوني وذلك في قوله: [وجد تمثال من الطين المشوي يمثل إلهة برأس أسد في معبد بوني جديد (Sanctuaire Néapunique) في ثينيسوث (Thinissut)... وهو الحضور الذي يجعل ملك الحيوانات يحتل أحياناً مكان الإله ما بين الأرض والقمر، وفي نص "أرنوب" (Arnobe) أكيد الارتباط ما بين ستاتورن، أي أن صورتها المندمجة التي تظهر في الزخارف الجنائزية هي صورة لإله واحد يضيء القبر ويمجد الميت ويجعله تحت حماية الإله الأعظم سيد الزمن والحياة والموت]³. ومنه نستنتج أن للأسد حضور مقدس وهذا من خلال ما عثر عليه في الزخارف المنحوتة على المعالم الجنائزية.

4.2. السمك:

عرفت منطقة في تونس تقديس الأسماك وقد مارست شعائر عبادتها، الأمر الذي يفسر بكثرة صورها على الفسيفساء التونسية حيث ترمز للذكورة وتستعمل

¹ Camps (G.), les berbères aux marges..., p. 206.

² محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية...، ص 130.

³ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 242.

للاقتناء من العين الشريرة¹ - لا يزال هذا الاعتقاد معروف عند سكان شمال إفريقيا ليومنا هذا -.

يظهر عضو تناسلي ذكري على شكل سمكة قاذفاً بلقاحه بين عضوي تناسل أنثيين على فسيفساء في سوسة، وإلى جانب السمك وجد المحار كرمز للجنس المؤنث في كل من إفريقيا الصغرى، وهي تخدم الأحياء بما فيها من جمال وتريح الموتى في قبورهم².

وقد أورد (غانم محمد الصغير) زخرفة رمز السمكة على نصب معبد الحفرة الذي ظهرت فيه سمكتان برأس متجه نحو الأعلى في وضع عمودي تقريبا ومزودتين بزعانف³.

5.2. القردة:

حسب رأي "الصقلي ديودور" (Siculus Doidorus)* كانت القردة محل عبادة تقديس من طرف سكان بلاد المغرب لانتشارها في المنطقة الواقعة غرب مدينة قرطاج، وذلك من خلال القرن الرابع قبل الميلاد عندما غزا "أجاثوكليس" (Agathocles) بلاد المغرب القديم**، وقد عاشت القردة مع أولئك السكان في مساكنهم وينظرون إليها كآلهة فيعلمون على استرضائها بتقديم الزاد والأطعمة لها

¹ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 205.

² جيهان ديزانج، "البربر الأصليون"، تاريخ إفريقيا العام، مج2، تر: جمال مختار، اليونسكو، ص 446.

³ محمد الصغير غانم، النصب البونية...، ص 77.

* ديودور الصقلي (Doidore de Sicile): هو مؤرخ يوناني، ولد في صقلية بمدينة أجريوم، من أشهر مؤلفاته: كتاب "خزانة التاريخ"، وقد تناول فيه على حد تعبيره تاريخ العالم. الصقلي ديودور، ديودور الصقلي في مصر، تر: وهيب كامل، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1890، ص ص 03-11.

** أجاثوكليس: قائد إغريقي نقل الحرب من صقلية إلى إفريقيا لأول مرة في حوالي نهاية القرن الرابع قبل الميلاد (310-307 ق.م). محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 106.

وأبعد من ذلك فإن قتل القرد في تلك المنطقة يعتبر من مظاهر الجرم يعاقب مرتكبها الموت¹.

أما (هيرودوت) فقد تحدث عن قبائل الجيزانت (Gyzantes) التي تسكن ليبيا الغربية وقبائل الزواس (zauécces) التي كان أفرادها يأكلون لحوم القردة التي يصطادونها من الجبال المحيطة بهم².

ومنه يمكن الوصول إلى أن تقديس القردة تختلف من منطقة إلى أخرى حيث أن بعض القبائل ترى أن لحوم القردة مغذية، وفي المقابل كانت أخرى تحرم أكل لحومها نظراً لقداسة هذا الحيوان³، وهذا دليل على تعدد المعتقدات الوثنية القديمة باختلاف القبائل في بلاد المغرب القديم.

6.2. الثعابين:

عرفت بلاد المغرب القديم عبادة الأفاعي حيث وصف "الصقلي ديودور" (Siculus Doidorus) الثعابين السامة والتي عرفت باسم السيرتست (Certeste) أنها لدغتها قاتلة ولونها أصفر كلون الرمل ولهذا السبب لا يتقطن إليها سوى القليل من الناس، أما أغلبهم فإنهم يدسون عليها دون انتباههم لوجودها فينزل عليهم البلاء من حيث لا يحتسبون⁴، كما أشار (هيرودوت) إلى الحيوانات الموجودة في ليبيا والتي من ضمنها الأفاعي الصغيرة الوحيدة القرن⁵.

¹ Sicile de (Doidore.), bibliothèque historique, trad., (AF), Miot, Paris, 1934, p. 58.

² Hérodote, 4, p. 194.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 08.

⁴ ديودوروس الصقلي، نصوص ليبية، تر: علي فهمي خشيم، ط2، دار مكتبة الفكر، ليبيا، 1975، ص 154.

⁵ Hérodote, 4, p. 192.

أما "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) فيؤكد أن الحية حيوان يشفي من الأمراض حيث يستخرج منها الترياق الذي يستعمل كدواء لذلك¹.
وقد أورد "بلين" (Pline) كيف كانت قبيلة البسولوي (psylli) الواقعة في منطقة السرتين* لا يؤثر في أفرادها وذلك لأنهم يعرضون الصبي حين ولادته لعضة أفعى، فإن لم يميت كان هذا دليلاً على شرعيته أنه منهم كما اشتهروا بقدرتهم على شفاء المعضوض والملدوغ وأن الحية كانت بالنسبة لهذه القبيلة طوطماً تعبده**.

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 4, p. 320.

* منطقة السرتين: يقصد بها منطقتي "سرت الكبرى"، و"سرت الصغرى"، فالكبرى يسميه "أوريك بيتس" (خليج الكبرى)، والصغرى هي قابس حالياً، ويبدو من موقع مدينة سرت الحالية أنها تقع على الخليج المعروف بها، وهو خليج داخل في اليابسة على هيئة قوس صحراوي متعرج، يفصل بين منطقتين خصبتين هما: الجبل الأخضر في الشرق ووادي كعام في الغرب، وربما كان ذلك سبباً في تمييز المكان بالصحراء، وفي العصر الكلاسيكي كانت قبائل الماكاوي والنسامونس يتجولون حول خليج سرت، وهؤلاء النسامونس كانوا يهجرون مواقعهم سنوياً إلى واحة أوجلة لجني ثمار النخيل، وفي اللغة المصرية القديمة نجد الصحراء تسمى بلفظ (دشرت)، مما يبعث على الاعتقاد أن الفينيقيين عندما جاءوا إلى المكان أطلقوا عليه اسم (سرت) وألقوه بالكبرى تمييزاً له عن صحراء خليج قابس الأصغر مساحة، وربما لفظ (سرت) الفينيقي تحريف طفيف للفظ (دشرت) المصري، ولعله تطور إلى اللفظ اللاتيني (Desert) الذي يعني الصحراء أيضاً. عبد العزيز الصويغي، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2013، ص 102، أو عياد مصطفى محمد اعبيليكة، "دور مدن السرتين والمملكة الجرمنية في التبادل التجاري بين أواسط إفريقيا ومناطق البحر المتوسط (47 ق.م - 305م)"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، قسم التاريخ، جامعة المرقب، ليبيا، مارس 2020، ص ص 18-29.

** الطوطمية: يُعرف "Haas" الطوطمية بأنها ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية ورمز معين يسمى "الطوطم"، والطوطم كما يُحدده (Ferguson) يمكن أن يكون طائر أو حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية أو مظهر طبيعي مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً كأن تتخذ القبيلة مثلاً من حيوان معين رمز طوطمي لها. للاطلاع أكثر ينظر: زينب عبد التواب رياض خميس، "الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بإفريقيا"، المجلد 7، العدد 14، مجلة العلوم الاجتماعية الإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2018، ص 243.

وعلى رأي (بليينوس) أن أجسام هؤلاء الناس تحتوي على السم الطبيعي القاتل للأفاعي¹، ويمكن الاستشهاد في عبادة الثعابين بالتمثال المصنوع من البرونز لثعبان كان يقدس في هضبة تيبازة الذي حطمته القديسة "سالسا" (sainte salsa) برميهِ وعوقبت على فعلتها، وكان ذلك في القرن الرابع للميلاد².
ما يتوصل إليه من خلال الدراسة السابقة أن سكان بلاد المغرب القديم قد قدّسوا الحيوانات إما لرغبة وخوف أو لأهميتها في حياتهم ومعيشتهم حيث استعمل بعضها في العلاج والدواء، مثال ذلك الثعابين.

3. عبادة القوى الخفية والكواكب:

يتبلور شعور القداسة عند سكان بلاد المغرب حول عدد كثير من الأشياء المختلفة، فقد كان القوم يعتقدون في ظهور القوى الخارقة للطبيعة في المناطق المحيطة بالريف، حيث كان الاعتقاد بالجن منتشراً في بلاد المغرب القديم، والجن أرواح كثيرة لا يحصى عددها³.

كما عرفوا عبادة الشمس والقمر فقد توفرت الكثير من الأدلة الأثرية النصوص القديمة التي تبين هذه العبادة عند سكان بلاد المغرب القديم.

¹ Pline L'ancien, T. 6, p. 25.

² سليم سعيدي، "الثعبان ودلالاته في المغرب القديم"، المجلد 2، العدد 4، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، ديسمبر 2020، ص ص 177-186.

³ محمد الصغير غانم، سيرتنا النوميديّة...، ص 139.

1.3. الجن:

سبق الذكر أن الاعتقاد بالجن كان منتشراً في بلاد المغرب القديم، وهي مجهولة لا تراها الأعين البشرية تسكن باطن الأرض والجبال، التي تفضل مغادرتها ليلاً عبر منابع المياه والأشجار¹.

وتقرب الإنسان للروح المقدسة وسعى إلى تحسين العلاقة معها بأداء الطقوس السحرية كتقديم أضاحي على أبواب المنازل، وقرب منابع المياه والآبار وذلك لإبعاد الأرواح الشريرة²، وهناك إمكانية في ظهور روح الجن أن تظهر في الإنسان وهو ما طرحه القديس "أوغطيسن" بقوله: [ما هو الجنى إنه إله مفترض في كل ما هو خارق وله قدرة في مجاله]³.

حسب المعتقدات القديمة أن للجن قدرة خارقة في تعليم العلوم النافعة وتقديم الأدوية والكشف عن الغيب، كما تمنح الخصوبة للنساء والثراء للرجال وتجلب الرفاهية للبيت حين تسكنها لذلك وجب حسن معاملتها⁴.

تم التطرق سابقاً أن الجبال كانت تسكنها الجنون وهو ما تحدث عنه (بلينيوس) حيث أشار إلى الأساطير الذي ذكرها الكتاب القدامى عن جبل الأطلس الذي سكنته الجنون⁵.

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 132.

² محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة، ص 139.

³ Augustin (st.), cite de dieu, trad. Gabriel videl, T.1, libraire Bruhet, Alger, 1930, p. 13.

⁴ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, pp. 132-133.

⁵ Plin L'Ancien, 6, p. 07.

حيث عثر على نقيشة لاتينية بالقرب من "أومال" (Aumale) مهداة إلى جني الجبل "باستوريانينس" والذي يحمي الناس من غضب الرياح حسب اعتقادهم¹.

نظراً لحاجة السكان إلى الحماية قاموا بالاتصال مع الجن سواء في المغارات أو في منبع الماء أو الجبل أو الشجرة².

ومن الدراسة السابقة لعبادة الينابيع والأودية لنقوش المهداة إلى جني الوادي (Flumimis Genia) وذلك بنبع بومرزوق بالقرب من "سيلا"، وعثر على نقيشة أخرى مهداة إلى جني وادي "أمساجا" (Amsaga)³.

ذكر (عمران عبد الحميد) عبادة الجن في قوله: [أن عبادة الجنون في بلاد المغرب أنها عبادة محلية خالصة ومنتشرة في كامل المنطقة إذا وجدت في مختلف الأقاليم الطرابلسية إلى موريتانيا وفي المدن الهامة كما في القرى، وفي المدن الأصلية قبل الاحتلال الروماني ووجدت أكثر آثار عبادتها في نوميديا وخاصة في سيرتا والاتحاد السيرتي وثيرموقادي ولمبيزي* وغيرها]⁴.

وما يفهم من هذا القول أن الهدف من وراء هذه العبادة هو التقرب من الآلهة والاستفادة من خيراتها ودفع شرورها، إضافة إلى أصلها المحلي وهذا لا

¹ Bassét (Henri.), op-cit., p. 04.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, pp. 134-135.

³ Bassét (Henri.), op-cit., pp. 09-10.

* لمبيزي: بلدية تازولت حالياً، شرق باتنة (شمال شرق الجزائر).

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 48.

يمنع من تكريس الرومان لتلك العبادة ذلك كوسيلة للتقرب من بعض السكان واستغلالها في سياسة السيطرة على المنطقة.

2.3. الكواكب:

من أهم الكواكب التي قدّسها الإنسان المغاربي القديم هو كوكب الأرض الذي جسد إلهة الأمومة عن البدائيين وهذا راجع لفضله في احتضان سطحه للنباتات التي تخضر وتتمو، ثم تينع وتيبس في دورتين متتاليتين عرفتا بإلهتي الحياة والموت في ميثولوجيا ما بين النهرين.

حيث تعتبر الأرض الوسط الأساسي الذي احتواء كل الكائنات الحية التي بين بينها الإنسان، أما السماء بعد ما صعد (الإله آنو) إليها نتج عن التزاوج بينهما الخصب، فهي إذن أم للجميع بما فيها البشر¹.

ويقتصر في هذه الدراسة إضافة لكوكب الأرض، الشمس والقمر لتوفر الكثير من الأدلة الأثرية والنصوص القديمة التي تشير إلى عبادتها من طرف سكان بلاد المغرب القديم.

1.2.3 الشمس:

أشار (هيرودوت) إلى أن سكان بلاد المغرب القديم المستقرين حول بحيرة تريتون* باستثناء النسامون الذين كانوا يلعبون الشمس لأنها تؤذيهم فإن بقية سكان

¹ سيتيفاني م دالي، أساطير من بلاد النهرين، تر: نجوى نصر، ط1، بيان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، 1997، ص ص 29-34.

* بحيرة تريتون: لم يتفق كتاب الأساطير والمؤرخون والجغرافيون القدماء والمحدثين على تحديد مكان هذه البحيرة الواردة في الأساطير الإغريقية، إذ من خلال المصادر القديمة يتبين أن هناك العديد من البحيرات التي يطلق عليهن اسم تريتونيس أو تريتون، أما بالنسبة لبحيرة تريتونيس الواقعة في ليبيا القديمة فيحدد هيرودوت مكانها فيقول: [ويلي اللوتواقي (أكلة اللوتس) على طول البحر يوجد "الماخليس" (Macheles) وهؤلاء أيضا يستعملون اللوتس ولكن على درجة أقل من الذين تم ذكرهم سابقا، وهم يمتدنون حتى نهر كبير اسمه تريتون، والذي يصب في بحيرة تريتونيس العظمى، ويوجد في هذه البحيرة

المنطقة من البدو والرعاة كانوا يقدمون القرابين لها من أجل الحصول على بواكير المحاصيل، بقطع جزءاً من أذن الأضحية وترمى إلى الأعلى، ويلوى عنقها¹. وفي جانب آخر فقد ورد ذكر لقبيلة الأطلس التي تحدث عنها بلين الأكبر عن سكانها الذين يسبون الشمس سباً مقدماً عند الشروق أو الغروب لأنها تسبب لهم البلاء ولحقولهم².

أما نص شيشرون* الذي يخبرنا باستقبال ماسينيسا للقائد الروماني "سيبيون الإميلي"³، حيث جاء في سياق دعائه الشكر للشمس والكائنات السماوية الأخرى التي وهبته رؤية سكيون في حياته وقصره**.

جزيرة اسمها فيلا (Fela). فوزي عبد الله الكيلاني، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، 2011، ص 66.

¹ Hérodote, 4, p. 188.

² علي فهمي خشيم، نصوص...، ص 115.

* شيشرون cicéron (106-43 ق.م): ولد شيشرون ببلدة أرينوم في أراضي القولكسي (حوض نصر ليريس)، أرسله أبوه إلى روما للدراسة، في عام 89 انخرط في الجيش تحت قيادة بومبيوس خلال الحرب الإيطالية، حيث التقى بابنه بومبي الكبير، قد تقلد عدة مناصب منها: الإيديل، البريتور، كما مارس المحاماة واشترك في الحياة العامة، عين قنصلاً سنة 63 ق.م، وتميز بشخصية متعددة المواهب مثل: المحاماة والسياسة، الأدب والفلسفة، الترجمة والشعر.

بعد موته نشرت له مجموعة من الرسائل التي كان أغلبها موجه إلى أصدقائه وأقربائه، وصل منها 864 رسالة. لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد اللطيف أحمد علي، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص ص 16-20. أو شيشرون، علم الغيب في العالم القديم، تر: توفيق الطويل، مكتبة الآداب، مصر، ص ص 07-06.

³ سيبيون الإميلي Scipion Emilianus (184-129 ق.م): تبنته قبيلة كورنيليا حيث أصبح حفيد سيبيون الإفريقي بالتبني، تعلم الثقافة الهلينية وذلك بتقربه من المؤرخ بوليبيوس، دخل الميدان العسكري وتقلد عدة مناصب عسكرية منها قاضي عسكري وقائد الجيوش الرومانية التي كلفت بحصار مدينة قرطاجة أثناء الحرب البونية الثالثة عام 146 ق.م، ويعتقد أنه توفي مقتولاً. محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة ...، ص 142.

تناول (بل الفريد) هذه العبادة في قوله: [توجد في الشمال الإفريقي مراسيم قديمة غرضها في الغالب هو أن تطرد عن المسكن والحقل، والمحصول أو القطيع الأرواح المؤذية والشياطين التي تسكنها وتهدها، أو أن تهدئ من غضبها، وأن تستجلب رضاها بالقرايين]¹، وتحدث هذه الطقوس في موسم الخريف حيث يبدأ الحرث أو الربيع موسم النماء، أو الصيف موسم جني الثمار، وهذه أوقات السنة الزراعية المربوطة بالتقويم الشمسي.

قد اتخذت للشمس شكل القرص على النقوش الصخرية والمزهريات في المقابر بمنطقة تيديس²، كما انتشرت هذه العبادة في مدينة ليكسوس (مستوطنة فينيقية) التي عرفت باسم مدينة تشميش (Themich) أي مدينة الشمس³، وقد تم اكتشاف فيها كتابات تحمل عبارة (M Q M S M S) وترجمتها (مدينة) أو محل إقامة الشمس⁴.

2.2.3. القمر:

اقتترنت عبادة القمر بخصوبة المرأة واعتبرها حاميتها، ثم اتخذ فيما بعد مقياسا للزمن مهيمن على الهواء⁵.

^{**} ورد في قول "سببيون الإميلي" الذي شكر فيه الشمس: [أشكرك أيتها الشمس العالية جدا، كما أشكرك أيتها الكائنات السماوية الأخرى، بأن وهبت لي قبل أن أغادر الحياة رؤية "كرنيليوس سببيون" في حياتي ومملكتي وقصري، قال "ماسينيسا" ذاك وقد دمعت عيناه]. عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 30-29.

¹ الفريد بل، المرجع السابق، ص 60.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 31.

³ محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، 1982، ص 91.

⁴ عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص 141.

⁵ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة ...، ص 145.

من الملاحظ أن عبادة القمر كان ينظر إليها حسب الفائدة المرجوة منها سواء النفع أو الضرر حيث وجدت العديد من النقوش الإهدائية اللاتينية المكرسة لعبادة الشمس في السهول الأوراسية، في منطقة شرشال والقمر بالقرب من سيدي علي بلقاسم بتونس¹، وانتشرت في بلاد المغرب القديم ودليل ذلك أن القرطاجيين يقطعون اليمين بأسماء الآلهة، إذ ورد في المعاهدة بين حنبعل وبين "سفير فليب" ملك مقدونيا: [...بمحضر الآلهة التي يحاربون معنا الشمس والقمر والأرض...]². وقد وضع القرص ما بين قرون الحيوانات كالكبش والثور في بلاد المغرب القديم أي أن تلك الأشكال هي تمثيل للهِلال والقرص أي رموز لإله الشمس وإله القمر المنتشرة عبادتها في الصحراء الكبرى والمغرب منذ عصور ما قبل التاريخ³. كما أشار (هيرودوت) إلى عبادة القمر بالخصوص ما بين بحيرة تريتون ومصر⁴، حيث استثنى سكان منطقة بحيرة تريتون الذين عبدوا الإلهة "أثينا" وكانوا يقدمون الأضحية للشمس والقمر فقط لأنهم لا يعرفون غيرها. أرجع (البرغوثي عبد اللطيف محمود) عبادتها وتقديسها لوجود أرواح في الظواهر الطبيعية الناتجة عن تفاعل سكان المنطقة ببيئتهم الصحراوية والسماء العالية الصافية مما يجعل تلك الظواهر تتسجم أكثر وتبدو أكبر حجما وتألقا وكذلك الحال بالنسبة للشمس والقمر⁵.

¹ Bassét (Henri.), op-cit., p. 11.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T, 4, p. 223.

³ عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص 141.

⁴ Hérodote, 4, p. 188.

⁵ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، ج1، مكتبة النور، تامنغست، الجزائر، ص 128.

تجدر الإشارة إلى أن عبادة الشمس والقمر قد استمرت لفترات طويلة من الزمن، وهو ما يؤكد (ابن خلدون) أن سكان شمال إفريقيا قد عبدوا الشمس والقمر¹، وهو ما تثبته النصب الموجودة في معبد الحفرة بقسنطينة. (الشكل رقم 03 - أ وب - ص 387).

وقد نظر سكان بلاد المغرب القديم إلى السماء على أنه طبق مرصع بالنجوم، إلا أن الشمس هي الأكثر حضوراً في رسوماتهم ومنحوتاتهم إضافة إلى النقوش التي تؤكد عبادة الشمس والقمر.

ثانياً: عبادة البشر والطقوس الدينية والجنائزية

أدرك الإنسان الأول بوجدانه أن روحه بحاجة إلى قوة تحميه ويأوي إليها فاعتقد أن أباه الذي يظهر له في الحلم هو هذه القوة الخفية فيعبده ويذبح له القرابين ويتخذ من قبره مزار وتنشأ من هنا عبادة أرواح الأسلاف والملوك. بالرغم من طول الفترة الزمنية المدروسة، سيتم التعرف على الطقوس الجنائزية والأثاث الجنائزي الذي يعتبر تفسيراً لاعتقاد الإنسان المغربي القديم بالحياة الأخرى بعد الموت لذلك شيدت المقابر التي عرفت تطوراً عبر المراحل التاريخية لبلاد المغرب القديم.

1. عبادة البشر

تضاربت الآراء ووجهات النظر حول الأصول المتعلقة بظهور عبادة البشر حيث ظلت معظم القبائل الإفريقية على ارتباطها التعبدى الوثيق بالطبيعة وأرواح الأجداد السلف؛ ذلك أن الإنسان عنده فطرة التوجه نحو وجهة عليا تفوقه قوة وقدرة، نتيجة إحساسه الدائم بافتقاره لقوة تحميه من سطوة الطبيعة، لهذا فقد لجأ

¹ عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، بيروت، 1979، ص 185.

إلى ما يعرف بأرواح الموتى¹، كما عرف سكان المغرب القديم عبادة الإنسان للإنسان، هذا استنادا على النقوش الأثرية وكتابات المؤرخين القدماء والمحدثين.

1.1. الأسلاف

إن إيمان سكان بلاد المغرب القديم واعتقادهم راسخ بتجول أرواح أجدادهم في الكون، ويستدل في ذلك توجيه الموتى إلى مشرق الشمس عند الدفن². دلت المكتشفات الأثرية على الاهتمام بالموتى ما وجد في ثقب الجدران المخصصة للأصاحي والقرايين، والتي وجدت في العديد من الأضرحة الملكية النوميديّة والموريتانيّة مثل: (مدراسن) "باتتة" و(قبر المسيحية) "تيازة"، (الجار) "تيارت"³.

اتبع سكان بلاد المغرب القديم باستثناء قبائل الناسامون* طريقة الدفن مثل الإغريق، وهذا استنادا لقول هيرودوت: [كان الليبيون الرجل يدفنون موتاهم على نحو ما يفعل الإغريق باستثناء الناسامون (Nasmons) الذي يدفنون موتاهم في وضعية الجلوس، لذلك فهم يحرصون على أن يكون الشخص جالسا عندما يسلم روحه، ويمنعه من أن يموت ممددا على ظهره]⁴.

¹ وردة لواتي، مراد بن قيطه، "عبادة الأسلاف في إفريقيا جنوب الصحراء (الجزور والطقوس)"، ص 02.

² Gsell (st.), T.1 (Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine), paris, 1932, p. 269.

³ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 41.

* الناسامون (Nasmons): هم مزارعون ورعاة، ففي الصيف يتركون قطعانهم قرب الساحل حيث يتوفر الكأ وينزحون نحو أوجلة لقطف الثمار، وهذه الصورة تؤكد أن منطقتهم تضم مجالين: على الساحل في فصلي الشتاء والربيع، ومجال الواحات في فصل الصيف لجمع محاصيلهم، وهما مجالان متكاملان. هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، تر: مصطفى الأعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2008، ص 61.

⁴ Hérodote, 4, p. 190.

يستنتج من هذا القول أن الليبيين الرحل يضعون الميت ممدوداً ويتم ذلك بالحرص أن يكون جالسا عند خروج روحه، كما توجد طريقة أخرى للتخلص من جثة الميت برميها في البحر¹.

حيث أكد (هيرودوت) أن النسامون قد قدسوا أسلافهم لدرجة أنهم كانوا يقسمون بهم بوضع أيديهم على قبور الرجال الذين اشتهروا بأنهم كانوا أكثر عدلاً وأحسنهم خلقاً ثم يقسمون بهؤلاء الرجال².

كما يذهبون إلى قبور أسلافهم لإقامة الصلوات ثم ينامون ويعتبرون كل ما يأتيهم من الأحلام هو وحي وعليهم أن يقومون بتنفيذه³، ويفسر هذا المعتقد أن للميت قدرة على الاطلاع بما سيحدث في المستقبل والتبليغ به.

يمكن الإشارة إلى أن عبادة الموتى قد اقتصرت على الأشخاص ذو المكانة والاعتبار أثناء حياتهم وهذا ما استدل به الأثريون بوجود عدد كبير من قبور الآخرين حول مدافنهم⁴.

وهو ما أكدّه (غانم محمد الصغير) في حديثه عن قبور المنطقة الصحراوية المنتشرة من "قزان" إلى موريتانيا وذلك منذ فترة ما قبل التاريخ التي تحتوي على معابد صغيرة، كما شكلت قبور "التيميلوس" -سوف نفصل فيها أكثر ضمن

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 132.

² علي فهمي خشيم، نصوص...، ص 49.

³ Hérodote, 4, p. 172.

⁴ جيهان ديزانج، "البربر الأصليون"، المرجع السابق، ص 450.

المبحث الموالي- دورا هاماً، ووجدت معابد لممارسة طقس الرؤية والتنبؤ بالمستقبل¹.

بقيت هذه العبادة متوارثة عبر الأجيال لتصبح أن للأولياء الصالحين قدرة على تحقيق مطالبهم.

2.1. الملوك

اتخذت عبادة الملوك في بلاد المغرب شكلاً خاصاً من التبجيل والمهابة ففي كثير من الأحيان تقدم ضحايا بشرية كقربان أثناء دفن الزعيم، أي عبادة ملوكهم أثناء حياتهم وبعد مماتهم².

تضاربت الآراء حول هذا الموضوع وتاريخ بداية هذه العبادة ومن أهم الملوك نجد "يوباً" (juba) و"هيمصال" (Humbsal)، و"غلوسا" (Gulusa) و"ماسينيسا" (Massinissa) وبعض الأشراف الذين عرفوا بالاستقامة³.

أشار "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) إلى أن الملك قد مثل دور القائد الحربي ويمسك مجموعة من القبائل تحت سلطته ثم يصبح مقدساً إما بإرادته بفرض ذلك مقتدياً بالبطالمة، أو لميل السكان لعبادة السكان وتأليه ملوكهم، وقد يكون "ماسينيسا" هو أول من أراد تقوية سلطته فأضفى عليها طابعاً تأليهاً ومن ثمة اتبع أسلافه نفس النهج⁴.

¹ محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة...، ص ص 38-39.

² ورده لواتي، مراد بن قيطه، المرجع السابق، ص 09.

³ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 43.

⁴ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p.132.

ويستند هذا الرأي على نقيشة "دوقة" التي وجدت بالقرب من ضريح "ماسينيسا".*

وفي المقابل يشكك (فنطر محمد حسين) في الاعتقاد بتأليه "ماسينيسا" معتمدا على نفس نص النقيشة الذي يتضمن إلا لقبه كملك¹، وأقيم له معبد بعد وفاته بعشر سنوات و يعد هذا تفسير إلى أن الملوك ينظر إليهم على أنهم آلهة إلا بعد موتهم².

أما "تيت ليف" (Tit live) تحدث عن تضرع الأميرة للآلهة وكانت تعترف بذلك بأن الملك هو هبة من الآلهة³.

واستمرت عبادة الملوك حتى أثناء الاحتلال الروماني من بينهم الملك (يوبا الأول) و(يوبا الثاني) الذي رسم صورته على العملة هو مغطى الرأس بجلد أسد⁴

* نقيشة دوقة: كتب نصها على كتلة حجرية بلغ ارتفاعها حوالي 0.33 سم وعرضها 0.86 سم وسمكها 0.52 سم، عثر عليها بالقرب من معبد دوقة سنة 1904م وهي في حالة جيدة فيما عدا بعض التهشيم البسيط الذي شوه بعض نهايات الأسطر، وقد اشتملت على نوعين من الكتابة البونية والليبية، الأولى في أعلى الكتلة الحجرية وتعد خمسة أسطر، والثانية برموز ليبية ويشتمل على 7 أسطر، ثم يختتم النص ككل في السطر 12 بكتابة بونية، محفوظة حاليا بمتحف باردو بتونس العاصمة. للاطلاع أكثر على محتوى النقيشة ينظر: محمد الصغير غانم، نقيشة دوقة الأثرية "دراسة لغوية-تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 9، العدد 10، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1998، ص ص 101-102.

¹ عبد الرحمن خلفه، المرجع السابق، ص 62.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 132.

³ live (Tite.), histoire romaine collection des auteurs latins, direction M. Nisard, Dubochet et compagnie éditeurs, paris, 1839, pp. 11-12.

⁴ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 131.

ويستدل على ذلك بضريح "المدراسن" و"الخروب" إضافة إلى قبر الرومية¹.
وقد حاول الرومان استخدام عبادة الإمبراطور كوسيلة للسيطرة والرومنة، إلا أنها قُبلت بالرفض من طرف المغاربة ولم تلقى إقبال كبير منهم، وقد كان أغلب عباد الأباطرة إما رومان أو مترومينين لأجل مصلحة².
ما يمكن التوصل إليه هو أن عبادة الملوك ماهي إلا اعترافاً بمجهوداتهم ودورهم في خدمة الأهالي قبل مماتهم.

2. الاعتقاد في الحياة الأخرى

إن اهتمام الليبيين القدماء بدفن موتاهم يدل على أنهم كانوا يؤمنون بنوع من الحياة بعد الموت³.
كما عرفوا سر العالم الآخر منذ طفولتهم، من خلال تلقين الأطفال وتثبيتهم لما بعد الموت⁴.

إضافة إلى ذلك فإن سكان بلاد المغرب القديم قد وضعوا الأثاث الجنائزي مع الموتى مثل الأواني الفخارية وأدوات الزينة (الأمشاط والعقود، قطع من الجلد وبعض التماثيل والتعاويذ) التي كانت توضع لحماية الميت وطرده الأرواح الشريرة

¹ محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 222.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 45.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 133.

⁴ للاطلاع أكثر ينظر: محمد بن عبد المؤمن، تطلعات سكان بلاد المغرب القديم لما بعد الموت من خلال النقوش الجنائزية، جامعة وهران، ص 492.

عنه -سنتطرق لهذا الموضوع بأكثر تفصيل في الأثاث الجنائزي- وهو دليل على إيمان الليبيين بوجود الحياة الثانية¹.

تباينت الآراء حول العوامل المكونة لها وتاريخ بدايتها عند الإنسان القديم حيث يرجعها البعض إلى العصر الحجري الحديث وذلك عندما ارتبط الإنسان بعالم القوى الطبيعية المتحكمة في إنتاجه الزراعي، الذي توصل من خلاله إلى الأبدية في الحياة الإنسانية والحيوانية، النباتية والكواكب وتكرارها هو ما جعله يعتقد ذلك، غير أن البقايا الأثرية التي سبق ذكرها ترجع هذا الاعتقاد إلى العصر الحجري القديم الأوسط².

ويرجع بعض مؤرخي الأديان أن إعادة الميت إلى الأرض بدفنه فيها هو إعطائه حياة جديدة باعتبار الأرض هي الأم المنتجة للحياة بامتياز³، وقد عرف المغاربة القدماء جملة من الممارسات الجنائزية التي تقر بهذا الاعتقاد ومنها توجيه أمواتهم نحو الشرق، الذي يدل على ولادة يوم جديد والصحون المملوءة زادًا ومتروكة على ذمة الجثث تشير إلى إيمانهم باليوم الآخر⁴.

في ظل غياب الأدلة كالنصوص الكتابية والأساطير، لخص "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) اعتقاد سكان بلاد المغرب في الحياة الأخرى بما يلي: [... إننا نجهل جهلاً تاماً الأفكار التي لا شك أنها كانت مختلفة، والتي كانت

¹ محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراطي، طرابلس، 1969، ص 179.

² رشيد الناضوري، المغرب الكبير...، ص 105.

³ عبد الرحمن خلفه، المرجع السابق، ص 58.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 80.

لدى الأفارقة القدماء فالكثير منهم استطاعوا الاعتقاد بوجود الروح التي لا تنتهي بعد الموت إلا بفناء الجسم الذي هو سندها...¹.

ما يستخلص من هذا القول أن الموت ما هو إلا بوابة إلى العالم الآخر، فهو ظاهرة طبيعية لنهاية الإنسان وتركيبته ذلك لأنه خلق ومعه حياته ومماته فإذا انفصلت روحه عن جسده الذي لا يعود إلى الحياة، بل تعود الروح التي تحيا حياة أخرى في العالم السفلي والوصول إليه يكون عن طريق التصرف في جثة الميت لضمان لاستقرارها في الحياة الثانية، إضافة إلى أن الهدف من هذه الممارسات هو إيجاد وسيلة تواصل بين الأموات والأحياء، والسعي وراء الخلود في العالم الآخر وهو حال بقية شعوب الحضارات القديمة الأخرى.

3. الشعائر والطقوس الجنائزية

لدراسة الجانب الديني لبلاد المغرب القديم نحتاج إلى شرح معنى الشعائر* وتحليل الطقوس الجنائزية، هذه الأخيرة التي تنعدم فيها الشواهد الكتابية خاصة بفترة ما قبل التاريخ وفجر التاريخ، فدراستها تسمح بالاطلاع على معتقداته غير أن الاعتماد على البقايا المادية بمفردها قد يؤدي إلى الابتعاد عن الحقيقة وإعطاء صورة مغايرة عن معتقدات إنسان المنطقة².

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 244.

* الشعائر: ج: شعيرة وهي طقوس تعبدية تصدر عن الأشخاص طوعا قصد إرضاء المعبود والتقرب إليه. ابن منظور لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص ص 2276-2277.

² Camps (G.), mouvements et rites funéraires, protohistoriques, paris, 1961, p. 461.

كان تطور الطقوس الجنائزية بطيئاً وذلك لاختلاف المناطق والعوامل الجغرافية لبلاد المغرب القديم حيث قسم "كامبس" (Camps) المنطقة إلى ثلاث مجموعات ليبية هي: الجيتول* والموريين** والنوميديين***، لكن الحدود بين أنواع الممارسات الجنائزية غير واضحة فلا تتفرد أي منطقة بطقوس خاصة بها تماماً فالتنوع هنا يخفي الوحدة¹.

وتضم الطقوس الجنائزية طرق الدفن والأثاث الجنائزي وسيتم التطرق في هذا الجزء من الدراسة إلى طريقة التعامل مع جثة الميت والتي تنوعت بين طلاء الجثث بالمغرة وحرقتها (الترميد)، التحنيط.

1.1.3. طلاء الجثث بالمغرة

تمت الإشارة سابقاً إلى أن سكان بلاد المغرب القديم لديهم اعتقاد بالحياة الأخرى والخلود التي أخذوها عن جيرانهم المصريين²، كما اعتقدوا أن اللون يعوض الدم الذي يسري في الجسم، وبذلك فالميت يواصل الحياة في قبره وهو ما

* الجيتول: من السكان الأصليين لبلاد المغرب القديم، استوطنوا السهوب والحد الشمالي للصحراء فيما بين المحيط الأطلسي وفزان شرقاً امتنوا الرعي. محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 191.

** الموريين: لفظ من أصل فينيقي تعني الغرب، وهم السكان الذين استوطنوا القسم الغربي الممتد من واد ملوية إلى المحيط الأطلسي. نفسه.

*** النوميديون: هم مجموعة قبلية مارست سيادتها على أوسع رقعة من المغرب الأوسط، يجاورون القرطاجيين غرباً ويمتد تواجدهم إلى نهر الملوية غرباً، حيث وسع العاهل ماسينيسا الحدود الشرقية، حتى بلغت خليج السرت الكبير غير أن تلك الحدود تقلصت فيما بعد على يد القوات الرومانية بعد إلقاء القبض على يوغرطة، وانحصرت بين الوادي الكبير شرقاً إلى غاية وادي الملوية غرباً، وأصبح إقليمهم يعرف بموريتانيا القيصرية. محمد الصغير غانم، النصب البونية...، ص 171.

¹ عبد الرحمن خلفه، المرجع السابق، ص 57.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 133.

يزيد في سعادة الأحياء ومن ثمة يمكن القول بأن طلاء الجثة بالمغرة كانت من بين الطقوس الجنائزية التي مارسها المغاربة القدماء منذ عمقهم التاريخي¹، حيث عثر على بقاياها في العديد من الكهوف بالغرب الجزائري العائدة إلى الحضارة العاترية²، كما تم ممارستها في الحضارة القفصية خلال العصر الحجري الحديث³.

أما هيرودوت فقد أشار إلى أن الماكسيس⁴، والجيزانت⁵ كانوا يستعملون المغرة⁶.

ووجد بإحدى مقابر ملوك الجرامنت غرف جزئها العلوي مطلي بالمغرة الحمراء، وكما وجدت بعض الجلود عليها بقع حمراء واضحة، ومن الممكن أنها قد تكون نتيجة لممارستهم لطقس طلاء الجثة بها. (الشكل رقم 04 ص 388).
تجدر الإشارة إلى طريقة الحصول على المغرة (Ocre) التي تأخذ اللون الأحمر باستعمال الطين الأحمر وبقايا أكسيد الحديد (Hématique)⁷.

أما "كامبس" (Camps) فيرى أن اللون الأحمر الذي تطلّى به الجثة هو الأهم ولا يهم نوعية المواد المستعملة في الحصول عليه⁸، واللون الهدف منه إعادة

¹ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 218.

² عبد الرحمن خلفه، المرجع السابق، ص 57.

³ Gsell (st.), p. 272.

⁴ علي فهمي خشيم، نصوص...، ص 64.

⁵ نفسه، ص 67.

⁶ Hérodote, 4, pp. 191-194.

⁷ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 218.

⁸ Camps (G.), op-cit., p. 522.

القوة للميت¹، ففي اعتقاد سكان بلاد المغرب القديم أنه كلما قاومت الجثة عوامل الفناء كلما شعر الأحياء بالسعادة.

2.1.3. حرق الجثة (الترميد)

عرف سكان بلاد المغرب القديم الحرق منذ العصر الحجري الحديث حيث تم التعرف على هذا النوع لأول مرة داخل مغارات (تيفريت)، كما أشار كامبس إلى أنها قد اختلفت بين الشرق والغرب الجزائري موضحا أنها تكون قد انتشرت بهذا الأخير مع فترة فجر التاريخ².

عرفت هذه العملية نوعين: الحرق الجزئي - الحرق الكلي.

1.2.1.3. الحرق الجزئي

هي عملية تجرى على الجثة من أجل تجريدها من اللحم بحيث تحرق الجثة حتى تبقى العظام وحدها، وتترك هذه الطريقة آثار الحرق على العظام كتغير اللون، والشقوق أو التشوهات دون اندثارها كلياً وتتركز أساساً في الجزء الشمالي للجزائر³.

2.2.1.3. الحرق الكلي

أكد "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) أن طقس الإحراق هو عادة مستجلبة من الخارج⁴، ولا يستبعد أن يكونوا قد أخذوها من الفينيقيين بعد امتزاجهم

¹ محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني...، ص 63.

² Camps (G.), op-cit., p. 465.

³ اصطيافان اكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التارزي سعود، ج6، المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص ص 210-215.

⁴ نفسه، ص ص 153-154.

بهم مثل غيرها من العادات الأخرى التقاليد¹، حيث يتم الحرق الجثة بصفة كلية إلى أن تصبح رمادًا وتركز أساسًا في الجزء الشمالي الغربي عشر عليها في تيارت وتلال عين الصفراء ومغنية تلمسان وترجع جذور ظاهرة حرق الجثة كليا إلى العصر النيوليتي بحيث كشف الباحث "دومبرغ. ف" (F.Domergue) على آثار الحرق الكلي بالقرب من تيارت².

يتضح من طقوس حرق الأموات وحفظ رمادهم في وعاء داخل القبور أو خارجها قد يكون دليلا على إيمانهم ببقاء الروح دون الجسد، لذلك لم تكن هذه الشعيرة سوى وسيلة لتحرير الروح العثور وعثر على هذه العادة في مناطق كثيرة يعود انتشارها وممارستها عند الليبيين، تعود إلى العصور الحجرية.

3.1.3. التحنيط

تحنيط الموتى من العادات القديمة ذات الأسرار الغامضة والمحيرة التي ابتدعتها قدامى المصريين وهذا نابع من اعتقادهم أن الموت لم يكن عندهم نهاية كل حي، بل تفارق الروح الجسد فترة، ومن الممكن أن تعود إليه في حالة الحفاظ على جثته سالمة، وترجع فكرة المحافظة على الجسد في البداية إلى عصر بعيد جدا، حيث تجرد عظام الجثة من اللحم، وهذا ليس غريبا عندما أطلقوا على القبر اسم "مكان العظم".*

¹ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 124.

² Camps (G.), op-cit., p. 504.

* للاطلاع أكثر ينظر: أحمد بدوي، هيرودوت يتحدث عن مصر، دار القلم، القاهرة، 1966، ص 193.

كما دفن موتاهم في الصحراء، فرمالها كانت كافية لإحداث التجفيف الذي يحفظ الرفاة البشرية حفظا طبيعيا¹.

ونتيجة التواصل الحضاري لسكان بلاد المغرب القديم مع المصريين من المؤكد أنهم آمنوا بخلود الميت في العالم الآخر، وللوصول إلى ذلك اتبعوا نفس طقوس المصريين القدماء بتحنيطهم للجثة².

حيث ذكر هيرودوت أن طرق التحنيط تنوعت بحسب الطبقات الاجتماعية ومدى الثراء (الطبقة الثرية- الطبقة الوسطى- طبقة الفقراء)³، وتمر خطوات التحنيط بعد أخذ الجثة إلى بيت الطهارة كما كان يسميها القدماء بالمراحل التالية:

أ- الغسل والتطهير بالماء وملح النطرون*.

ب- نزع المخ والأحشاء.

ت- وضع مواد الحشو.

ث- التجفيف.

ج- صب الزيوت والدهون.

¹ ليلي بومريش، "التحنيط في مصر القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15-16، الجزائر 2، جامعة الجزائر، الجزائر، 2013، ص 11.

² محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012، ص 101.

³ أحمد بدوي، المرجع السابق، ص 194.

* استخرج المصريين القدماء ملح النطرون من عدة مواقع في دلتا النيل أهمها: وادي النطرون، واستخدموه في عدة أنشطة مثل حفظ السمك وفي التحنيط، ووجد ضمن القرايين المقدمة للآلهة حيث أطلق عليه اسم (الملح الإلهي).

ح- التكفين¹.

أما (لوت-Lhote) فيذكر أن رسومات قوارب قد زينت صخور الطاسيلي بكل من موقع (تين تزاريفت-Tin Tazarift)، و(تيسوكاي-Tissoukai) و(تامريت-Tamirit)، و(عوان بندر-Ouen Bender)، و(جبران-Jabbaren)، ويشير أنها تعلقت بطقوس ومعتقدات دينية شبيهة بتلك التي كانت توظف من طرف المصريين القدماء للتعبير عن رحلة موتاهم نحو العالم الآخر لكن الشيء المؤكد أن هذه القوارب كانت متشابهة بالقوارب الجنائزية المصرية القديمة من حيث الشكل، وكانت تحمل كل منهما على ظهرها أشخاصا، مما يستخلص على وجود علاقة بشرية، والثقافية بين المصريين القدماء وسكان الطاسيلي، هذا إلى جانب اكتشاف بالمنطقة آثارا لمادة المغرة الحمراء التي رسمت بها صور بشرية، وحيوانية تكون قد تعلقت بطقوس العالم الآخر².

1.2.3. الطقوس الدينية

تعد الطقوس الدينية في بلاد المغرب القديم من الممارسات اليومية والضرورية المكملة للحياة الدينية للمنطقة، فهناك العديد من الممارسات التي تعبر عن الصورة الواضحة للجانب الديني لها، وما يميزها الثبات والديمومة، إضافة إلى صورتها الموحدة والدقيقة وفق نطاق محدود من الأفعال التي تمارس بشكل فردي أو جماعي مثل: طقس القسم والنوم على قبور الأسلاف، أو تقديم القرابين ولا يهم نوع الطقس بقدر أهمية المشاركة في تنشيطه وإحياءه.

¹ أحمد صالح، التحنيط فلسفة الخلود في مصر القديمة، ط1، جماعة حور الثقافية، مصر، 2000، ص 41-51.

² محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت...، ص 100

1.1.2.3 طقس القسم والنوم على قبور الأسلاف

سبق التعرض لهذا العنصر في عبادة البشر، وستتم دراسته من زاوية أخرى وهي طريقة أداء هذا الطقس.

أشار هيرودوت في الكتاب الرابع في حديثه عن قبيلة الناسامون إذا أرادوا أن يتطلعوا الغيب فإنهم، يقصدون مقابر الرجال الذين ينتمون إلى عشيرتهم، والمعروفين بينهم بالعدالة والمساواة وعرفوا بالصلاح في حياتهم وكان ذلك يقتصر على الراغبين في معرفة الأمور الغيبية وما ينتظرهم بحيث يقصدون أحد قبور موتاهم أو أسلافهم ثم يؤدون طقس الصلاة وبعد ذلك يستلقون على المقابر وينامون عليها، وكان الحلم الذي يشاهدونه وما جاء فيه يتم إتباعه وتنفيذه¹.

أما سليمان أيوب فسر بناء القبور ذات المصطبتين المربعتين وضعت بتلك الهيئة لضمان الراحة للنوم والاستلقاء فوق القبر لمن رغب قراءة أحداث المستقبل من خلال اتصاله بأحد الأجداد².

ولعل القسم باسم الأولياء والأنبياء بين المسلمين عامة في أيماننا هذه إنما هو صادر عن عاطفة مشابهة للعاطفة القديمة عند الليبيين تلك العاطفة التي جرتهم للقسم بموتاهم، وهذا دليل على إيمانهم بالحياة بعد الموت³.

ما يمكن التوصل إليه مما سبق أن الموت هو نهاية أجل الإنسان على الأرض وبداية الحياة الثانية، حيث يغيب فيها جسده عن مشاهدة الناس لكن روحه تبقى متصلة بعالم الأحياء وهو في قبره بإخبارهم بما سيقع في المستقبل وعلى

¹ Hérodote, 4, p. 172.

² محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 179.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 134.

أساسه يتصرفون، لذلك اهتم الإنسان القديم ببناء المدافن التي تعددت أنواعها وأنماطها.

2.1.2.3. القرابين

يقصد بالقربان بأنه كل ما يقربه العابد من معبوده إلهاً كان أو روحاً في مناسبة دينية أو موسم محدد من صيده أو محاصيله أو طعامه، طالبا عونه في تحقيق منفعة أو انتقاء شره أو وفاء لنذر، ولا يكون القرбан خاصا بالذبائح، وكان تقديم القرابين إلى بداية ظهور الدين في حياة الإنسان، والهدف من تقديم القرابين إلى الآلهة توطيد الرابطة الدينية بين الإله وبين البشر¹.

يعد تقديم القرابين طقس ديني يتمثل في تقديم أضحية ممكن أن تكون حيوانية أو نباتية أو غيرها يراد منها تقريب الخير أو إبعاد الشر، وقد وجد هذا الاعتقاد انطلاقاً من إيمان القدماء بحاجة الآلهة والأموات من الناس إلى الطعام كحاجة الأحياء إليه، ولم تقتصر على الأكل فقط بل شملت حتى اللباس والحلي وأدوات الزينة، وغيرها من الاحتياجات اليومية كما أنها متفاوتة كمية وقيمة بحسب الوضع المادي للمضحي².

وبخصوص أنواع القرابين فهي متعددة ومختلفة حسب الفترة الزمنية والاعتقاد السائد لدى سكان بلاد المغرب القديم، من خلال ما أشارت إليه الرسوم والنقوش الصخرية وهي: بشرية - حيوانية - غذائية - دموية (إراقة الدماء).

¹ زينب عبد التواب رياض خميس، "قرابين الأضاحي البشرية في بعض المجتمعات البدائية بإفريقيا"، العبر للدراسات التاريخية الأثرية، المجلد 1، العدد 2، مصر، سبتمبر 2018، ص ص 69-70.

² البشير كيحل، الحضور الديني البوني في نوميديا (814-146 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011-2012، ص 41.

أ- القرايين البشرية

قدم الإنسان في البداية خير ما لديه وهي نفسه البشرية قربانا للآلهة، وتنوعت بين الفردية يقدمها الداعي للإله بعد أن استجاب لدعوته فتكون أخذ وعطاء بين الداعي والإله وغالبا ما تكون معنوية أكثر منها مادية، أما الجماعية التي الهدف منها هو إبعاد الكوارث عن المجتمعات كالحروب والمجاعات ثم الطاعون، وفي رأي الأقدمين أن الإحجام عن التضحية يثير غضب الإله الذي يصيب شره جميع أفراد المجتمع¹.

ب- القرايين الحيوانية

تقرب الإنسان المغاربي القديم من آلهته بالعديد من الحيوانات التي اعتبرت مقدسة مثل الثور والكبش، حيث عثر على بقايا من عظام الثور وبعض من أسنانه في العديد من المعالم الأثرية، كمقابر سيلا وبوشان قرب قسنطينة، وأكد الأثريون أن اختيار هذه الحيوانات لم يكن بمحظي الصدفة بل لأنها حملت صفات تميزها عن غيرها من حيوانات المنطقة، كقوة الإخصاب أو القوة الجسدية والتي تحمل في نظرهم صفات إلهية، وبالتالي فهذه الحيوانات ترمز للآلهة لذلك فقد بقيت من أهم القرايين لفترات طويلة².

ت- قرايين غذائية

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2021، ص ص 342-343.

² البشير لكحل، المرجع السابق، ص 42.

عرفت منطقة بلاد المغرب القديم عادات محلية تتمثل في إراقة المشروبات على الجنبات الشرقية لقبور الدولمن والحوانيت، ويعتبر الحليب والماء، الخمر والزيت مواد ضرورية يفضل الأحياء تقديمها كقرايين لموتاهم أو آلهتهم¹.

ث - إراقة الدماء

ارتبط الدم منذ عصور ما قبل التاريخ بقدسية ومهابة جعلت منه رمزا مقدسا مرتبط بالقوة والتجدد والاستمرارية، وكان الاعتقاد السائد دوره في بعث الروح ومن ثم كان هناك الحرص على تقديم القرابين وسفك دم الحيوان على مذبح أو على رأس نصب وقد دلت الحفريات الأثرية على ذلك من خلال كثرة المذابح التي عثر عليها، فالآلهة هي أرباب للناس تتصرف في أمورهم وهي التي تمنحهم الأمن وتوفر لهم الخصب والرزق².

وقد كانت القرابين على موائد، وهي عبارة عن كتل من الحجر المنحوت متفاوتة الأحجام توضع عادة على الجانب الشرقي أو الغربي للمدفن أمام الشواهد والغرض من هذه الموائد هو أن تحمل القرابين التي يقدمها أقارب الميت، سواء للميت نفسه -أو للميتة- أو للآله المرسوم على الشاهد، ويرجع تقليد وضع مائدة لتقديم القرابين للتأثير المصري منذ بداية عهد المملكة القديمة، وذلك لوجود أوجه التناظر بين العديد من أنواع موائد تقديم القرابين التي عثر عليها في فزان وعند

¹ رايح لحسن، أضرحة الملوك النوميدي والمور، دار هوم، الجزائر، 2007، ص 272.

² زينب عبد التواب رياض خميس، "قرايين الأضاحي البشرية"...، ص 70.

مشارف الصحراء، وفي المناطق الساحلية، ومثال ذلك إحدى الموائد التي تشبه كثيرا موائد بلاد المغرب القديم¹.

2.2.3. الطقوس السحرية الدينية

قد يتداخل الطقس السحري بالطقس الديني، ويصعب أحيانا التمييز بينهما إلا أن الفرق يكمن في أن الطقس الديني تتوسط فيه الآلهة بين الأسباب والنتائج بينما الطقس السحري تتوسط فيه قوى غيبية غير محددة وغير مشخصة، لكن يبقى التفريق بينهما أمرا صعبا، كون النتائج المرجوة من الطقوس الدينية والطقوس السحرية تتشابه أحيانا كطرد الأرواح الشريرة والشفاء من الأمراض.

احتل السحر مكانة هامة في حياة الشعوب الإفريقية ويظهر ذلك من خلال الرسوم الصخرية التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ لاسيما في شمال إفريقيا وذلك ما عبرت عنه التقاليد والممارسات المختلفة لدى العديد من القبائل الليبية التي يعد السحر بمثابة حجر الأساس في عقيدتها وفكرها، ويعرف الساحر مكانته المرموقة، فهو يمتلك قوى أعلى من قوى الطبيعة والأرواح والأمراض والأعداء² ولقد عبر الفن البدائي عن ذلك عندما صور لنا هيئات الشامان، التي كانت أهم عناصر الفن الصخري*.

¹ فرج الراشدي، "عادات الدفن عند الجرامنت وعلاقتها بعبادات الدفن عند شعوب أخرى في شمالي إفريقيا"، تاريخ إفريقيا العام، دراسات ووثائق، ندوة اليونسكو، 1914، ص ص 105-107.

² زينب عبد التواب رياض خميس، "الطوطمية بين السحر والدين"...، ص 247.

* الشامانية: دين بدائي يتميز بالاعتقاد بوجود عالم من الغيبيات، وعالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وأن هذا العالم لا يستجيب إلا للشامان أو الساحر "عراف القرية" وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجة المرضى والسيطرة على الأحداث، وهو الوسيط بينهم وبين الإله، كما تعتقد بعض القبائل. زينب عبد التواب رياض خميس، "الطوطمية بين السحر والدين"...، ص 247.

حيث رسم ووشم الإنسان المغربي القديم اليد بأصابعها الخمس وعلق التماائم التي كانت في الأعناق، بالإضافة إلى ارتداء الأقنعة التي وجدت ضمن المرفقات الجنائزية.

1.2.2.3. التماائم والأقنعة

رسخت التصورات الذهنية في نفسية الإنسان القديم، بالقوى الخفية جزءا من تكوين فكر الإنسان هذا عامة، وكان خوفه من المستقبل ومن استمرارية حياته وحياة أقاربه وما يهدد مساره من مخاطر يدفعه للجوء إلى مجموعة من الوسائل والأساليب البسيطة التي بإمكانها أن تؤمن له الحماية سواء في الحياة الدنيوية أو الأخروية، فقام بارتداء الأقنعة واتخذ من التماائم مصدرا روحيا بمفعول سحري مؤثر لطرد الأرواح الشريرة التي بإمكانها أن تؤذيهم مستعملا مواد عديدة في صنعها من حجارة وقواقع وجلد وبقايا بيض النعام وحملت وظائف مختلفة تأتي الحماية في مقدمتها، أرجع الباحثون هذه الممارسات والانفعالات الدينية، لفترة باكورة من التاريخ الإنساني.

كما اعتقد بوجود أرواح شريرة تراقبه وتحاول تعكير مزاجه، فكان يتقي شرها بواسطة الرسم والوشم، حيث علق في العنق التماائم، إضافة إلى ارتداء الأقنعة واتخاذ تعويذات وتماائم، من أجل طرد الأرواح الشريرة والتقرب من الأرواح الخيرة¹.

وقد استعملت في علاج المرضى فالمرضى يرى في تلك الأقنعة حضورا لروح الأجداد التي تأتي له بالشفاء العاجل، إذا لعبت دور دينيا وعقائديا بل

¹ أحمد صفر، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959، ص 122.

وجنائزيا، أما عن أنواع الأقنعة لدى سكان بلاد المغرب القديم يمكن التعرف عليها كما يلي:

- أقنعة تحمل العديد من الرموز التي تشبه رموز الوشم: تستعمل في احتفالات التأهيل (كتقب الجلد وخدشه والختان، سن البلوغ، الزواج، جمع المحاصيل والصيد).

- أقنعة عاجية: تستعمل في الاجتماعات البشرية والممارسات السحرية.

- أقنعة خشبية: تستعمل في الاحتفالات العامة لحماية أفراد العائلة من الشياطين والأرواح الشريرة والجنون¹.

ومنه يتضح أن الأقنعة قد اكتسبت مكانة كبيرة في إرساء القيم الدينية والاجتماعية للفن الإفريقي القديم وتأكيد أعرافه وعاداته وتقاليده، والمساهمة في استمرار أساطيره وطقوسه السحرية.

2.2.2.3. الوشم

عرف الوشم منذ القدم، حيث عثر على جثث تعود للعصر الحجري الحديث بمصر، ظناً منهم كعلاج للحسد، وهناك بعض الشعوب اتخذته كقربان لفداء النفس أمام الآلهة، أما في فجر التاريخ تميز بطابعه البدائي القبلي حيث كانت القبائل تتخذ من بعض الحيوانات حاميا وصديقا لها، فتضعه شارة على بيوتها أو

¹ زينب عبد التواب رياض خميس، "الطوطمية بين السحر والدين"...، ص 252.

سيوفها أو صدور رجالها¹، ويتم رسم الوشم على الوجه أو أسفل أو أعلى الذراع والساق. (الشكل رقم 05 ص 388).

يرى بعض الباحثين أن زخرفة الجسد بالوشم كانت خطوة تأليه للإنسان بعد معرفته للرسم والتصوير الصخري، إذ اتجه الإنسان إلى تزيين جسده بالأصباغ والألوان المتعددة ثم بالوشم والخطوط التي ترافق الجسم مدى الحياة، وكانت وظيفة هذه الرسوم والألوان على جسد الإنسان في البداية ربما لإخافة الأعداء، من خلال ما رسموه من صور ورموز، وأشكال ذات أغراض سحرية².

أما في بلاد المغرب القديم كانت تمارسه الكاهنات، وينجز في أجواء طقوسية مفعمة بالدلالات الروحية، ويقصد به استجلاب نعم الآلهة تانيت ورضاها وانتقاء نقيمتها وغضبها³.

4. طرق الدفن والأثاث الجنائزي

عرف الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض الكيفية التي يدفن فيها الموتى، وقد اختلفت طرق الدفن من فترة إلى أخرى وفق معتقداتها وتقاليدها وطقوسها.

¹ عبد الحكيم خليل سيد أحمد، التحليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012، ص ص 03-04.

² زينب عبد التواب رياض خميس، الوشم في عصور ما قبل التاريخ في مصر، مجلة البحوث التاريخية، العدد 03، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، جانفي 2018، ص 10.

³ مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 282.

1.4. أنواع ووضعية الدفن*

تعتبر شعيرة الدفن عند سكان بلاد المغرب القديم في حد ذاتها طقسا من الطقوس الجنائزية التي وجب اتباعها لصلتها الوثيقة بعقيدة إعادة البعث من جديد في العالم السفلي، باعتبارها حلقة من الحلقات لتحقيق الخلود في تلك الحياة البعيدة تكمن في هيئة وضع الجثة تمهيدا لميلاد جديد¹.

وقد ورد في قول "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell): [ليس مستحيلا أن يكون بعض الأفارقة لم يكفون موتاهم، وأن يكونوا قد تخلصوا منهم بصفة أو بأخرى، وذلك بأن يتركوهم مثلا للكلاب أو الوحوش الضارية أو للطيور المفترسة، أو بإحراقهم ورمي رمادهم مع الريح، أو بإلقائهم في الأنهار أو البحر]².

ما يمكن استنتاجه من هذا القول أن سكان بلاد المغرب القديم عرفوا عدة أنواع في الدفن ومنها:

- دفن الجثة في حفرة رملية ويوضع عليها كومة تراب كتمييز للقبر.
- دفن الجثة وهي في وضعية الجلوس.
- دفن الجثة ممدودة.

* للاطلاع أكثر عن الموضوع ينظر:

- Walzik (Günther.), op-cit., p. 66.

¹ محمد بن عبد المؤمن، "مفهوم العالم الآخر عند سكان بلاد المغرب القديم من خلال الطقوس الجنائزية والتصوير الجداري"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، العدد 8، وهران، 2018، ص 413.

² اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 149.

- إلقاء الجثة في البحر، وكانت هذه العادة نتيجة احتكاك الناسامونيين بالغزاة من أقوام ما وراء البحر، أو كعرفان بالجميل له مقابل ما قدم لهم من خيراته.

- أما عادة الحرق استفرد بذكرها "سيلوس الإيطالي" (Silius Italicus) في معرض وصفه لجنازة الأميرة "أسبتي" (Asbytte)¹.

سيتم التفصيل أكثر في طرق الدفن باستثناء إلقاء الجثة في البحر وعادة الحرق عدم توفر المعلومات التاريخية التي تتناول هذا الموضوع.

1.1.4. دفن الجثة في التراب

توضع الجثة داخل حفرة أو صندوق حجري يضاف إليها التراب ويغطى بحجارة، وذلك لحمايتها من الحيوانات المفترسة، كما تجدر الإشارة إلى أنها ليست قبوراً فقط، بل استعملت كإشارة لتعيين الأراضي أو التبرك بها².

نظرا لغياب المصادر على النوع من طرق الدفن لا يمكننا تقديم المعلومات كافية عنها لأنها لم تصمد أمام المؤثرات المناخية والطبيعية.

2.1.3. وضعية الجلوس في دفن الجثة

وردت عند الباحثين باسم الوضعية الجنينية وسبب هذه التسمية لأن الجثة تأخذ شكل الجنين، وفي اعتقاد السكان أنها ترمز إلى عودة أصله نشأته الأولى³ (الشكل رقم 06 -أ- ص 389).

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 132-133.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 185.

³ Camps (G.), mouvements ..., pp. 472-474.

يتم وضع جثة الميت على جانبه الأيمن أو الأيسر، وتكون الركبتان لا تلامس البطن واليدين لا تلامسان الوجه¹.

وقد تشكل الجثة فور موتها بشكل القرفصاء، حيث تكون الركبتان نحو الذقن والأعقاب لا تلامس الحوض².

أشار "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) إلى هذه الطريقة باعتبارها من أقدم طرق الدفن³، هذا ما أكدته كامبس عند التطرق للإنسان القفصي⁴، وقد تلف الجثة في بعض الأحيان بجلد حيوان أو تقييد الجثة حيث يلامس العقبان (كعب الرجل) عظم الحوض، وتكون الأطراف الأمامية متصلتان بالصدر ولا تلامس الركبتان واليدين الوجه.

اختلف المؤرخون ومن بينهم "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) في تفسير هذه الوضعية فمنهم من أرجعها إلى خوف الأحياء من رجوع الميت وإيذائهم وحجتهم على ذلك القيد الذي تربط به الجثة⁵.

أما (غانم محمد الصغير) فقد فسرها بأن الهدف منها هو استغلال المساحة الباقية للأحياء أو الأموات الذين سيلحقون بهم⁶.

¹ محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني...، ص 62.

² Bleicher, Recherches d'archéologie préhistoriques dans la province d'Oran et la partie occidentale du Maroc, T.11,1875, p. 210.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 206.

⁴ Camps (G.), op-cit., p. 468.

⁵ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 236.

⁶ محمد الصغير غانم، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني...، ص 62.

كما سلف الذكر حديث لهيرودوت عن طريقة الليبيين الرحل - باستثناء الناسامون - الذين يدفنون الميت في وضعية الجلوس¹.

3.1.4. الوضعية الممدودة

في إشارة سابقة لتفسير (غانم محمد الصغير) لوضعية دفن الجثة على شكل الجلوس لاستغلال مساحة أقل لذلك فإن الوضعية الممدودة كانت أقل انتشارا في بلاد المغرب القديم². (الشكل رقم 06 - ب - ص 389).

غير أن هيرودوت يؤكد أن الليبيين يدفنون موتاهم على طريقة الإغريق وفي المقابل الاكتشافات الأركيولوجية تقرر عكس ذلك، إذ يبقى الوضع المثني أكثر انتشارا من غيره ويرد "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) سبب ذلك إلى التأثيرات الأجنبية³.

أما شكل الجثة فتكون ممددة الأطراف حسب امتداد الجسم، ويكون الوجه موجه في بعض الحالات نحو الشرق كما هو الحال في قبور البازيناس - سوف نفصل فيها أكثر في دراستنا للمقابر - وتفسر هذه الوضعية بعبادة الشمس⁴. (الشكل رقم 06 - ج - ص 389).

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 132.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 80.

³ اصطيغان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 153.

⁴ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, p. 269.

يعود اختيارها إلى سهولة وضعها في الغرفة الجنائزية¹، وقد وجدت بكثرة في بلاد المغرب القديم ما عدا المناطق الصحراوية التي لم يعطي سكانها أهمية لهذه الوضعية (المتمدد) إلا استجابة لأوامر الدين الإسلامي². كما عرفت طرق الدفن عدة أنواع أخرى، سيتم عرضها بشكل مختصر وهي كالآتي:

- الدفن الفردي: شمل الوضعيات السابقة، وقد أرجع "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) سبب ذلك إلى عدم إزعاج الميت في مسكنه³.
- الدفن الجماعي: تحتوي مدافن هذا النوع على عظام أشخاص ينتمون إلى نفس القبيلة، أو تجمع عظام عائلة واحدة ويدل على الرابطة الأسرية بين الأفراد كي لا تنقطع الصلة بينهم حتى بعد الموت⁴.
- دفن الأزواج: حسب هذا النوع غالبا ما تكون متقابلتان، وعادة ما ترفق المرأة بالحلي والرجل بالأسلحة⁵.

2.4. الأثاث الجنائزي

اعتقد سكان بلاد المغرب القديم بخلود الميت، حيث ينتقل إلى حياة أخرى لا تختلف عن حياة الدنيا لذلك يضعون معه الكثير من الأغراض والأثاث

¹ Camps (G.), op-cit., p. 468.

² اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 188.

³ نفسه، ص 188.

⁴ Camps (G.), op-cit., p. 436.

⁵ Ibid, pp. 532-533.

الجنائزي¹، يختلف هذا الأثاث بحسب حالة الميت الاجتماعية والاقتصادية لدرجة أن بعضهم لا يصحب معهم أي أثاث وهو تفسير أنه فقيرا جدًا².

ويعد الأثاث الجنائزي من أهم الشواهد الأثرية والأركيولوجية، إذ تبين العلاقة بين الميت ومحيطه، وكشفت الأبحاث الأثرية على مجموعة من الأواني الفخارية وأدوات الحلي والأسلحة³، (الشكل رقم 07 -أ- ص 390).

أما "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) فعرفه في قوله: [هو عبارة عن بعض أدوات الزينة، التي توجد سواء مع الموتى المثنيين والمتمددين الذين وضعت الزينة على أبدانهم أو مع العظام المبعثرة، وفي هذه الحالة الأخيرة يمكن أن نفترض أن هذه الأدوات كانت أول الأمر تحلي الجثث التي بعثرت عظامها بعد... كالتقواقع والأحجار والقلائد المكونة من دوائر بيض النعام... إلخ، أما غيرها كالخواتم، والأسورة، وحلقات السيقان، وقطع القلادات، وأقراط الآذان ومشدات الأحزمة والشوك والمشابك فهي معدنية، قلما تكون من فضة، وهي غالبا من حديد، وفي الأغلب من النحاس أو من البرونز، ويعثر هنا هناك على بعض أدوات من زجاج وعلى مشابك أو أدوات تافهة من العظم، والأسلحة قليلة الوجود وأقل منها أدوات العمل كالمناجل والسكاكين]⁴.

يفسر من هذا القول أن الأثاث الجنائزي يوضع مع جثة الميت مهما كانت وضعية الدفن مثنية أو ممددة، وهي ذات أذواق بدائية جدا، إضافة إلى اختلاف

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 179.

² اصطيغان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 189.

³ Camps (G.), op-cit., pp. 532-533.

⁴ اصطيغان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص ص 189-190.

مادة الصنع فمنها ما صنع من القواقع والحجارة وبيض النعام، ومنها ما صنع من المعادن كالحديد والنحاس أو البرونز. الشكل رقم 07 -ب- ص 390).

أما الفضة فهي قليلة جدا، كما وجد بعض منها مصنوع من الزجاج والعظام بخصوص الأسلحة فهي قليلة وأدوات العمل أقل منها.

1.2.4. الفخار

يشكل الفخار بكامل أنواعه أكبر جزء من الأثاث الجنائزي الذي وجد داخل القبور، إلا أن دراسته تطرح إشكالا كبيرا وهذا راجع إلى أشكاله المتعددة واختلاف ألوانه والعجينة التي صنع منها¹.

وقد قسم (غانم محمد الصغير) دراسته للفخار على أساس المادة التي صنع منها إلى نوعين هامين، هما:

- فخار دولاب الخزاف البسيط*.

- الفخار النموذجي.

1.1.2.4. فخار الدولاب الخزاف البسيط

يتميز هذا النوع بأنه ذو قشرة رقيقة ملساء مطلية إما بالأحمر القاني (شديد الحمرة) أو الأسود اللامع، ويضم هذا النوع أنواع مزركشة وذات رسوم هندسية متنوعة².

كما قد صنعت الفخاريات في بلاد المغرب القديم بواسطة دولاب الخزاف البسيط والتي اتفق المختصون فيها، حيث عثر عليها في قبور القرنين السابع

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 146.

* دولاب الخزاف: هي آلة دوارة توضع فوقها الطين ثم تُدور ليصنع منها الأواني.

² Camps (G.), mouvements..., p. 409.

والسادس وحتى الخامس قبل الميلاد، ومن الممكن أنها قد استوردت إما من بلاد الإغريق عن طريق صقلية، أو مجلوبة من شرقي البحر المتوسط بواسطة الفينيقيين¹.

2.1.2.4. الفخار النموذجي

وجد هذا النوع بقبور الطبقات الفقيرة من المجتمع لما يتميز به من بدائية الصنع وخشونة الملمس هذا إذا ما تم مقارنته بفخار دولاب الخزاف، ويتميز بصناعته اليدوية منذ فجر التاريخ في بلاد المغرب القديم².

أما (كامبس) فقد صنّفه إلى صنفين، حسب دورها العقائدي أولاً ثم على أساس شكلها وحجمها ثانياً تحت اسم (النموذج الوظيفي):

- حسب دورها العقائدي: وهي المستعملة في ممارسة السحر لاحتوائها على العطور والسوائل المتعلقة بالسحر وتتمثل في الأقداح والقصاع والمصابيح التي يظن من وجودها في المدافن أنها وضعت إلا لمعنى رمزي لأنها وجدت فارغة، أو استعملت في الطبخ الذي وقع بعين المكان ودليل ذلك ما عثر عليه في القبر من رماد وقطع من الفحم.

- النموذج الوظيفي (المنزلية): تتكون من الصحون والكؤوس والجففات دورها غامض، لكن يتفق فيه (جزال) و(كامبس) أنها مخصصة لتقديم القرابين غير أنه تجدر الإشارة أن (جزال) لم يفرق بين أدوار الأواني الفخارية التي

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 146.

² نفسه، ص 149.

خصصت لتقديم القرابين وقد احتوت على أطعمة جافة أو سائلة زالت مع مرور الزمن¹.

2.2.4. الحلي

إضافة إلى الفخار تم العثور في مدافن بلاد المغرب القديم على الحلي وأدوات الزينة مع الموتى²، كما سبق ذكره لم يكن هناك فرق في الحلي سواء كانت الجثة بشكل مثني أو ممد حيث وضعت على أجسادهم، وما يميزها هو ذوق البدائية كالقواقع والأحجار المثقبة والقلائد المصنوعة من بيض النعام، بمرور الزمن تطورت أدوات الزينة لتصبح مادة صنعها من البرونز والنحاس والحديد، أو الفضة وتمثلت في الأساور والخواتم، وقطع القلادات وأقراط الآذان ومشدات الأحزمة والمشابك³.

يعتبر وجودها في قبر الميت دليل على الاعتقاد بالحياة الأخرى وتوضع معه حتى يتزين بها، هناك اختلاف في الرأي حول دورها إن كان عقائديا أو سحري، فحسب (جزال) يراه اعتقادي مثل الأساور والعقود التي تسمى حاليا عند سكان شمال إفريقيا بأدوات جالبة للحظ، أما (كامبس) فيقر بدورها السحري ويقصد به أدوات حامية⁴. (الشكل رقم 08 ص 391).

ما يلفت النظر أن هناك مجموعة من أدوات الزينة تشبه لحد كبير ما ترتديه نساؤنا في الأرياف في وقتنا الحالي.

¹ اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 190.

² محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 179.

³ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 146.

⁴ Camps (G.), les berbères..., p. 113.

3.2.4. الأسلحة

هي قليلة الوجود، وأقل منها أدوات العمل كالمناجل والسكاكين¹، وما يستدل به هو ما أرفق به الفينيقيون في بعض الأحيان جثث جنودهم التي كانوا يحملونها في حياتهم وذلك بوضع هذه الأسلحة داخل الجرة التي تحمل رفات الميت أو بقايا الرماد بعد حرق الجثة وأحيانا أخرى تلقى داخل القبر وتكون ضمن الأثاث الجنائزي الذي يزود به المتوفى. (الشكل رقم 09 -أ- ص 391).

عثر في موقع رشقون على عدة سهام حديدية في حالة جيدة بالرغم أن الجثة تعرضت للحرق الكلي*.

وفي هذا الصدد يشير(غانم محمد الصغير) إلى ما أسفرت عنه نتائج الحفريات التي أجريت في دهليز الصومعة بالخروب فيما بين (1915-1916م) على أثار جنائزي يتكون من خناجر وسهام كانت في حالة رديئة من جراء التآكل الذي أصابها بفعل تعاقب الزمن².

وقد أشير إلى الأسلحة خاصة في الفترة البونية من خلال النصب النذرية والتي تحمل الوظيفة العسكرية في معبد الحفرة بقسنطينة (الشكل رقم 09 -ب- ص 392).

5. المقابر والمدافن

بدأ الإنسان يفكر في دفن الميت منذ أواسط العصر الحجري القديم حيث عثر على آثار تثبت أن إنسان نيادرتال أدرك مستوى جعله يهتم بالمعتقدات والاعتناء

¹ اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص190.

* موقع رشقون: موقعه في الغرب الجزائري. محمد الصغير غانم، معالم التواجد....، ص 140.

² Camps (G.), les berbères..., p. 113.

بموتاه وما سيحدث بعد الموت¹، وهو ما أكدّه (فنطر محمد حسين) في دراسته لمدافن المغرب القديم حيث أطلق عليها اسم "بيوت الأموات" التي توجد في مدن الأموات، التي تسمى مقابر أو مدافن يطلق في بعض اللهجات العربية بالمغرب القديم اسم "جبابن" ومفردها "جبانة"، ثم تطرق إلى كيف يمكن ترتيب المدافن في قوله: [يمكن ترتيب المدافن على أساس أشكالها أو هندستها أو على أساس التعاقب الزمني الحضاري مع اعتبار التفاعل بين الأقوام عرقا وحضارة ذلك أن الامتزاج والانصهار يكون على مختلف المستويات والأبعاد... فلا غرو أن تتأثر المدافن المغربية بالتفاعلات العرقية والحضارية التي عاشها المغرب الكبير عبر تاريخه الطويل...]².

وما يمكن استخلاصه من هذا القول أنه يمكن تقسيم المدافن إما على أساس الشكل والهندسة، وإلا على أساس مراحل التعاقب الزمني الحضاري على المنطقة التي تعاقبت عليها مجموعة من الأعراف التي تأثر على جميع المستويات فلا عجب أن تتأثر العمارة الدينية.

سيتم التعرف على المدافن الجنائزية التي تعددت شكلاً ونوعاً حسب كل منطقة والفترة الزمنية، بالاعتماد على تصنيف (غانم محمد الصغير) في دراسته لمدافن بلاد المغرب القديم حيث قسمها إلى قسمين ذات الطابع البدائي، ثم المتطورة.

1.5. المدافن الحجرية ذات الطابع البدائي

هي بدورها تنقسم إلى كهوف طبيعية واصطناعية، قد تناول "ستيغان جزال" (Stéphane Gsell) هذا الموضوع حين أشار إلى أن الإنسان البدائي كان يدفن موتاه في أرضية الكهوف، ويستدل بذلك وجود بقايا عظام إنسان

¹ محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 118.

² محمد حسين فنطر، المدافن...، ص 190.

مختلطة بالرماد ضمن طبقات أرضية الكهوف التي تراكت فوق بعضها¹، من أمثلة ذلك كهف (الصخرة الكبيرة) بالقرب من جيو فيل (Guyatville) ضواحي الجزائر العاصمة، وكهوف إيقاد (Aiguades) بالقرب من بجاية وقد دفنت الجثث بشكل فردي، أما وضع شكل الجنين عثر عليها في كهوف تازا (Taza) الكهوف المحاذية لكيفان بلغوماري (Kifan Bel-Ghomari) بالمغرب الأقصى².

أما الكهوف الاصطناعية -المهيأة- من أهم المدافن التي استعملها سكان بلاد المغرب القديم لدفن موتاهم من بينها مغارة بالقرب من (سيلا-Sila) بالجزائر (قسنطينة)³، حيث عثر فيها على بقايا عظام إنسانية وفخاريات⁴.

وقد اتخذت هذه القبور شكل مخروطي (تيميلوس Tumulus) يغطي حفرة الدفن التي تتكون من ركام كبير من التربة والحجارة، وهي ذات قاعدة دائرية يتراوح قطرها ما بين 5 و150 مترا⁵.

عرف هذا النوع من القبور بعدة أسماء مثل الرجم (Redgems) والكركور (Karkoure)⁶، والنوع الأكثر الانتشار في بلاد المغرب القديم هو البناء الجنائزي المخروطي الشكل⁷، ومن أهم أصناف هذا الشكل ما يلي:

- التيميلوس الخالي من الغرفة الجنائزية.

- التيميلوس الذي يحتوي على غرفة دفن.

¹ اصطيفان اكصيل، ج1، المرجع السابق، ص226.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 19.

³ محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت...، المرجع السابق، ص 78.

⁴ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 19.

⁵ محمد الصغير غانم وآخرون، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري (فترة فجر التاريخ)، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص 28.

⁶ Gsell (st.), H.A.A.NN., Les Monuments... ,T,1, pp. 06-07.

⁷ Camps (G.), op-cit., p. 66.

- التيميلوس الذي يضم تابوتا حجرياً¹.

أما النوع الثاني فيطلق عليه اسم البازيناس (Basinas) وهي عبارة عن قباب مستديرة أو شبه المستديرة التي تغطي بقاياها معظم بلاد المغرب القديم² وهي تتشابه مع القبور ذات البناء المخروطي في أنها يمكن أن تضم في داخلها حفرة للدفن أو تابوتا حجرياً يضم بين طياته جثة الميت، ويمكن أن ينفذ إلى البازيناس بواسطة فتحة صغيرة أو ممر يؤدي مباشرة إلى غرفة الدفن، تطرق "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) إلى الأماكن التي توجد بها وهي جبال الأوراس المحيطة بالسهول والسهول نفسها، والأطلس الصحراوي والجنوب التونسي³، وقد رتبها (غانم محمد الصغير) إلى الأنواع التالية:

- البازيناس المقببة.

- البازيناس ذات القاعدة الأسطوانية

- البازيناس المتعددة القبور.

- قبور الشوشة⁴.

2.5. المدافن الحجرية المتطورة

تشير الدراسات إلى أن سكان بلاد المغرب القديم قد عرفوا مجموعة من المدافن الحجرية اختلفت من شكل إلى آخر، من أهمها: قبور الدولمن وقبور الحوانيت.

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص ص 20-24.

² اصطيغان اكصيل، ج1، المرجع السابق، ص 226.

³ اصطيغان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 165.

⁴ محمد الصغير غانم وآخرون، المعالم الحضارية...، ص ص 37-43.

1.2.5. قبور الدولمن

عرفت قبور الدولمن (Les Dolmens) في بلاد المغرب القديم أهمية كبيرة، لكونها حلقة مهمة في تاريخ العمارة الجنائزية وما حوته من أثار كشف عن جوانب هامة في تاريخ المنطقة.

يذكر (فنطر محمد حسين) أن مصطلح "دولمن" هو (celtique-كلتي) وأصله يتركب من كلمتين (دُلْ) يعني المائدة، و(مَنْ) بمعنى الحجرة، تبدو كنصب جنائزية تتشكل من بلاطات حجرية أفقية قد ارتكزت على دعائم عمودية، وقد استعمل هذا المصطلح الفرنسي (ربو-Dr. Rebout) للإشارة لقبور منطقة الجلفة بالجزائر، ثم شاع استعمالها من طرف باقي الباحثين¹.

أما توزيع قبور الدولمن بالاعتماد على خريطة "توزيع الحوانيت والدولمن في بلاد المغرب القديم"² (الخريطة رقم 04 ص 406)، يمكن التوصل إلى أماكن انتشارها والتي تتركز في شمال شرقي الجزائر وغرب تونس، وتكاد تنعدم عندما نتوجه إلى الغرب ونحو الجنوب³، وهي نوعين:

- الدولمن ذات الممر المكشوف: ينتشر في السواحل، يخلو من القاعدة ويحتوي على ممر مكشوف أمام مدخل الدولمن، يتواجد بكثرة على السواحل التونسية الشرقية.

- الدولمن القاعدية: تختلف قاعدته من قبر إلى آخر، وتكون أفقية أو مخروطية الشكل أو مستطيلة ويمكن أن تأخذ أشكال أخرى، تنتشر في منطقة

¹ محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت...، ص 87.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 65.

³ Camps (G.), mouvements..., pp. 119-122.

جنوب شرق قسنطينة خاصة في كل من رأس العين (بومرزوق) وسيجوس، ما يميز هذا النوع أنها أصغر حجم من الدولمن الساحلية¹.

وقد احتوت على الأثاث الجنائزي المرافق للموتى في قبورهم، حيث وجدت مزهريات مقلوبة لدلالة على توفير السوائل للأموات خاصة الماء باعتباره المادة الأساسية في مختلف العقائد والديانات، والحيوية التي يحتاجها الأموات لأنها تخلصهم من العطش².

2.2.5. قبور الحوانيت

جمع حانوت -كان-، هي كلمة عربية اطلقها الأهالي على القبور المحفورة في الصخور الذي يشبه شكلها الخارجي الدكاكين، استعملت لأول مرة كمصطلح أثري سنة 1864م من طرف (بربروجير) ثم عُمم استعمالها فيما بعد³. أطلقت هذه اللفظة على القبور التي كانت تنقر على المنحدرات الصخرية، والأخرى المنقورة داخل المغارات، أو على الصخور المنعزلة مثل حوانيت (منبع عين القصر)، و(سيدي عباد) بتونس، وقد ظهرت أثناء العصر المعدني وتواصل استعمالها حتى خلال الفترة البونية، والرومانية⁴.

تتواجد الحوانيت بكثرة على شكل خط وهمي يمتد من بجاية شمالا، نحو جربة جنوبا، مع وجود البعض منها نادرا، وبشكل معزول غرب هذا الخط بكل من رهيو، وجديوية بالغرب الجزائري، وتيبازة، و(أزمور) بالمغرب الأقصى.

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص ص 38-39.

² محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت...، ص 90.

³ رايح لحسن، المرجع السابق، ص 26.

⁴ Camps (G.), mouvements..., pp. 39-40.

وقد قسمها (غانم محمد الصغير) إلى نوعين هما:

- الحوانيت البسيطة: تتكون من غرفة واحدة مكعبة الشكل مزودة بمدخل بسيط تتميز بالضيق وجدت في منطقة جديوية (شرق ولاية غليزان حاليا).
- الحوانيت المزدوجة الغرف: تتميز بازدواجية الغرف واتصالها مع بعضها، وقد تصل إلى ثلاث غرف متتالية، عشر عليها على الشواطئ الشرقية التونسية¹.

أما الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه بهذه المدافن يتمثل في القطع البرونزية الصغيرة، وشظايا فخارية كانت تدفن مع الميت، والتي يدل وجودها على وجود ثقافة دينية متعلقة بالعالم الآخر، إضافة إلى آثار لرسومات جدارية لأشكال هندسية ونباتية، وحيوانية وغيرها حيث رسمت هذه المشاهد بالطباشير الحديدي الأحمر (المغرة) الذي يرمز للحياة في العالم الآخر².

وقد أضاف كل (حسن رابح) و(بن عبد المؤمن محمد)، أنواع أخرى من المدافن تتمثل في:

***الدوائر الحجرية:** هي عبارة على قبور محاطة بسياج دائري من الأحجار وتتنوع أشكالها بين المستطيلة والاهليلجية تتشكل الدائرة من مجموعة الأحجار الفضة أو قليلة التربع، توضع أحيانا فوق سطح الأرض وأحيانا أخرى تغرس عموديا في التراب، تنتشر بكثرة في الهضاب العليا للجزائر الوسطى وشمال الحضنة، في

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص ص 49-50.

² محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت...، ص 83.

الأوراس كما توجد أيضا في كل من: بلاد القبائل، سطيف، قرب قسنطينة وفي القطاع الوهراني¹.

*المطامر: هي مدافن ميّزت فترة فجر التاريخ، وتتميّز بقلة انتشارها، حيث وجدت بالمغرب الجزائري، ووسطه وبالمغرب الأقصى، عثر عليها ب: (كليبار-kleber) بسيدي بن بيقى (تبعد عن وهران 30 كلم شرقا)، التي احتوت على أثاث جنائزي فخاري ومعدني².

ما يمكن استخلاصه من دراسة المقابر والمدافن خلال هذه الفترة أنها تختلف من حيث الشكل والزخرفة والحجم، إضافة إلى الأثاث الجنائزي الذي عثر فيها حيث تتحكم فيها اختلاف المكان والزمان، والبعد العقائدي لسكان المنطقة المتمثل في الإيمان بالخلود، والحياة بعد الموت في العالم الآخر.

¹ رايح لحسن، المرجع السابق، ص ص 32-33.

² محمد بن عبد المؤمن، عقائد ما بعد الموت...، ص ص 90-91.

خلاصة الفصل

- يعرف الدين بأنه تلك المجموعة المتماسكة من العقائد والعبادات، المتصلة بالعالم القدسي والتي تنظم سلوك الإنسان، وهو العلاقة بين العابد والمعبود يعظم أحدهما الآخر ويخضع له.
- كما عرفه بعض الباحثين بأنه مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة، والدين من أهم الأمور التي ترتبط بحياة الإنسان وأفكاره ووجدانه، فالإحساس الديني هو الذي ينتج المعتقد والشعور الديني وأن الطقوس الدينية تقوم على المعتقد، أما التدين فهو الطريقة التي يعبر بها المتدين عن علاقته بالدين.
- يمكن تحديد مقومات الدين في ثلاث ركائز كما يذكرها (السواح فراس) هي الأسطورة والطقس والمعتقد، حيث لا يمكن التعرف على الحياة الدينية لدى سكان بلاد المغرب القديم بدون التعرف عليها بشكل متكامل، ذلك أن الإنسان في بداية البحث عن أسرار الكون ومحاولة إخضاع الطبيعة لخدمته لكنه فشل، الأمر الذي جعله يستجد بالقوى الخارقة ويتقرب منها لمعالجة مشاكله، وتغليف ممارساته بالشعائر الدينية مستخدمين الأسطورة والطقوس.
- تنوعت مظاهر المقدسات في المنطقة قديماً، الفرد القديم عرف الطوطم، فقدّس المكان والحيوان والظواهر الطبيعية، الجن والحجارة، الينابيع والأشجار، فعلى سبيل المثال يرى في الحجارة قوة خارقة تتجاوز الإدراك والعقل، فهي محاطة بهالة من الرهبة والإجلال.

- طالت ظاهرة التقديس حتى الأشخاص؛ فعبدوا الأسلاف هذه الظاهرة التي بقيت متوارثة عبر الأجيال لدرجة أنه وفي وقتنا الحاضر لازال ينظر لبعض أضرحة الأولياء بعين القداسة والاعتقاد بقدراتهم في تحقيق الأمن، كما انتشرت في المجتمعات البدائية عبادة الملوك خاصة الذين ساهموا في تطوير الحياة بجميع مجالاتها، وفي ذلك عرفانا لهم بمجهوداتهم ودورهم الفعال في التقدم والرقى.

- اعتقد سكان بلاد المغرب القديم بالخلود والحياة بعد الموت ورتب عن ذلك الاهتمام بالميت وتجهيزه للحياة الثانية.

- لجأ سكان بلاد المغرب القديم إلى تحنيط الميت، وقد أرجع المؤرخون والباحثون سبب محافظة المومياة المصرية على هيئتها المحنطة، بينما فقدتها المومياة الليبية القديمة إلى أن المصريين قد وضعوها في داخل التوابيت للحفاظ عليها، بينما دفنها الليبيون في العراء مما جعلها تتأثر بالعوامل المناخية المتغيرة التي عرفت المنطقة، يضاف لها التطور الذي وصل إليه المصريين نتيجة الاستقرار المعيشي، على عكس نمط معيشة سكان بلاد المغرب القديم الصحراوية الذين عرفوا التنقل فليس لديهم وقت للقيام بذلك مثل المصريين، ولا يمتلكون الموارد لتطوير تقنيات التحنيط.

- قد يتداخل الطقس السحري بالطقس الديني، ويصعب أحيانا التمييز بينهما إلا أن الفرق يكمن في أن الطقس الديني تتوسط فيه الآلهة بين الأسباب والنتائج، بينما الطقس السحري تتوسط فيه قوى غيبية غير محددة وغير مشخصة، لكن يبقى التفريق بينهما أمرا صعبا، كون النتائج المرجوة من

الطقوس الدينية والطقوس السحرية تتشابه أحيانا كطرد الأرواح الشريرة والشفاء من الأمراض.

- علق الإنسان المغربي القديم التمايم ولبس الأقنعة، كما لجأ إلى الوشم الذي استخدم كعلاج ودافع للحسد، واتخذة كقربان للآلهة لفداء النفس، استخدم لتحديد الانتماء القبلي تمييز مجموعة بشرية عن غيرها.

- بدأ سكان بلاد المغرب القديم في عملية دفن الميت ومواراة جسده في التراب، منذ العصر الحجري القديم، وفي ذلك تعبير عن سلوك فكري وبالتالي محققا إنجازا ماديا يتمثل في بقايا الدفن، ومنه جاءت أصناف المدافن التي عرفت تطورا بتطور الإنسان الحضاري عبر مختلف المراحل التاريخية.

الفصل الثاني

العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم ومصر

الفصل الثاني: العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم ومصر

تمهيد

أولاً: صلات بلاد المغرب القديم بمصر

ثانياً: التأثيرات الدينية المصرية على الديانة الليبية القديمة وطقوسها

خلاصة الفصل

تمهيد

قبل التطرق إلى موضوع العلاقات الحضارية خاصة الدينية - مجال دراستنا - لبلاد المغرب القديم مع مصر*، يجدر الإشارة إلى مصطلح "ليبيا" قديما الذي كان يطلق على كامل الأراضي الواقعة غربي وادي النيل والممتدة حتى المحيط الأطلسي، وهي نسبة إلى قبائل اللوبيين أو الروبيين الذين كانوا ينتشرون في هذه المنطقة، وقد أشير إليهم في كتابات المصريين تحت اسم المشوش أو التحنو، كذلك وجدت تسميتهم في كتابات المؤرخين الإغريق القدماء من أمثال هيرودوتس وسترابون وبوليبيوس¹.

ويرجع أول استخدام لكلمة "لوبة" إلى المصادر المصرية التي تعود إلى النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد، وذلك على نقش يرجع إلى عهد رمسيس الثاني (1298 - 1222 ق.م) بصيغة R. B. W.

وفي عهد مرنتباح (1224-1194 ق.م) قُصد تحديد السكان القاطنين إلى الغرب من نهر النيل، كما ورد اسم الليبيين في التوراة سفر التكوين باسم "ليهابيم"

* أهم المصادر التي تتناول التاريخ المصري هي: المصادر الأثرية (المادية)، مصادر الحضارات المعاصرة للحضارة المصرية مثل: الفينيقية والإغريقية، كتابات المؤرخين الكلاسيكيين من يونان ورومان، ثم ما جاء في نصوص الكتب المقدسة عن مصر وأحوالها. للاطلاع أكثر على الموضوع ينظر: سمير العيداني، "المصادر المادية والأدبية لدراسة التاريخ المصري القديم"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 03، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، جوان 2017، ص ص 09-28.

¹ Hérodote, 4, pp. 21-22.

(lehabin)، أو "لوبيم" (Loubim)¹، وأما في سفر دانيال فيرد تحت اسم "اللوبيون"².

كما ذكر هيرودوت ليبيا "ألوبا" على أنها القارة الثالثة من قارات العالم بحيث أن البحر يحدها من الجانبين، عدا ما اتصل منها بآسيا حالياً³، وأشار إلى أن معظم الإغريق يعتبرون أن ليبيا اكتسبت اسمها من امرأة من أهل البلاد⁴، أما فرجيل تحدث في إلياذته على أنها تعتبر "أرض ليبية" بمعنى شمال إفريقيا⁵.

ومنه يمكننا أن نستنتج بأن اسم ليبيا كان واسعا ثم تقلص في بعد فأصبح يطلق على الدولة الليبية الشقيقة فقط.

أولاً: صلات بلاد المغرب القديم بمصر

عند دراسة علاقات بلاد المغرب القديم مع مصر تعترض الباحث عدة صعوبات فالمصادر الليبية قبل الاستعمار الإغريقي تكاد تكون منعدمة باستثناء ما أشار إليها هيرودوت الذي يعتبر أول من أوردها في أعماله⁶.

¹ التوراة سفر التكوين (الإصحاح العاشر).

² التوراة سفر دانيال (الإصحاح الحادي عشر).

³ هيرودوت، تاريخ هيرودوت...، ص 307.

⁴ نفسه، ص 310.

⁵ فرجيل، الإنياذة، تر: عميرة سلام خالدي، دار الملايين، بيروت، 1995، ص 98.

⁶ هشام الصفدي، "أضواء جديدة على تاريخ المغرب"، مجلة الأصالة، العدد 14-15، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 1973، ص 101.

أما المصادر والوثائق المصرية التي يدرسها علم المصريات* تسجل أخبارهم وأخبار جيرانهم في فترة ما قبل الأسرات** التي صورت الملامح والتقاطيع، والأزياء والأخبار الحربية¹، إضافة إلى أسماء القبائل التي كانت من ضمنها الليبيون وقد ورد ذكرها في تسجيل جوانب من الحياة المصرية، كما يضاف إلى ذلك أنها قد ركزت على المناطق الواقعة غرب النيل مباشرة والتي لا تتعدى خليج السرت الكبير، أما المناطق الممتدة وراء ذلك حتى المحيط الأطلسي بقيت مجهولة بالنسبة للمصريين ولم يرد ذكرها في المصادر المصرية إلا بظهور التدوين باختراع الكتابة الهيروغليفية وتطورها الذي ساهم في تزايد عدد الوثائق

* علم المصريات: "L'égyptologie" هو أحد فروع علم الآثار يدرس مختلف آثار الحضارة المصرية ومنجزاتها في كل الميادين، ولا يبدأ الاهتمام بآثار مصر منذ القرن 19م، بل يسبقه إلى القرن الخامس قبل الميلاد مع زيارة هيرودوت ثم من سار عن نهجه مثل: سترابون وديودور الصقلي، وقد تطور هذا العلم لحادثتين أساسيتين أولهما هو حملة نابليون على مصر عام 1798م، والتي فتحت الآثار المصرية على الدراسات العلمية وتجسد ذلك في الدراسة الضخمة بكتاب تحت عنوان: "وصف مصر"، والحدث الثاني اكتشاف "شامبليون" لمفتاح قراءة النقوش الهيروغليفية سنة 1822م، وتنقسم مجالات دراسة علم المصريات إلى: - الحضارة المصرية - ما قبل التاريخ المصري - مصر في العصر اليوناني والروماني - الحضارتان القبطية والإسلامية - الإثنوجرافيا (علم يختص بخصائص الإنسان وعاداته وتقاليده في المجتمع على مدار التاريخ) - الجغرافيا الطبيعية والبشرية. لمزيد من الاطلاع ينظر: قابيل دومينيك، علم المصريات، تر: لويس بقطر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 39-59.

** ما قبل الأسرات في مصر: هي الفترة التي سبقت قيام الملكية المصرية حوالي عام 3200 ق.م، وتعد فترة ممهدة لقيام الحضارة المصرية في العصور التاريخية، وعرفت هذه المرحلة استخدام النحاس والكتابة، وتميزت بقيام المدن وزيادة الاتصالات بالأفكار المجاورة وقيام الممالك المحلية واختفاء نظام العشائر، وتنقسم إقليمياً إلى مصر السفلى والعليا. لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد أمين سليم، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008، ص 76-77.

¹ Colin (Frédéric.), le libyen en Égypte (XV siècle a.c-II siècle p.c), 1995-1996, p. 09.

التي تتطرق للعلاقات بين الطرفين التي تراوحت بين السلم تارة والصراع تارة أخرى، وهذا عبر المراحل التاريخية لمصر.

ولم تكن العلاقات بين بلاد المغرب القديم ومصر وليدة صدفة بل نتيجة تفاعل الظروف الجغرافية والمناخية لمنطقة شمال إفريقيا التي ساعدت على الاتصال المبكر وتبادل الأفكار والمعتقدات الدينية (الخريطة رقم 05 ص 407).

حيث ورد في قول (بازاما محمد مصطفى) عن عمق التفاعل بين الشعب المصري القديم والشعوب المجاورة له من قدماء الليبيين وغيرهم ما يلي: "ونعتقد نحن، مع كثير غيرنا، بأن تحديد مدى عمق التفاعل الحضاري، بين الشعب المصري القديم والشعوب المجاورة له من قدماء الليبيين وغيرهم، في عصور ما قبل الأسرات، ليس من السهولة بالدرجة التي يراها بعض المؤرخين والباحثين الأثريين، لكثافة الستار التاريخي الحاجب لمعظم حقائق تلك العصور السحيقة ومهما قيل، كل ما سيقال، في ارجاع أصل الحضارة المصرية الأولى، إلى سكان الشمال الغربي (إلى الليبيين)، أو إلى سكان الشمال الشرقي (إلى الآسيويين)، أو إلى سكان الجنوب والجنوب الغربي (إلى الإفريقيين)...، فإنه قد ظل، وسيظل، مجرد استنتاجات ومقارنات، أقامها المنادون بالرأي، على بعض الحقائق التاريخية الجزئية، التي لا يمكن بحال، أن تكسب صفة الشمول، لقيامها أصلاً على القليل من الأدلة التاريخية المتفرقة والتي لم يجمع بينها مكان أو زمان واحد، مما يفقد تلك المقارنات، الكثير من القيمة العلمية التي استند أصحاب الرأي إليها"¹.

وما يمكن فهمه من هذا القول هو أن مظاهر التأثير الحضاري لليبيين في المصريين، ومن مظاهر التأثير الحضاري لليبيين بالمصريين لا يمكن الفصل فيها نهائياً، أن الأصل الليبي للحضارة المصرية أو العكس، لأن الإقدام على مثل هذه

¹ محمد مصطفى بازامه، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها، الجامعة الليبية، بنغازي، ليبيا، 1965، ص 84.

الأحكام النهائية الفاصلة، في هذا المجال ليست سوى ضرب من المجازفات العلمية، وهي بحاجة إلى أدلة دامغة التي احتواها الزمن سراً دفيناً بين طيات العصور والقرون والأجيال.

كما أن التأثير الثقافي المتبادل بين مصر ودول الجوار الجغرافي كان واضحاً في مجالات الحياة كافة، وبخاصة في مجال المعتقدات الدينية فقد اتصلت مصر بجيرانها منذ بدايات التشكيل الحضاري مؤثرة ومتأثرة¹، ومن أهم ملامح ذلك الارتباط في الأصول، حيث تذهب إحدى النظريات التي تفسر نشوء الحضارة على أساس قانون "التحدي والاستجابة"².

حيث أشار (عباس الحسيني عباس علي) إلى أن سكان الصحراء الكبرى كانوا يستوطنون في أراضي خصبة تمتلك كل مقومات الاستقرار وبعد مدة من الزمن واجهوا تحدٍ من الطبيعة إذ بدأت مدة جفاف طويلة تحولت بسببها مراعيهم إلى أراضي قاحلة، وكانت استجابتهم على ثلاثة أنواع: الأول بقي متمسكاً بأرضه محولاً نمط حياته إلى حياة البداوة التي تعتمد على التنقل والترحال، الثاني اتجه صوب المراعي الخصبة المشابهة للبيئة التي كانوا بها حيث المناطق الاستوائية، ولم يغيروا من نمط حياتهم، أما الثالث فهاجروا إلى منطقة الدلتا وعلموا على تطويع البيئة الجغرافية لهم فتمكنوا من إقامة الحضارة المصرية³.

¹ عباس علي عباس الحسيني، مجتمع الآلهة في الديانة المصرية القديمة (دراسة مقارنة)، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 202.

² أرنولد توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج1، تر: فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص ص 470-471.

³ عباس علي عباس الحسيني، المرجع السابق، ص 203.

1. جذورها و عوامل قيامها:

بالنظر إلى العلاقات التي تربط المنطقتين منذ أزمنة بعيدة¹، وتزداد صعوبة التحديد والفصل فيهما خاصة وأنهما تمتلكان عمقا مشتركا وبعدا دينيا بينهما². تعد الآثار التي عثر عليها في المواقع الأثرية دليل على وجود علاقات ضاربة جذورها إلى العصر الحجري القديم الأعلى³، وتأكدت في فترة العصر الحجري الحديث، وذلك بالاعتماد على التشابه بين فخار الفيوم-1 وفخار موقع هوافتيح أو غيره من مواقع الصحراء الغربية مثل سيوة والخارجة وغيرها من مواقع الصحراء الغربية المصرية مما يؤكد وجود خط سير اتصال حضاري بين المنطقتين، فقد أكدت أبحاث الأستاذة "ك. تومسن" (Caton Thompson) وجود صلات حضارية في التقاليد الصناعية بين هذه المواقع الأثرية⁴.

كما يعتقد "فلامان" (flamand.G.B.M.) بعد دراسته للرسوم الصخرية أن منطقة فزان لعبت دورا هاما في نقل التأثيرات المتبادلة بين وادي النيل وليبيا القديمة، ويشير "ج.ك. ريزيو" (Rizio J.k) إلى أن المنطقتين اشتركتا في حضارة واحدة هي حضارة الصحراء الكبرى⁵.

وحسب دراسة الباحث "م ك بيرني" فإن التغيير المناخي والتشكل الحضاري الذي مرت به الصحراء الليبية تزامن مع الذي حدث في صحراء شبه الجزيرة، وأن

¹ فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا، 1990، ص 24.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 62.

³ محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 55.

⁴ رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1...، ص ص 126-127.

⁵ (ج.ك) ريزو، "الفن الإفريقي" في تاريخ إفريقيا العام، مج1، جين أفريك / اليونسكو، 1980، ص ص 690-696.

الهجرة إلى وادي النيل كانت تأتي من الشرق والغرب على دفعات متتالية مما جعل الوادي بوتقة انصهار كبرى*.

وقد نتج عن فترة الجفاف التي مرت بها بلاد المغرب القديم هجرة سكان المنطقة باتجاه الأودية والمناطق التي يجد فيها الماء، فأخذ بعضها اتجاهاً نحو الشمال الشرقي إلى مصر مروراً بفزان أين انقسم إلى شطرين، الأول واصل سيره شمالاً إلى إقليم برقة وسيوة والثاني نحو طيبة**، التي حاول سكانها التصدي لهم¹، فالمصادر المصرية العائدة لمرحلة ما قبل الأسرات وبدايتها يستنتج منها

* عرفت الصحراء الليبية منذ حوالي 20.000 سنة (الجفاف العظيم) حيث شهدت موجات من المهاجرين إلى مصر وجبال الأطلس التي انحسر عنها الجليد وهذا استناداً إلى الأدلة الأثرية التي تبين حركة الانتقال والتمثلة في سلسلة الجماجم التي وجدت في إسبانيا والبرتغال والتي تماثل في مقاييسها تلك الجماجم التي عثر عليها في "نقادة" المصرية خلال عصر ما قبل الأسرات، ما يظهر بأن منطقة شمال إفريقيا كانت منطقة تواصل بين مصر وأوروبا. لمزيد من الاطلاع ينظر: فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة...، ص 25.

** - سيوة: تقع على بعد 300 كم جنوب غرب مرسى مطروح، أما معبد آمون فيبعد عنها 3 كم، وتبرهن الأدوات المستعملة فيها أن سيوة كانت أهلة بالسكان منذ العصر الحجري القديم والحديث وأن حضارة سكانها تتشابه مع حضارة البلدان الواقعة إلى الغرب من مصر وتتشابه في الوقت عينه مع حضارة وادي النيل. لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد فخري، واحات مصر، مج 1 (واحة سيوة)، تر: جاب الله على جاب الله، مر: محمد جمال مختار، القاهرة، ص ص 100-101.

- طيبة: موقع أثري يسمى الآن الأقصر، عرفت أنها عاصمة مصر العليا منذ الأسرة الحادية عشرة أي في عصر الدولة الوسطى وتقع مدينة طيبة على الضفة الشرقية للنيل، وبلغت ذروة سلطتها من الأسرة السابعة عشرة حتى التاسعة عشرة، يوجد فيها معبد الكرنك الذي شيد للإله آمون رع ومعبد الأقصر، كما توجد بها مقابر الملوك مثل: سيتي الأول ورمسيس الثالث، وأشهرها مقبرة توت عنخ آمون، إضافة إلى مقابر الأفراد التي صورت على جدرانها حياة قدماء المصريين. لمزيد من الاطلاع ينظر: ليونارد كوتويل وآخرون، الموسوعة الأثرية العالمية، تر: محمد عبد القادر محمد، زكي إسكندر، مر: عبد المنعم أبو بكر، ط 2، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1997، ص 89.

¹ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص...، ص ص 28-29.

طابع الصراع والمصادمات بين الطرفين، ومن أ بكرها مقبض السكين جبل العركي العائد إلى منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد¹، وهو يمثل معركة برية - بحرية ويصور رجالا بصفات يعتبرها المؤرخون ميزة لليبيين القدامى، وتلك الصفات شبيهة بأزياء الأقوام اللوبية المعاصرة لها والتي توجد رسومها على النقوش الصخرية بالطاسيلي وبفزان العائدة إلى عصر الرعاة وقد حدّد (ف. موري) تاريخها بين الألف السادسة ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد، و(صالح عبد العزيز) فقد افترض من خلال شكل قوارب السواحل الشمالية الغربية المصرية القريبة من الحدود الليبية التي وجدت في الطاسيلي والتي تدل كما سلف ذكره على طابع الصراع بين الطرفين².

أما الآثار المصرية فقد خلدت هؤلاء الغربيين قبل ظهور الكتابة الهيروغليفية، وهذا ما جسده اللوحة المصرية (الحصون والغنائم) التي تتضمن رموزا وأشكالا تصويرية تعبر عن مدى الاتصال بينهم وبين جيرانهم الغربيين ومع ظهور العلامات الكتابية الأولى نلاحظ أن النصوص المصرية تشير إلى أسماء هؤلاء الجيران، ولعل أشهرهم قبيلة: التحنو* التي ورد ذكرها في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري، وترجع أقدم إشارة إليهم إلى عصر الملك العقرب الذي حكم مصر قبيل الوحدة، في لوحة إردوازية صور أحد الفنانين على أحد وجوهها أربعة صفوف، نجد في الصف العلوي رسم ثيران وفي الثاني حمير، الثالث أغنام

¹ ألديريد سيريل، الحضارة المصرية (من عصور ما التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة)، تر: مختار السويفي، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996، ص ص 68.

² أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا (فيما بين القرن السابع والقرن الرابع)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 28.

* تحنو: أشارت إليهم الآثار المصرية منذ عهد الملك العقرب وحتى عصر الدولة الحديثة كقوم أو منطقة جغرافية واقعة للتخوم الغربية للدلتا. محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص ص 69-70.

أما الرابع أشجار زيتون وإلى جانب الأشجار من الناحية اليمنى نجد علامة تصويرية تذكر التحنو¹.

كما أن النصوص القديمة أجمعت على أنه قد كان لليبين دورا هاما في الجانب السياسي والحضاري، إضافة إلى الديني في عصر ما قبل الأسرات خاصة في الوجه البحري (الدلتا)، وبحكم وجودهم (التحنو) في غرب الدلتا فلابد أنهم قد لعبوا دورا في الصراع الموجود بين شقي الدلتا الشرقي والغربي²، حيث كانت المملكة الأولى في الجهة الغربية (دمنهو حاليا)، وقد اتخذت "حور" إلها لها وهذا الإله له صلة واضحة بالتحنو -سنعرف هذا الإله في دراستنا اللاحقة- والمملكة الثانية في الجهة الشرقية وعاصمتها مدينة سميت بنفس إقليمها (عنجة)* واتخذت من "عنجتي" إلها لها لتتوحدا في مملكة واحدة نهاية المطاف وتتخذ من مدينة "سياس" عاصمة لها، وتكون "نيت" الإلهة الرسمية فيها³.

فمن الواضح أن هذه المملكة كان لها قيمة سياسية ودينية كبيرة خاصة في الجهة الغربية حيث يوجد التحنو، فهناك من يرى أن هذه عاصمة هذه المملكة

¹ ألن جاردنر، مصر الفراعنة، تر: نجيب مخايل، مر: عبد المنعم أبو بكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 427.

² حسين عبد العالي مراجع، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبين لمصر، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة قاريونس، ليبيا، ص 19.

* إقليم عنجة: الإقليم التاسع في الوجه البحري، سمي باليونانية "بوزيريس"، سمي هذا الإقليم على اسم الإله "عنجتي" الذي يحمل فوق رأسه ريشتين، وحمل بعده اسم الإله "أوزير" أما عاصمته "زد" (أبو صير) وهي قريبة من سمهود. لمزيد من الاطلاع ينظر: حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (في عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الإهناسي)، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000، ص 439.

** مدينة سايس: هي صا الحجر موجودة بالدلتا على فرع النيل المسمى بفرع الرشيد، عرفت كذلك باسم "حت نيت" أي مسكن الإلهة نيت. ينظر: محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 187.

³ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى (مصر والعراق)، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012، ص 91-92.

كانت تعتبر مركزا للنفوذ الليبي، وما يفسر هذا الرأي هو اتخاذ هذه المملكة الإلهة "نيت" الليبية إلهة رسمية لها¹.

وخلال فترة بداية الأسرات بقيت العلاقة متوترة بين الطرفين، فصلاية (نعرمر) والتي تعرف بلوحة التوحيد تقدم مشهد لهذا الملك وهو يضرب خصمه مع صورة لرجلين يحاولان الهرب، وقد كتب بجانبها علامة من خطاف وترعة ماء ويرمز الخطاف لأقصى الأقاليم الشمالية الغربية على حدود الصحراء الليبية، وقد أدى التشابه بين الأشكال إلى صعوبة التمييز بينهما²، وهذا ما دفع إلى تساؤل عن إمكانية أن ملوك ما قبل الأسرات في مصر السفلى أو في غرب الدلتا ذات أصول ليبية³.

كما تجدر الإشارة إلى العهد الطيني (3200-2181 ق.م)*، هذه الفترة التي بدأت المصادر المصرية الاهتمام أكثر في العلاقة الليبية المصرية، أولها ختم أسطوانتي عاجي يعود للملك "مينا" (نعرمر) وكذلك لوحته، بالإضافة إلى شن الملك "حورعجا" (إتي الأول)* حملة على الليبيين قصد حماية الحدود الغربية

¹ Breasted (James Henry.), A History of The Egyptians, New York, 1908, p. 32.

² محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 70.

³ أم الخير العقون، "إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب إفريقيا"، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 8، العدد 8، مصر، 2005، ص 60.

* العهد الطيني: أطلق المؤرخون هذه التسمية على الأسرتين الأولى والثانية، كما أطلق عليها عدة أسماء أخرى منها: العصر العتيق، الثاني، عصر التأسيس. لمزيد من الاطلاع، ينظر: محمد علي سعد الله، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم (في تاريخ مصر القديمة)، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001، ص 55.

* حور عجا: معناه المحارب، ثاني ملوك الأسرة الأولى جاء بعد الملك (نعرمر) وقد عثر على قبره في ابيدوس وتدل آثاره على الحروب ضد الليبيين، والاحتفالات الدينية. ينظر: أحمد فخري، مصر الفرعونية،

للدلتا، كما وجدت لوحات من عصره أيضا تمثل الليبيون وهم يقدمون هدايا أو الجزية وهذا دليل على الولاء والخضوع.

أما في عهد الملك "خع سخم" (2611-2584 ق.م) آخر ملوك الأسرة الثانية الذي اضطرته الأحوال إلى إرسال حملة حربية إلى الغرب، ومن الأسباب التي دعت به إلى ذلك هو هجوم الليبيون في عهد الملك "بر ابب" من حوالي 2700 ق.م على أرض الدلتا واحتلوها عنوة وانفصلوا بها عن الصعيد، وظل الأمر كذلك حتى جاء عهد الملك "خع سخم" الذي لم يجد بأسا من أن يعترف بالأمر الواقع في بداية حكمه، فظهر في تماثيله بتاج الصعيد وحده ثم هاجم أرض الدلتا وقاتل الليبيين المسيطرين عليها قتالا عنيفا حتى انتصر عليهم في نهاية عهده وعندما أراد رجاله أن يعبروا عن هذا الانتصار أشاروا إلى الدلتا باعتبارها الأرض التي كان الليبيون يحتلونها وليس باعتبارها وطنهم الأصيل أو أرض الخصوم الفعليين¹، وقد أشار إلى هذه الحملة ما عثر عليه من بعض الأواني الحجرية المتشابهة في "هيراكنبوليس" تشير نقوشها إلى الإلهة (نخبت) وهي إلهة مدينة الكاب (هيراكنبوليس) على شكل نسر تستقر برجلها اليسرى فوق دائرة تشبه الخاتم، كتب فيها كلمة "بش" بمعنى العصاة، وتقبض بمخالبها الأيمن على نبتتين متعانقتين تمثلان شعاري الصعيد والدلتا معا، وتتقدم بهما اسم الملك الذي حل في النظر محل صورته والذي نقش داخل سرح وقف فوقه صقر يرمز إلى المعبود

(موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012، ص 65.

¹ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى...، ص 124.

"حور" بتاج الصعيد وهي دلالة على سيطرته عليهما واجتماعهما تحت طاعته وطاعة ربه الحامية (نخبت)¹.

2. عهد الدولة القديمة (2780-2281 ق.م):

ما يمكن الاعتماد عليه في هذه الفترة هو آثار الأسرة الثالثة التي تشير إلى استمرار الصراع بين الطرفين، فقد صورت النقوش أن الليبيين (التحنو) هم جماعة مثيرة للشغب وهو ما يؤكد "مانيتون" (Maneton)* خلال حديثه عن ثورة قام بها الليبيون ضد الملك "نفر كا رع"، ويشير (حجر بالرمو)** إلى الحملة التي قام بها الملك "سنفور" مؤسس الأسرة الرابعة ضد التحنو***.

ويُرجع (فخري أحمد) سبب قيامه ببناء تحصينات إلى حماية حدود مصر الغربية من هجمات الليبيين²، كما اتجه هذا الملك لإخضاع الواحات الغربية ومن بين هذه الواحات "الفيوم"³، لكن على الأرجح لم يخضع هذه الواحات كونها لم

¹ J,e Quibell, Hierakonpolis, part 1, Egyptien Research Account, London, 1900, P. 07.

* مانيتون: مؤرخ مصري قديم وكاهن في معبد مدينة "سنمود" في محافظة الغربية، عرف بعلمه ومعرفته لتاريخ مصر ولغتها، كلفه بطليموس الثاني (حوالي 280 ق.م) بكتابة تاريخ مصر وقد استقى معلوماته من الوثائق الموجودة في المعابد والمكاتب الحكومية، لكن تاريخ مانيتون الأصلي فقد في حريق مكتبة الإسكندرية. أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص 53.

** حجر بالرمو: عبارة عن لوحة من حجر البازلت وهو مهشم إلى أجزاء كثيرة، يوجد الجزء الأكبر منه في متحف بالرمو بجزيرة صقلية، وقد قائمة نقشت عليه قائمة بتاريخ الأسرات الخمس الأولى وملوك الوجهين القبلي والبحري قبل توحيدهما. ألريد سيريل، المرجع السابق، ص 101.

*** الملك سنفور: مؤسس الأسرة الرابعة، عرف باهتمامه بالتجارة خاصة مع سوريا وبلاد النوبة، قام بتنظيم الأمور الداخلية للبلاد كما عرف باهتمامه بالفن والعمارة، حتى أنه اعتبر إلهًا حاميًا للمنطقة إلى جانب المعبودين (حتحور، سوبد). أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص 81.

² نفسه.

³ Breasted (James Henry.), op-cit, p. 115.

تلحق بمصر نهائيا إلا أثناء حكم "رمسيس الثالث" وهو ما يفهم من أحد النقوش أن الواحات كانت تحت إشراف رؤساء أجانب وتدفع الجزية إلى فرعون مصر¹. أما في عهد الأسرة الخامسة (2423-2563 ق.م) يمكننا الاستناد على نقوش معبد الملك "ساحوراع" والقائد "وني أو سورع" والتي حفظتها معابد قرية أبو صير ومن أهمها التي تحدثت عن الحملات المتبادلة بين الليبيين والمصريين وتضمنت صور لبعض أسرى التحنو مكبلين².

وقد استمر الصراع بين الطرفين ليتكرر نفس المشهد في عهد الأسرة السادسة (2280-2420 ق.م)، ويظهر ذلك من خلال رسومات الجزء الشرقي من ممر المعبد الجنائزي للملك "بيبي الثاني" التي تظهره وهو يضرب عدوه من التحنو في أعلى المشهد صور لغنائم وبعض الليبيين، وقد التشابه الكبير بين هذه المشاهد وتلك الممثلة في معبد الملك "ساحورع" بالعديد من المؤرخين إلى تفسير على أن الغرض منها هو الزخرفة والتقليد لا أكثر لذلك فهي بعيدة عن الحقيقة التاريخية³.

كما تجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين الطرفين من خلال الشواهد والنصوص العائدة إلى الملك "بيبي الأول" قد عرفت التعايش والسلم أيضا وذلك من خلال إشارة "أوني" * حاكم الجنوب إلى أن جيشه قد كان من ضمنه جنود من أرض

¹ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 15.

² أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 30-31.

³ ألدريد سيريل، المرجع السابق، ص 169.

* أوني: يتضح أنه من خلال نقوش لوحة "أوني" التي عثر عنها في أبيدوس أنه بدأ حياته كموظف صغير في عهد (بيبي الأول) في الوظائف الكهنوتية. سليمان بن سعدي، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008/2009، ص 41.

التمحو* الذي حارب به بدو آسيا، وما يمكن الوصول إليه من استعانة "ببي الأول" بهم هو انخراطهم في الجيش المصري كمرتزقة¹.

إضافة إلى الآثار الدالة على الاتصال بينهما نجد نقوش مقبرة "حرفوف"^{*} في جزيرة الفنتين، فقد ذكر فيها أنه تقدم حتى وصل بلاد التمحو في طريقه إلى بلاد (يام)^{**}، كما يذكر أنه في رحلته الثالثة من أبيدوس وسلك فيها طريق الواحات غرب النيل علم أن نزاعاً قام بين قبيلة من زنوج (يام) وقبائل التمحو فعمل على الإصلاح بينهما، ويمكن الاستدلال من هذه الرواية عن العلاقات الودية بين التمحو وملوك مصر لأنه كان من مصلحة هؤلاء الأخيرين تأجيج ذلك الصراع لأنه يخدم أمن مصر ويشغل التمحو عن التفكير في هجماتهم على الدلتا².

أما في أواخر عهد الدولة القديمة والتي عرفت باسم فترة الانتقال الأول^{***} فقد استغل التمحو حالة الفوضى والاضطراب في مصر ليتوغلوا فيها انطلاقاً من الجنوب الغربي للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال الغربي³، وقد فسر (سليم

* تمحو(ت م ح Ta-Tmh): اسم ورد ذكره في نصوص رمسيس الثالث، وهم قوم بشرة بيضاء وشعر أشقر وعيون زرقاء، أما اسمهم فذكر لأول مرة على لوحة أونى بمقبرة أبيدوس، ويرجح أن أرض التمحو كانت تمتد من شمال غرب الدلتا حتى طرابلس. محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص ص 76-81.

¹ حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص 46.

* حرفوف: كان من أعظم حكام جزيرة الفنتين بأسوان، يوجد قبره على الضفة الغربية من الجندل الأول. ألدريد سيريل، المرجع السابق، ص 213.

** بلاد يام: تعددت الآراء حول تحديد موقعها، إلا أنها تشير تلك الاختلافات جميعها إلى إمكانية وقوع بلاد "يام" جنوب غربي النوبة السفلى. أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 34.

² نفسه، ص 35.

*** فترة الانتقال الأول: هي مرحلة تمتد ما بين نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى (2181-

2134 ق.م). لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص ص 135-143.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 24-25.

حسن) ذلك من خلال وصول ملوك من أصل ليبي (الأسرتين التاسعة والعاشرة)¹ في أهناسيا*، حيث تمكنوا من أخذ الحكم من الأسرة المنفية الضعيفة².

3. عهد الدولة الوسطى (1567-2160 ق.م):

ما يمكن استنتاجه من خلال النصوص وآثار هذه الفترة وبالرغم من قلتها أن نهاية الأسرة الحادية عشر يكتفه بعض الغموض.

ذلك رأي بعض الباحثين ومنهم "جريمال" إذ أن الأمر بحاجة لمزيد من الأدلة³.

¹ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 108.

* أهناسيا: (هيراكليوبوليس - مدينة هرقل) تقع على الضفة الشرقية لبحر يوسف مقابل مدينة بني سويف، على بعد 16 كلم إلى الغرب منها وجنوب مدينة منف بحوالي 88 كلم سميت قديماً "تن - نسو"، ومعناها (مدينة الطفل الملكي) وكذلك لفظ "حوت-تن-نسو" بمعنى (قصر أبناء الملك) في عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة، وقد كانت أهناسيا مركزاً دينياً عظيماً قبل توحيد البلاد وعاصمة أقاليم مصر الوسطى في فترة من الفترات، وقد ذكرت إحدى الأساطير أن الإله "شو" (إله الهواء) قد فضل السماء عن الأرض ورفعها عالياً في هذه المدينة وذلك عند بداية الخلق، وكذلك أرسل إله الشمس "رع" الإلهة "سخت" إلهة الحرب لتهلك البشر (قصة هلاك البشرية). أحمد محمد البربري، عواصم مصر القديمة، الإسكندرية، مصر، 2008، ص ص 02-20.

وقد أجريت حفريات في مدينة هيراكليوبوليس قامت بها البعثة الأثرية الإسبانية، قدمت على شكل وثائق بمناسبة المؤتمر الدولي الرابع لعلم المصريات الذي عقد في ميونيخ (أوت 1985)، والتي أثبتت وجود اللوبيين في مصر القديمة خلال الألفية الأولى، وكيف أثروا على المدينة خاصة الجانب العمراني الديني. لمزيد من الاطلاع ينظر:

- LEAHY(ANTHONY.), LIBYA AND EGYPT (1300-750 BC), SCHOOL OF ORIENTAL AND AFRICAN STUDIES, UNIVERSITY OF LONDON, LONDON,1990, pp. 115-129.

² حسن سليم، موسوعة مصر القديمة ج1...، ص 414.

³ نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويحاتي، ط2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993، ص 204.

قد صب ملوك الأسرتين الثانية عشر والثالثة عشر اهتمامهم بتأمين الحدود الغربية لمصر وصد الهجمات الليبية، ومن أهم تلك الآثار لوحة "منتوحتب الأول" (2079-2061 ق.م)* التي تخذ انتصاره على الليبيين، كما سجلت مواجهات أخرى في عهد "منتوحتب الثاني" (2061-2010 ق.م)**، وكذا في عهد "أمنمحات الأول" (1991-1961 ق.م)¹ من الأسرة الثانية عشرة، والذي أقام سلسلة من الحصون على امتداد الدلتا، وتذكر "قصة سنوحي" (sinuhe) أن هذا الملك قام بإرسال ابنه "أسرتسين" وشريكه في الملك "سنوسرت الأول" إلى الغرب للإغارة على الليبيين وأثناء عودتهم كانوا محملين بعدد من الأسرى الليبيين وأعداد لا تحصى من المواشي²، كما أنه قد اهتم بطيبة أقام بها المعابد تمجيدا للإله آمون الذي بدأ نجمه في الارتفاع حتى وصل إلى درجة كبيرة مع بداية عصر الدولة الحديثة³، كما أنه قد استعان الملوك المصريين في شؤون الإدارة بالليبيين حيث وصل "سنبي" (snbi) إلى منصب حاكم مقاطعة القوصية***، وهذا بالاعتماد على الآثار التي وجدت في مقبرته، كما تجدر الإشارة إلى عزوف الطرفين عن

* منتوحتب الأول: رابع ملوك الأسرة الحادية عشرة، حكم حوالي 18 سنة. لمزيد من الاطلاع ينظر:

أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص 17

** منتوحتب الثاني: خامس ملوك الأسرة الحادية عشرة، نفسه.

¹ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 203.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 54.

³ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 203.

*** القوصية: كانت تسمى في المصرية "قيس"، والتي تقع حاليا على بعد 60 كلم شمالي أسيوط، كانت عاصمة الإقليم الرابع عشر من أقاليم الصعيد، ومعبدتها الرئيسية حتحور. محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 108.

المناوشات يفسر ضالة المعلومات عن الليبيين طيلة القرون الثلاثة التي خلفت عهد الملك "أسرتسين الثالث" حتى مطلع عهد الأسرة الثامنة عشرة عندما يبدأ النزاع المتواصل بينهما¹.

ومما سبق يتضح من خلال قول (حسين أحمد) أن عهد الدولة الوسطى قد امتاز بتغير واضح في عقيدة القوم الدينية، فقد أخذت عبادة الشمس شكلا رسميا كما رأينا في بداية الأسرة الخامسة، ثم كانت الأسرة السادسة وما أعقب سقوطها من اضطراب وانقسام، ومع ذلك فقد انتشرت عبادة الشمس، حتى ما تولت الأسرة الثانية عشرة الحكم كانت هذه العقيدة بالغة أقصى درجاتها فتغلبت على سائر عقائد القطر، واضطر كهنة المعبودات الأخرى أن يجاروا الظروف بقصد اجتذاب شرف عبادة رع إلى معبودات أقسامهم فقالوا أن هذه المعبودات هي صور متنوعة للمعبود رع*، ثم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فاعتبروا أسماء معبوداتهم مرادفة لاسم رع أيضا²، هذه العبادة التي ستشهد أكثر انتشار في عهد الدولة الحديثة.

4. عهد الدولة الحديثة (1567-950 ق.م):

من خلال المصادر التي وصلت عن هذه الفترة التي شهدت غارات جريئة من طرف الليبيين على مصر خاصة بعد تحالفهم مع شعوب البحر مما جعلهم

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 53-54.

* رع: هو إله الشمس، امتلك في العصور المبكرة مركزا للعبادة في مدينة "أون" (On)، يطلق عليها باليونانية "هليوبوليس" (He-liopolis) أي (مدينة الشمس)، وقد ارتبط بالإله (حور آختي) أي (حورس) باعتباره شمس الصباح، واكتسب منه رأس الصقر على جسمه البشري. مانفرد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ط1، تر: صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، مصر، 2000، ص 141.

² أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، ج1، مؤسسة دار الشعب، مصر، 1940، ص 84.

أكثر خطورة على الدولة المصرية، كما أن العناصر الليبية استطاعت الوصول لمناصب سياسية وعسكرية وحتى دينية التي ستأثر على العلاقات بين الطرفين في المراحل الموالية.

وكما سلف ذكره عن تجدد الصراع أثناء الأسرة الثامنة عشر (1570-1304 ق.م)، حيث وضع مانيتون "أحمس الأول" (1580-1558)¹ على رأس هذه الأسرة وذلك لأنه قد بدأ عصرا جديدا في الحياة المصرية بعد طرده للهكسوس الذين هاجروا إلى مصر في عهد الأسرة الثالثة عشرة².

أما عن أعماله في الجانب الديني هو ما قام به للآلهة خاصة الإله آمون حيث ورد ذكره في اللوحة التي أقامها في معبد الكرنك^{**}، وتجدر بنا الإشارة إلى أن أصله من عائلة طيبية وأن آمون هو الإله المحلي لطيبة فإن "القمر" كان يلعب دوراً كبيراً في حياة هذه العائلة، فإن معنى كلمة أحمس هي القمر (إعح)³،

¹ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية)، ج4...، ص 253.

* الهكسوس: جاء ذكرهم في كتابات مانيتون نقلا عن فخري أحمد في قوله: "أصابتنا ضربة من الله، ودون أن نتوقع ذلك جاءنا غزاة من جهة الشرق من أصل مجهول...حرقوا مدنا دون رأفة، وهدموا معابد الآلهة من أساسها"، أما ديانتهم فإنها تركزت في عبادة الإله سوتخ. لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص ص 193-196. أو حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (عهد

الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية)، ج4...، ص ص 60-61.

^{**} معبد الكرنك: ترجع معظم الدراسات بالاعتماد على العديد من التماثيل أن نواته الأولى كانت من الدولة الوسطى، أما في عهد الدولة الحديثة فقد كان العصر الذهبي لهذا المعبد -سيتم التفصيل أكثر فيه ضمن الفصل الرابع - أحمد جمال عبد الله، معبد موت بالكرنك، جامعة القاهرة، مصر، ص 03.

³ أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص 206.

أما (سليم حسن) فقد أورد في دراسته له عدة ألقاب منها: ابن آمون رع، محبوب آمون¹.

وفي عهده استأنف المصريون العمائر الدينية والجنائزية التي منها الزمن سوى القليل، وربما كان السبب وراء ذلك أنها بنيت بالطوب اللبن*، وقد عثر على عناصر باب يحمل اسمه في معبد "آمون رع" بالكرك ولم ينجح في إتمام في بعض المشاريع وهو على قيد الحياة، ومع ذلك فقد حظى بفضل الإله "آمون" في طيبة بمكانة متميزة على حساب عبادات مصر الوسطى ومصر السفلى².

ومن المفترض بنا ذكر الحملة التي قام بها ضد الليبيين، وهو ما بينه رسم على أحد جوانب آنية تظهر فيها صور لثلاث أسرى بينهم ليبي، كما قام الفرعون "أمنحوتب الأول" بحملة ضد الليبيين بعد أن أغارت أحد القبائل الليبية على مصر، والتي جاء ذكرها في نص للقائد "أحمس بن نخبت"، حيث يقول أنه رافق الملك "أمنحوتب الأول" في حملته على مكانين الأول يقال له (قهق) والآخر يقال له (يامو) وقد ذهب بيومي محمد مهران إلى الاعتقاد مكان (قهق) يقع إلى الشمال

¹ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج4...، ص 256.

* الطوب اللبن: عبارة على خليط متكون من الرمل وطيني النيل وقليل من القش، وتقطع تلك المواد المختلطة على هيئة قوالب وتجفف تحت حرارة الشمس. لمزيد من الاطلاع ينظر:

- N (Abd-el-Hamid.), Large Mud Brick Enclosures of Égyptien Temples, p. 151.

² نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 250.

الغربي من حدود مصر، وأن حقول (يامو) يحتل أنها قد تكون إحدى الواحات الواقعة في الصحراء الليبية¹.

وفي عهد الملكة "حتشبسوت" و"تحتمس الثالث" فقد عرف الوضع نوع من السلام، بعد أن قام هذا الأخير بإخضاع الواحات الغربية تحت حكمه حيث كان رؤساء القبائل الليبية يحضرون لهذا الفرعون الجزية².

ويبدو أن علاقة مصر بجيرانها الغربيين خلال حكم الأسرة الثامنة عشر قد انتقلت من الإطار الحربي إلى السلمي، فأما العلاقة السلمية ترجع إلى انكماش الليبيين داخل حدودهم، وتوقف محاولتهم لغزو الدلتا بسبب تخوفهم من التوسع المصري، وتمثلت في التبادل التجاري بين سكان الواحات الليبيين ومصر وهو ما وجد في الجدارية المرسومة على قبر من الأسرة الثامنة عشرة لوزير يسمى "أوسر" أو "أوسر آمون" والقبر يحمل رقم 113 في منطقة القرنة في البر الغربي في طيبة القديمة³، كما كان الليبيين ضمن السفراء الأجانب، وفي مشاهد أخرى ظهرُوا ضمن الحرس الخاص للملك⁴.

ثم لتتجدد الحرب بين الطرفين في عهد الأسرة التاسعة عشرة (1304-1080 ق.م) باعتراف سيتي الأول (1303-1290 ق.م) الذي عرفت مصر في

¹ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 113.

² حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (السيادة العالمية والتوحيد)، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992، ص 102. أو عبد الله حسن المسلمي، العلاقات الليبية-البربرية مع مصر القديمة (التحقيق في المصادر المصرية)، ص 65.

³ سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص ص 192-193.

⁴ بيير مونتييه، الحياة اليومية في مصر (في عهد الرعامسة)، تر: عزيز مرقس منصور، الدار المصرية، القاهرة، 1965، ص 283.

عده تجدد أطماع القبائل الليبية نتيجة لهذه الظروف مرة أخرى في غربي دلتا، وأصبحت تهدد الحدود الغربية ويستدل على ذلك بنقوش الكرنك من عهد "سيتي الأول" ومعظمها في الجدار الشمالي من الخارج إلى قيامه بحروب ضد الليبيين وانتصر عليهم وقدم أسراهم للإله آمون كما فرض عليهم دفع الجزية المعهودة وحاول التغلغل في المناطق الليبية، لكن عمله لم يكتمل¹.

وقد واصل "رمسيس الثاني" (1290-1223 ق.م) هجماته ضد الليبيين، وهذا ما جاء في لوحة "أسوان" المؤرخة في السنة الثانية لحكمه حيث كانت الغلبة له، غير أن هذا الانتصار لم يدم طويلا وذلك بتحالف الليبيون مع أحد أقوام شعوب البحر الوافدين (الشردان)²، وبالرغم من العداوة بين الطرفين إلا أنه استعان بهم من خلال تجنيدهم كمرتزقة في حملته على النوبة³، وأخذ في بناء القلاع والحصون على الركن الشمالي الغربي للدلتا أي على طول شاطئ البحر الأبيض المتوسط مثل: حصن الغربانيات، وحصنا آخر عند العلمين، أما الثالث عند زاوية أم الرخم على بعد (18 كلم) إلى الغرب من مرسى مطروح⁴، هذا الأخير الذي كشفت نقوشه أن أحد قادة تلك الحصون اسمه "نب رع" الذي كان حاكما مدنيا

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 56.

² حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (عصر رمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية)، ج6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص 241.

³ عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 50.

⁴ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 116.

وعسكرياً للقلعة، والحصن الذي يحكمه يضم داخل أسواره ثلاثة بنايات رئيسية إحداها على الأقل كانت معبد¹.

وقد سجلت الآثار ثلاثة مناظر انتصاره على الليبيين، اثنان منها في معبد (بيت الوالي) والأخير في معبد (بوسمبل)، غير أنه ما يأخذ عليها أنها لم تصور واقعة معينة حدثت بينه وبين اللوبيين، وهو ما يدفع لتساؤل إن كانت هذه النقوش تدل على حروب وانتصارات حقيقية أو أنها انتصارات وهمية من التي صورها الفراعنة للإشادة بقوتهم وتغلبهم على الأقوام والممالك المجاورة، خاصة عندما تكرر مشهد انتصار "رمسيس الثاني" في معبد "بوسمبل" هو صورة طبق الأصل من المنظر الذي تركه لنا والده "سيتي الأول" على (معبد الكرنك)².

وفي سنة 1223 ق.م توفي "رمسيس الثاني" وقد حكم بعده ابنه "مرنبتاح" (1223-1211 ق.م) الذي جاء ذكره في علاقته مع اللوبيين في أربعة مصادر مصرية أصلية والمتمثلة في: نقوش (الكرنك) الكبيرة، عمود القاهرة، لوحة أتريب، أنشودة النصر*.

شهدت فترة حكم "مرنبتاح" مواصلة الغزو الليبي نحو المناطق الغربية، حيث قاموا بتحطيم القلاع والحصون، وقد ساعدهم في ذلك تأييد شعوب البحر

¹ سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 202.

² حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج6...، ص 240.

* للاطلاع أكثر على هذه المصادر ينظر: حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (عصر مرنبتاح ورمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية)، ج7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000، ص 84.

لهم¹، إضافة إلى الأسباب الطبيعية فقد عرفت منطقة ليبيا فترة الجفاف والتصحر خلال النصف الثاني من الألفية الثانية قد أجبر السكان على الهجرة نحو مصر من وراء برقة حاملين معهم نسائهم وأطفالهم وماشيتهم وهذا دليل واضح على صعوبة الظروف².

وهو ما يؤيده (جاردنر ألن) الذي يرى أن الهجوم قد انطلق من مكان بعيد في الغرب، أي من برقة أو من ورائها ومما يؤكد قوة اندفاعهم ما جاء في وصفهم على نقوش معبد من أنهم "يحبون الموتو يحتقرون الحياة" وأنهم "أتوا إلى أرض مصر سعيا وراء الطعام الذي يسدون به أفواههم"³.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن تقدم "مرنبتاح" في السن حين ولي الحكم جعله لم يقدر الحملات ضد الليبيين⁴.

ساد الغموض في السنوات الخمسة عشرة الأخيرة من الأسرة التاسعة عشرة، حيث تفجرت أزمة العرش بوفاة "مرنبتاح"⁵، حيث حكم بعده خمسة ملوك لم يقوموا بأي عمل يذكر على الصعيد الخارجي بل دخلت مصر في دوامة من الفوضى، الوضع الذي استغله الليبيون في التوغل داخل مصر، ولم يكونوا الوحيدين من استغل هذه الظروف بل هناك شعوب أخرى أيضا استغلوها خاصة من الشرق

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 50-51.

² نفسه، ص 56.

³ ألن جاردنر، المرجع السابق، ص 300.

⁴ نفسه.

⁵ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 351.

بوصول شعوب البحر التي هددت مصر براً وبحراً في آن واحد، واستمر هذا الوضع إلى أن اعتلى "رمسيس الثالث" الحكم¹.

تعرضت مصر بداية الأسرة العشرين إلى ثلاث غزوات، اثنتان لليبتيان (من الغرب) والأخرى من طرف شعوب البحر (من الشرق)²، وهذا استناداً على النقوش التي وجدت على جدران معبد مدينة "هابو" التي تناولت هذه الهجمات³.

وفي السنة الخامسة من "حكم رمسيس الثالث" هجم جيش كبير من الليبيين وحلفائهم من الريبو والمشواش وحلفائهم من شعوب البحر، ويرجع سبب هذا الهجوم إلى تدخل رمسيس الثالث في الشؤون الداخلية لليبيين بعد أن حاول تعيين أحد الليبيين الذين كانوا يعيشون في مصر ليكون حاكماً عليهم⁴، وقد استهدف الليبيون أثناء الحملة مدينة (منف) لكنهم اصطدموا بجيش رمسيس الثالث قبل الوصول إليها وحسب نصوص معبد مدينة (هابو)* وبردية "هاريس" بلغ تعداد الليبيين وحلفائهم أكثر من ثلاثين ألف رجل، رغم ذلك انهزم الليبيون في هذه

¹ جان فيركوتير، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص 134.

² ألن جاردنر، المرجع السابق، ص 310.

³ محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 38.

⁴ أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص 294.

* معبد مدينة هابو: هو معبد جنائزي، تتوسط المعبد منشآت أما المخازن والمباني الملحقة فتنتشر على طول محيط المعبد وصورت على السطوح الداخلية والخارجية معارك رمسيس الثالث، ويشاهد على الواجهة الخارجية شعائر تقديم مغانم "لأمون" وتكريسها له. للاطلاع أكثر ينظر: نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص ص 361-365.

الحرب وحسب هذه بردية قتل فيها اثنا عشرة ألف ليبي، وأسر منهم حوالي ألف الذين استخدموا فيما بعد في الجيش وخدمة المعابد المصرية¹.

وما يلاحظ من المناظر التي رسمت على جدران سطوح معبد مدينة (هابو) أن الآلهة كانت ملازمة للفرعون في حروبه، كل منهم يؤدي علمه ووظيفته الخاصة به وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تغلغل نفوذ رجال الدين في كل أمور الدولة حتى في حروبها²، وربما يعود السبب في ذلك اعتقاد المصريين أن الفضل في انتصاراتهم، راجعا إلى إلهين هما: "الملك الإله" الذي قاد الجيوش، والإله الذي بارك تلك الحروب، ذلك أن الإله "آمون رع" قد تعطف وأذن بالحملات الحربية وأعار سيفه وعلمه الإلهي للملك لكي يقود الجيوش إلى المعركة، ومن ثم فقد كان على هذه الجيوش أن تدفع ما عليها من دين لآمون بعد أن تنتصر³.

وقد تجدد الهجوم الليبي في السنة الحادية عشر من حكم رمسيس الثالث حيث قام رئيس المشوش قبل هجومه على مصر انقض على بلاد التحنو (المسالمة لمصر) فجعلها خرابا لأن أهلها رفضوا التحالف، ثم استمرت القوات المتحالفة في الزحف شرقا حتى النيل وسيطرت على الدلتا من رأسها حتى

¹ أم الخير العقون، "إطالة على الصلات بين مصر وشمال غرب إفريقيا"، ص 132.

² حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج7...، ص 272.

³ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 129.

قاعدتها¹، وكان الاصطدام قوي بين الطرفين وقتل فيه عددا كبير منهم وانتهت هذه الحرب بانتصار الجيش المصري .

وحدّد (بن سعدي سليمان) خمس مصادر تناولت هذه الحرب وتتمثل في:

أ- المتن الكبير المؤرخ بالسنة الحادية عشرة وهو منقوش على الجدار الشرقي داخل الردهة الأولى لمعبد مدينة هابو الكبير.

ب- المناظر التي تركها "رمسيس الثالث" على جدار المعبد.

ج- القصيدة التي كانت احتفالا بحرب السنة الحادية عشرة.

د- النقشان الموجودان مع منظر الواقعة المرسومة على الجدار الشرقي، جنوبي البوابة الكبيرة من الردهة الأولى، وهما بداية النقش الكبير الثالث، ونقش آخر لا يحتوي إلا على جمل اصطلاحية في تمجيد الفرعون وذكر صفاته وبعض الإشارات البسيطة عن الحرب.

هـ- ما جاء في بردية "هاريس" في جزئها التاريخي حول هذه الحرب².

رغم خسارة الليبيين الحربية وفشل أسلوب القوة في التوغل إلى واد النيل³، وما يشير إلى انتهاء المعركة بهزيمة الليبيين أحد المناظر المصورة على البرج الشمالي للبوابة الأولى على الواجهة الغربية، الصف الأسفل، الجنود المصريين ينهون تشتيت صفوف الليبيين، ونصا أمام الملك جاء فيه: "الإله الطيب، عظيم الانتصار، سيد القوة قاتل كل أرض مطوق كل بلاد المشوش بحثا عن المعتدين

¹ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 179.

² سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 236.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 72.

على خدوده، داخلا في كل حشد، ذابحا مئات الألوف، لا يقف أمامه أحد، لأنه يشبه بعلفي وقت غضبه"، كما وجدت صورة الإلهة "نخبت" سيدة السماء تعطيه كل النصر وكل الشجاعة، كما تجعل كل السهول والبلاد الجبلية تحت قدميه¹.

فقد غيروا أسلوبهم إلى أسلوب التسرب السلمي وشجع على ذلك تجنيدهم كمرتزقة في الجيش المصري²، والذين عجز خلفاء رمسيس الثالث على تسديد رواتب جميع الجنود الأمر الذي دفع الفراعنة إلى اقتطاع أراضي زراعية واسعة كمرتبات دائمة لهم، بعدها يبدأ نفوذ الليبيين يزداد قوة كونهم يملكون أراضي مرخصة من الفرعون ليكونوا قوة ضاربة في مصر ومصدر قلق لها³.

خلال الأسرة الواحدة والعشرين استقروا في الدلتا وتولوا رئاسة بعض الأقاليم ويطلق على اسم القائد لقب زعيم ال "ما" *، حيث توسع نفوذهم ليتمكنوا من اعتلاء العرش المصري خاصة بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين⁴.

5. فترة الحكم الليبي لمصر (950-332 ق.م):

تمكنت العناصر الليبية المستقرة في "أهناسيا" - سبق شرحها - التي تزعمها أحد رؤساء المشوش والذي يسمى "بويواوا" الذي كان معاصرا لأواخر عصر

¹ سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 245.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 72.

³ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 142.

* "ما": اختصار لـ مشوش وهي تسمية ترجع في أصلها إلى منطقة شط الجريد جنوب قرطاج. رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج 1...، ص 224.

⁴ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 370.

الرعامسة*، وقد كانت الأسر المكونة لهذه الحامية تقطن قبل ذلك في واحات الصحراء الغربية، خاصة في الداخلة والبحرية (الخريطة رقم 06 ص 407) بعدها نزحت إلى "أهناسيا"، وسرعان ما أصبح لزعمائها مراكز مرموقة في مصر فمثلا كان "مواساتا" ابن "بويواوا" أحد كهنة الإله "حرف" (معبود أهناسيا)**، وقد أخذت العائلة تتوارث هذا المنصب الكهنوتي، ويزداد نفوذها بالتدريج في "أهناسيا" بل امتد نفوذهم ليشمل مصر الوسطى كلها، وتجاوزت بكثير ما كان لكهنة "حرف"، وبعد خمسة أجيال من عهد "بويواوا" تمكن أحد أحفاده من الجيل السادس وهو "شيشنق"*** من الوصول إلى مركز "رئيس الحامية الحربية الليبية"

* الرعامسة: نسبة إلى حكم عائلة رمسيس وهي تشمل ملوك الأسرة التاسعة عشرة والعشرون، وقد عُين (رمسيس الأول) ملكا على البلاد، ولما كان لا يمت بصلة قرابة للأسرة الثامنة عشر، فقد اعتبره مانيتون مؤسساً لأسرة جديدة من ثمانية ملوك، أما الأسرة العشرون فأول ملوكها رمسيس الثالث الذي تلاه تسعة ملوك، وتتميز عهده بالنظام وصد هجمات الحثيين والانتصار عليهم، كما انتصر على غزوة ليبية. لمزيد من الاطلاع ينظر: ناصر الأنصاري، المجلد في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997، ص ص 40-42.

** حرف: هو الإله العظيم لبلدة "أهناسيا"، كان يمثل في صورة كبش من الإله "آمون" رب "طيبة" أو الإله "خنوم" رب "الشلال". لمزيد من الاطلاع ينظر: حسن سليم، موسوعة مصر القديمة (نهاية الأسرة الواحدة والعشرون وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبي ولمحة في تاريخ العبرانيين)، ج9، مطبعة جامعة فؤاد الأول، مصر، 1952، ص 444.

*** شيشنق الأول: هو ابن نمرود ابن شيشنق ابن باثوث ابن نبنشي ابن ماوساتا ابن بويواوا مؤسس الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصر ما بين (950-929 ق.م)، وهو من الليبيين المشواش الذين استقروا في مصر. لمزيد من الاطلاع ينظر: مبروكة محمد سعيد الفاخري، "الفرعون الليبي الأول شيشنق (929-950 ق.م)"، مجلة كلية الآداب، العدد 26، ج1، مصر، 2018، ص ص 311-323.

في المنطقة، وبذلك جمع في يده السلطتين الدينية والعسكرية في مصر الوسطى¹ إضافة إلى ابنه "نمروت" قد حمل على أيامه لقب "رئيس الجيش كله" و"الرئيس الأعظم للأجانب"²، ومما يعبر عن نفوذ وقوة هذه الأسرة في ذلك الوقت أن "بسوسينس الثاني" آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرون سعى لمرضاة "شيشنق" والد "نمروت" عندما جاء إليه يشتكي من حادثة نهب قبر ابنه "نمروت" في مدينة أبيدوس فاتجه معه الملك بنفسه كي يستفتي الإله آمون، فحكم الوحي على الجناة وأرسل إلى أبيدوس تمثالا على صورة نمروت على سبيل التعويض، وتفسر هذه الحادثة بوضوح عن مدى ما كان يتمتع به المشوش من نفوذ قوي في تلك الفترة من تاريخ مصر، وحرص الملك على عدم إغضابهم³.

عرف "شيشنق الأول" بشخصيته القوية حيث استطاع أن يمد نفوذها إلى "أبيدوس" جنوبا، ونظرا لما بلغه دعاه آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين "بسوسنس الثاني" للمشاركة في أعياد جلالته وتلقي المجد معه وهو نوع من الاسترضاء لشيشنق الأول، كما أن الليبيين كانوا قد تمصروا تماما، واعتنقوا ديانة

¹ نجيب ميخائيل، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر، ط2، دار المعارف، مصر، 1962، ص 313.

² ألن جاردنر، المرجع السابق، ص 358.

³ سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 270.

المصريين مثل بقية سكان البلاد¹، وعبدوا الآلهة المصرية، واستطاعوا بفضل مراكزهم الحساسة من الوصول إلى الحكم².

وقد أقامت أسرة شيشنق منذ أوائل الأسرة الحادية والعشرين في (تل بسطة)* حيث أسكن الرعامسة غالبية المستوطنين المشوش، واعتمد المؤرخون على لوحة "حاربسون"*** والتي تعود إلى نهاية الأسرة الثانية والعشرين.

وقد تحدث "حاربسون" عن أجداده حتى الجيل السادس عشر³، واتسمت العلاقة بين الفرعون "بسونس الثاني" و"شيشنق الأول" بالودية حيث سهلت وصول هذا الأخير إلى الحكم بعد هذا الفرعون، ويستدل في العلاقة الودية أنه بعد وفاة "نمروت" طلب "شيشنق الأول" من الفرعون أن يأذن له بوضع تمثال لأبيه (نمروت) في معبد "أوزيريس" بأبيدوس، كما طلب منه أن يخلف أباه في مركزه فوافق الملك والإله العظيم آمون⁴.

¹ محمد بيومي مهران، "دور الحكام ذوي الأصول الليبية في مصر أيام الأسرة الثانية والعشرين رؤية لمدى تأثيرهم على السياسة الخارجية والفن"، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 12، مصر، ص 5.

² ألن جاردنر، المرجع السابق، ص ص 354-355.

* تل بسطة: (بر - باستت)، عاصمة الإقليم الثامن عشر من أقاليم مصر السفلى، سميت في اليونانية بوباستيس، وتقع في نطاق مدينة الزقازيق. نفسه، ص 04.

** عثر على هذه اللوحة في السربيوم (مدافن العجل أبيس) بمنف وقد أقامها "حور باسن" القائد الحربي والكاهن الأعظم للإله "حشف" في أناسيا في السنة السابعة والثلاثين من حكم الفرعون "شيشنق الرابع" بمناسبة دفن عجل أبيس، وحاليا محفوظة بمتحف اللوفر بباريس. حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9...، ص 83.

³ عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى...، ص 402.

⁴ محمد بيومي مهران، "دور الحكام ذوي الأصول الليبية في مصر"...، ص 06.

وفي حوالي 950 قبل الميلاد وضع "شيشنق الأول" حجر الأساس لدولة ليبية¹، وقد كان هذا الفرعون حاكما قويا وشجاعا حاول أن يجعل لعائلته مركزا شرعيا في حكم البلاد بتزويج ابنه "وساركون" من ابنة الفرعون "بسونس الثاني" الأميرة "ماعت كارع"، وضمن لنفسه ولولده من بعده ولاية عرش مصر لم يكن يحلم به خاصة بعد ضمان ولاء غرب الدلتا له بانتشار حلفائه وأقربائه على حدودها، هذا الأمر الذي سمح بانتقال الحكم إليه في ظروف سلمية طبيعية محترما بقايا الأسرة السابقة مسيطرا على الأمور المدنية والدينية².

أما سياسة "شيشنق الأول" فتمثلت في توطيد وحدة البلاد بوسيلتين، الأولى تعيين بعض أفراد البيت المالک وأنصارهم على رأس الإدارة في كهنة آمون بطيبة، أما الثانية تمثلت في الزواج من الأسرة الكهنوتية في طيبة، حيث أسند إلى ابنه "ايوبوت" منصب كبير كهنة آمون والقائد العام للقوات المسلحة وحاكم الوجه القبلي في آن واحد، وضمن بفضل الجمع بين هذه المناصب الثلاثة الربط بين السلطة السياسية والسلطة الروحية³، الأمر الذي أدى إلى اندلاع ثورة الكهنة في طيبة، قضى "شيشنق الأول" على هذه الثورة، وقد لاذ الكهنة المعارضين إلى الجنوب، فقام بتزويج ابنه الثاني "ايوبوت" من ابنة رئيس كهنة آمون، وزوج ابنته

¹ جان فيركوتير، المرجع السابق، ص 142.

² عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى...، ص 403.

³ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9...، ص ص 92-93.

لـ (جد جحوتي يواف عنخ) الذي كان يشغل منصب كاهن آمون الثالث¹، وبذلك أصبحت السلطة الدينية والدنيوية محصورة في أسرة واحدة.

رغم توطيد "شيشنق الأول" سلطته على طيبة من خلال ابنه إلا أنه لم يرغب في أن يترك كل السلطة الفعلية جنوب "منف" في يد رجل واحد حتى وإن كان ابنه، فأقام سلطة مضادة في مصر الوسطى بدافع من الحذر والفتنة، فأسند قيادة هيراكنبوليس (أهناسيا)² العسكرية إلى "نمرود" أحد أبنائه، وأصبحت هذه المدينة نقطة استراتيجية تتحكم في التبادل التجاري بين شمال مصر وجنوبها³.

وقد واصل ورثة "شيشنق الأول" نفس سياسته، حيث اتبعها ابنه "أوسركون الأول" في السنوات الأولى من حكمه تجاه الأملاك الإلهية، فأغدق على كبار كهنة المملكة في منف وهيراكنبوليس والكرنك كل ما يحتاجونه، إضافة إلى تشييده أو إعادة تشييده معبد "آتوم" ومعبد "باستت" الآلهة التي أعطت اسمها للمدينة، كما دعم الأوضاع التي أوجدها أبوه حول هيراكنبوليس فواصل ما بدأه من أعمال في معبد "الحببة" ومعبد "إيزيس" في اطفيح⁴.

أشرك "أوسركون الأول" ابنه "شيشنق الثاني" في الحكم بوضعه في محل أخيه "ايوبوت" في منصب كبير كهنة آمون، والحكم إلا أن الحظ لم يسعفه في التربع على عرش البلاد رغم النجاحات التي حققها في منصب كبير الكهنة، إذ توفي وهو لا يزال شريكا في الحكم ووالده على قيد الحياة، وقد مات هو كذلك

¹ A.H, (Gardiner.), Ancient Egyptian, Onomastica, Oxford, 1927, p. 300.

² نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 418.

³ ألن جاردنر، المرجع السابق، ص 358.

⁴ نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص 420.

بعده بأشهر ليخلفه في الحكم "تكلوت الأول " لتدخل البلاد في عهده مرحلة التوازن النسبي الذي قام بفضل مجهودات ملوك تانيس ثم واصله ملوك "بويسطة"(عاصمة الحكم)¹، وانتهى نظام منح حق استغلال أملاك التاج مدى الحياة، والتحالفات القائمة على المصاهرة التي كانت تهدف إلى التوفيق بين سلطة شمال البلاد وجنوبها، وساعد دخل الأفراد الناتج من شغل المناصب الرسمية على إنشاء الإقطاعيات التي ازداد استقلالها على مر الأيام لتبعث إلى الوجود النزعات الانفصالية القديمة، لتدخل البلاد في حالة فوضى خاصة في آخر أيام الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين تفرقت وحدة البلاد وبشكل خاص الدلتا بسبب تنافر الأمراء الليبيين (المشوش والريبو)².

كما استمرت الوضع الداخلي للبلاد في التدهور إلى الحضيض خلال الأسرة الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون³، ليرز الدور الليبي من جديد خلال فترة حكم الأسرات الثامنة والعشرين إلى الثلاثين والتي تمتد بين تحرير مصر من الاحتلال الفارسي وغزو (الاسكندر المقدوني) لمصر في 332 قبل الميلاد⁴.

وقد تمتع الكهنة فترة التواجد الليبي في مصر بمراكز مرموقة بحكم أن تلك الفترة سيطرت عنها النزعة الدينية ومن أهم المدن التي أخذت النزعة الدينية نجد: "طيبة"، "أبيدوس"، "هيراكنبوليس"، "منف"، "تانيس" حيث لقب "الكاهن الأعظم" للآلهة المحلية في هذه المدن يؤهل حامله لأن يكون حاكما للمدينة التي يباشر

¹ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9...، ص 234.

² سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 286.

³ أحمد فخري، مصر الفرعونية...، ص ص 318-319.

⁴ نفسه، ص 342.

فيها طقوس عبادة آلهتها، كما صبغت الألقاب العسكرية بالصبغة الدينية على ألقابهم العسكرية لترسيخ وتأكيد سيادتهم على هذه المدن، وحمل رؤساء المشوش لقب كاهن في مدنها كوسيلة لحكم هذه المدن، وقد حكمت مصر عن طريق الكهنة العسكريون، وكثيرا ما حدث نزاع -لأهمية هذا المركز- سواء على مركز "كاهن أول" أو "كاهن ثاني" أو "كاهن ثالث" أو "كاهن رابع" للإله آمون بطيبة وبطبيعة الحال فقد كان الكهنة يباشرون طقوس عبادة الآلهة فيما يتعلق بتطهير المعبد وحجرة الإله، وإقامة الأعياد الدينية، كما كان يوجد إلى جانب هذه الفئة فريق آخر يمثل مغنيات الإله وعابداته، وقد انقسموا إلى أربعة فئات كانت كل فئة تتناوب العمل مع الفئة الأخرى على مدار العام، وكان في أغلب الأحيان يرث الابن عن أبيه مركزه الديني، برغم أنه لم يكن هناك وراثة حتمية معروفة لا في أفراد الكهنة، ولا في وظائفهم عامة في عهد الدولة الحديثة إلا في حدود ضيقة ولكنه في هذا العصر كانت وراثة ابن الكاهن لأبيه نظاما مألوفا ومتبعًا للمحافظة على استمرار نصيبه من دخل المعبد وقربانه¹.

أما من الوجهة الاجتماعية، فيما يتصل بالمسائل الشخصية والمعاملات ومشكلاتها وطرق حسمها تلك الأهمية التي منحت لتنبؤ بالوحي أو استشارة الإله (آمون) كقاضي أعلى في البلاد حتى نهاية الأسرة الحادية والعشرين، أما فيما بعد

¹ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9...، ص 234.

فإن استشارة الإله لم تعد حكرا على الإله (آمون) مثلما تفصح عن ذلك "لوحة الداخلة" * المؤرخة بالعام الخامس من حكم "شيشنق الأول"¹.

وما يمكن التوصل من خلال دراسة العلاقات الدينية لبلاد المغرب القديم مع مصر في فترة التواجد الليبي في مصر قد عرفت الاهتمام بالدين ومعابده، حيث ازدادت العلاقة توطيدا بين الإنسان والإله، وكانت السمة المميزة لكامل الألف الأولى قبل الميلاد، بل أصبح الاهتمام بالدين يتناول حتى الأمور السخيفة التي لم يكن لها من قبل غير وجود بسيط ومنها اهتمامهم بمدافن عجول أبيس في السيرابيوم بمنف².

أما فيما يخص طرق الدفن الجنائزية فقد تم التخلي عن المدفن الفردي وأصبحت المقابر عبارة عن دهاليز عائلية للدفن تكون أحيانا داخل صور المعبد وربما كان السبب في ذلك هو تأمين وحماية الشخص المتوفى من السرقة التي حدثت في أواخر الأسرة الحادية والعشرين، أما تحنيط الموتى في هذه الأسرة بلغ ذروة الإتقان والاهتمام³.

سبب الدراسة للجانب الديني المصري ببعض من التفصيل هو للحاجة لها في توضيح التأثيرات المتبادلة بين الطرفين التي ظهرت منذ بداية العصر الحجري القديم الأعلى، ويستدل على ذلك الآثار المختلفة والتي تنوعت بين الصراع في

* لوحة الداخلة: عثر عليها عام 1894م، تبحث في الأحوال الطبيعية والطبوغرافية والدينية والإدارية لواحة الداخلة، لمزيد من الاطلاع ينظر: مبروكة محمد سعيد الفاخري، المرجع السابق، ص ص 319-320.

¹ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9...، ص ص 133-140.

² سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص 296.

³ حسن سليم، موسوعة مصر القديمة، ج9...، ص ص 467-481.

أكثر الأحيان التي عرفت النزوح والهجرات الليبية على منطقة وادي النيل، كما كانت سلمية في فترات أخرى.

نبدأ بالصراع المتمثل في الحروب، وتجنيد الليبيين كمرتزقة في الجيش المصري أو تشغيلهم في بناء المعابد، ونزوحهم في فترات مختلفة واستيطانهم بمنطقة وادي النيل، وكذلك المصاهرة، وتكوين الليبيين لأسر حاكمة في مصر وسهل الجوار والانتماء الجغرافي من الاحتكاك المستمر والمباشر بينهما.

كما أن العلاقة بين مصر وبلاد المغرب القديم قد عرفت حركة التأثير والتأثر في مختلف المظاهر الحضارية خاصة المظهر الديني، لأنه مما لا شك فيه أنها حملت معها العادات والتقاليد والمعبودات الدينية والتي أحدثت تمازج ديني بين المنطقتين.

ثانياً: التأثيرات الدينية المصرية على ديانة بلاد المغرب القديم وطقوسها

أن الإنسان يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها ونمط معيشته كذلك فالذي يعيش مستقراً في حقوله الخصبة يفكر في آلهة تختلف عن تلك التي يتخيلها شعب يتنقل من مكان إلى آخر ولا يعرف الاستقرار¹.

كما هو حال التأثير المصري في بلاد المغرب القديم الذي ظهر جلياً ليس في المعابد فقط بل حتى في المقابر التي حملت جدرانها نقوشاً مصرية، التي دلت على التقارب الفكري الديني بين المصريين وسكان واحة آمون، ولابد أن هذا التقارب قد مهد الطريق أمام قيام علاقات من نوع ما بين الواحة الصغيرة والإمبراطورية الفرعونية الممتدة على ضفاف وادي النيل².

وتعد العقائد الدينية والنزعة الفنية في أي شعب من مقومات حضارته، وكان التأثير الحضاري الليبي في تراث الحضارة المصرية، واضحاً جلياً ومن أبرز مظاهر هذه الحضارة هما: الدين والفن، وليس الجزم بهذا التأثير الليبي في الحضارة المصرية القديمة، قطعاً بالأمر السهل، ولكنه مع ذلك ليس بالأمر المستحيل، حيث أن بعض المعبودات المصرية القديمة رسمت في المقابر وعلى

¹ محمد على سعد الله، الدهور الحجرية القديمة في مصر والعراق وسورية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004، ص 75.

² ضو سالم ضو بن رمضان، الديانة الليبية القديمة وتأثرها بالديانات الأخرى (من القرن الخامس قبل الميلاد حتى بداية القرن الأول الميلادي)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب والتربية، جامعة سرت، ليبيا، 2009، ص 38.

الجدران وهي ترتدي أو تتزين بأشياء معينة اختص قدماء الليبيين وحدهم بارتدائها والتحلي بها في النقوش والرسومات التي تمثلهم على آثار مصر الفرعونية¹.

عندما شعر الإنسان المصري بالخوف مما حوله من مظاهر كانت تؤثر تأثيرا مباشرا على كل جوانب حياته، وقد أدى هذا الشعور إلى احترامه وتقديسه لكل هذه القوى²، كما تخيل أن الآلهة متمثلة في مظاهر الطبيعة ومخلوقاتهما، ومن هذا المنطلق جاء تقديسهم للأرض والسماء والهواء، وكثيرا من الحيوانات كالثيران والكباش، والأبقار والثعابين، فكان من الطبيعي بالنسبة لليبيين أن يكونوا عبدوا مظاهر الطبيعة من سحب وعواصف، وآبار وغيرها، بالإضافة إلى اعتقادهم بالوهية الحيوانات، كما أن الليبيين القدماء كانوا يدركون بفهم عميق لوجود حياة أخرى بعد الموت³.

أما فيما يتعلق بالديانة المصرية القديمة فيعتقد هيرودوت أن المصريين هم "أكثر الناس دقة في الدين"⁴، وأن لديانتهم وجهان، الأول يمثل الديانة الاعتيادية أما الثاني فيمثل الديانة الجنائزية (أي طقوس الدفن والمعابد)، غير أن الآلهة في كلا الديانتين واحدة، حيث أن الديانة الاعتيادية محلية، فلكل إقليم آلهته الخاصة به.

¹ محمد مصطفى بازامة، المرجع السابق، ص 86.

² حسين الشيخ، العصر الهلنستي (مصر)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993، ص 120.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 229.

⁴ أندريه إيمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، مج 1 (الشرق واليونان القديمة)، تر: فريد م. داغر وفؤاد ج أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، 2006، ص 84.

أما الديانة الجنائزية عامة، فالآلهة التي تشرف على طقوس الموتى هي واحدة في جميع أنحاء مصر¹.

ومما سبق ذكره أنه للديانة المصرية والديانة الليبية القديمة أوجه تشابه كبيرة فيما بينهما خاصة وأنهما من نفس المنطقة (شمال إفريقيا)، والتي سيتم دراسة علاقة التأثير والتأثر بين الديانتين من خلال الآلهة.

كما تجدر الإشارة لعدم التعرض للإله آمون في هذا الفصل وذلك لسببين الأول تقادي تكرار المعلومات التي سنتناولها في الفصل الرابع بشكل أوسع والثاني لاختلاف آراء المؤرخين حول أصله الذين انقسموا إلى فريقين، فريق يقر على أنه من أصول مصرية، وفريق يرجعه إلى الأصول الليبية القديمة.

1. الآلهة الليبية وتقديسها في مصر القديمة:

اختلفت آراء المؤرخين حولها بين مؤيد ومعارض في بعض التفاصيل نظرا لقدم الصلات بينهما والتي من خلالها كان الليبيين المهاجرين دور في التكوين السكاني لوادي النيل نفسه، فكل آلهة خصائص في مرحلة نشأتها، فيرى الفريق الأول الذي يستبعد فرضية التأثير الليبي أن بعض الآلهة مثل "ست" و"أش" و"نيت" وغيرها ليس لها أصل إثني (عربي) لا مصري ولا هو ليبي، لكنها أتت من حضارة الصيد القديمة والشاملة، إضافة إلى الخصائص التي تميز الليبيين كانت مشتركة وتمت المحافظة عليها بعد ذلك من طرف القبائل الخارجية عن

¹ ضو سالم ضو بن رمضان، المرجع السابق، ص 39.

حضارة وادي النيل، أما الفريق الثاني فيقر بالأصل الليبي لبعض الآلهة المصرية¹ مستندا في ذلك على عدة معطيات أثرية ونصوص².

يرى (و.بدج) أن الآلهة الأجنبية التي نجحت في أن تتال مكانة في مشاعر المصريين كانت من أصل ليبي أو من أصل سامي³، أما (أ.باتس) نقلا عن (دراز أحمد عبد الحليم) فيرى ضرورة وجود علاقة بين ديانة المصريين وديانة الليبيين أقرب من العلاقة التي وجدت بين ديانة الليبيين والساميين مثلا حيث توجد عناصر متنوعة في الديانة المصرية ذات أصل ليبي⁴.

ويمكن الاستناد إلى المعطيات البيئية والمناخية التي مرت بها الصحراء الليبية جعل المجموعات البشرية تتجه نحو وادي النيل، حيث يستدل في ذلك على شدة التشابه الموجود بين الرسوم الصخرية بين تلك المناطق⁵.

الأمر الذي جعل الإنسان يبحث عن معبودات مرتبطة بالمطر الذي ينزل من السماء وعليه فإن أصل الآلهة سماوية ولم تكن نهريّة، ومنها: الإله "ست" و"مين"، "أش"، وقد ارتبطت الآلهة بالتلال الواقعة غربي وادي النيل، وهي آلهة الجبل في العصر الفرعوني مثل "حا" و"أش"، إضافة إلى أن دين السماء في مصر مرتبط ارتباطا خاصا بالغرب (ليبيا) بالصحراء⁶، كما قد ساعد على انتقالها

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 201-202.

² محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص ص 41-45.

³ فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص ص 269-270.

⁴ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 203.

⁵ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص ص 62-63.

⁶ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 202.

استعداد سكان الأقاليم حسب ما يظهر من النصوص المصرية لقابليتهم لتقبل آلهة الأقوام التي دخلت إلى المنطقة بشكل حربي¹.

سنتناول في دراستنا هذه بعض المعبودات الليبية التي تأثر بها المصريون وعبدوها -نظرا لكثرة عددها- مثل: "ست" و"نت"، "حورس" و"أوزوريس"، إضافة إلى "أش" و"حشف".

1.1. الإله ست (Sith):

كانت أحد ألقاب ست الأكثر شيوعاً (العظيم في قوته) أو (عظيم القوة) ففي أحد متون الأهرام (رقم 1145) تقرر أن قوة الملك هي قوة ست، ويظهر الإله باعتباره الرفيق الخاص بمصر العليا للإله الملكي لمصر السفلى حورس². عبد من عصر ما قبل الأسرات³، ونظرا لكونه يرمز إلى القوة والحرب فقد تشبه به ملوك الأسرة الأولى والثانية، وعبد على شكل حيوان غير معروف يشبه الحمار أو الجمل⁴.

من خلال النصوص الفرعونية يعتبر إله الصحراء، وكان يعرف في العهد الثيني باسم سيد ليبيا كما ظل يعرف بلقب حامي الأراضي الحمراء أي الصحراء كما عبد في الواحة الخارجة، يتميز باللون الأحمر، والمصريون يسمون اللون الأحمر لأنه في نظرهم يعني الشر⁵، لكونه قد ارتبط هذا الإله بالصحراء جعله رمزا للجفاف التي تعبر عنه نصوص الأهرام بالعقم⁶.

¹ والاس بدج، آلهة المصريين، تر: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 131.

² مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 150.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 201-202.

⁴ والاس بدج، المرجع السابق، ص 128.

⁵ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 209.

⁶ نفسه، ص 126.

ونظرا لكونه ذو شعر أحمر وجلد أبيض فهو ينتمي إلى الليبيين¹، وقد أصبح معبودا بالغ الأهمية في عهد الأسرة الثانية والعشرين في واحات في مصر الغربية².

2.1. الإلهة نت (Neith):

صاحبة القوس (القواصة)، وهي إلهة مدينة سايس (صا الحجر) في غرب الدلتا وكانت إلهة الصيد، وقد ورد ذكرها منذ عصر ما قبل الأسرات على فخار نقادة* ولعبت دوراً مهماً في المعتقدات الجنائزية منذ متون الأهرام بصورتها على هيئة سيدة تلبس تاج مصر السفلى الأحمر وتمسك بيدها قوساً وسهمين³.

حيث اعتبرها بعض المؤرخين ربة للصيد، ويفسرون ذلك برمز القوس والسهمين، أما الآخرون فيرى أنها إلهة حربية ودليلهم في ذلك وضع الأسلحة الحربية حول التابوت من العصور القديمة ارتبطت بوظيفة الآلهة باعتبارها إلهة حامية⁴.

ظهرت عند سكان بلاد المغرب القديم كوشم على الذراع والسيقان في أغلب رسوماتهم⁵، واتخذتها قبيلة "الجرامنت" كرمز للحياة وصنعوا لها الشواهد على شكل

¹ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 39.

² فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص 27.

* نقادة: هي منطقة في دلتا النيل، قامت فيها حضارة نقادة التي قسمها العلماء إلى نقادة الأولى والثانية، حيث تميزت الأولى بالرسومات على أواني الفخار بزخارف معتمدة على الخطوط المستقيمة والمائلة، صورت حيوانات محلية، أما الثانية أكثر تقدماً من الأولى، أستعمل اللون الأحمر في الفخار وزادت فيها صور البشر والنباتات، والحيوانات والمراكب، كما صورت الحياة العملية للرجل. لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد العزيز صالح وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1997، ص ص 35-40.

³ خزل الماجدي، الدين المصري، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1999، ص 81.

⁴ مانفرد لوركر، المرجع السابق ص 241.

⁵ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 111.

كف ولونوها باللون الأحمر كرمز للحياة، كما مثلت بالقمر الذي يهدي المسافرين ليلاً في الصحراء¹.

كما تتفق الوثائق المتوفرة على أن "نيت" عادت في ليبيا وفي الدلتا، وأنها لم تكن إلا صورة أخرى "لتانيت" المعبودة في المدن بلاد المغرب القديم والتي تذكر رفقة "بعل حمون"، ويبدو أن كل ما في الأمر أن المصريين قد حذفوا منها الصدر (تا) الدال على التأنيث في اللغة الأمازيغية².

3.1. الإله حورس (Hors):

إن اسم (حور) أو (حور) مشتق من كلمة معناها (البعيد)، وكانت أقدم صورة له على هيئة صقر يمثل السماء وعيناه هما الشمس والقمر ويلمس طرفا جناحيه آخر حدود الأرض، وفي الحضارة المصرية يرمز للملك سواء الحاكم أو المتوفي كما بدأ يظهر ارتباطه بعبادة الشمس منذ أيام العصر العتيق، كما ظهر برسم قرص الشمس المجنح³.

وقد مثل حورس الصيغة الدقيقة لفكرة اعتبار الفرعون إلهاً أو ابن إله الشمس لأنه مصدر الملكية، وقد نشب صراع بينه وبين ست باعتبارهما وجهين متناقضين للشر والخير، الليل والنهار، وكان جذر هذا الصراع سياسياً بين إله الدلتا وإله الصحراء، ثم انتقلت أسطورة الصراع بينهما إلى الثقافة الأوزورية فأصبحت جزءاً من أسطورة أوزوريس وإيزيس، ودار الصراع بين ست وأوزوريس أولاً ثم بين حورس وست، وبهذا الصراع الأخير فقد حورس إحدى عينيه في

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 208-209.

² محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص...، ص 15.

³ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص ص 120-121.

معركة بينهما ولكن تصالح المعبودان على أن يحكم أرض في النهاية، ولهذا أصبح حورس إله مصر السفلى وفي عصور متأخرة حكم جميع أراضي مصر¹. أما عبادته في ليبيا، فكانت بمنطقة قورنية والتي تتمثل فيها جميع المعاني التي تقع عند نقطة تظهر بجلاء فكرة هذا الارتفاع فوق السحب فعلا وذلك في بعض أيام الشتاء التي تكثر فيها السحب الشديدة الانخفاض والمحملة بالأمطار فهذه السحب تخفي موقع قورنية عن أعين من يشاهدها من المناطق الواقعة شمالها والمنخفضة عنها كثيرا، وليس هذا فقط الرابط الوحيد بين المنطقة ومعاني اسم الإله حورس، بل الصقر نفسه من الطيور الجارحة التي تكثر في المنطقة وتتخذ من فجوات صخورها الشاهقة أوكارا تلجأ إليها ولأجل هذا قدس الليبيون الصقور².

وربطت ألقاب حورس بالتمحو علاقة مباشرة مثل: "حور تحنو"، ولقبا آخر هو "تحنوى" أي صاحب تحنو، كما أن عبادته رغم انتشارها في كل مصر فإنها تركزت في الدلتا الغربية حيث كان يطلق على هذا الإله "الليبي ذو الذراع المرفوعة"³.

وانتشرت عبادته في قرطاجة ويستدل على ذلك بالتمائم المستخرجة من المقابر البونية التي تبرز الإله حورس، حيث صنع حورس الطفل من العجين الزجاجي طولها يتراوح ما بين (42 إلى 50 ملم)، ويعود تاريخها إلى القرنين السابع والسادس ق.م (محفوفة في المتحف الوطني بتونس)، كما ظهرت على

¹ خزعل الماجدي، الدين المصري...، ص 100.

² أحمد مصطفى بإزمه، المرجع السابق، ص ص 219-220.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 104-105.

شفرات بونيقية مناظر عديدة للإله حورس مثل: صورة عين حورس بجانب قرص القمر يغطيه هلال قمري¹.

4.1. الإله أوزوريس (Osiris):*

من أكثر المعبودات شهرة واسمه يعني "مكان العين"²، ويرجع (بتري) أصله إلى الليبيين حيث يقول: "إن عبادة أوزير الوفدة على مصر من ليبيا قد غيرت كثيرا من طقوس ومفاهيم المعبودات الأخرى، فتحولت هذه حتى في شكلها الحيواني إلى بشر برؤوس حيوانية والتي كانت الأصل قبل ذلك"³.

كما يذهب (أعشي مصطفى) إلى الاعتقاد بأن هذا المعبود ما هو إلا رب صحراوي انتقل إلى شمال إفريقيا قبل انتقاله إلى مصر معتمدا في ذلك على دراسة أصل الكلمة "ست" و"إيزيس"، فست يحتمل أنها تنتمي لأهل الغرب "التحنو" وأن هذا المعبود ذو صلة بالمعبود الليبي الجنوبي "ددن"⁴، وهو رب الخصب والنماء، فهو الذي أدخل الزراعة حتى أصبح رمزا لكل ما ينمو، فعلم قومه الزراعة حين استقروا بمصر وكانوا قبل ذلك رحلا لذا نراه يمثل وجهه ويداه باللون الأخضر، فليس عجيبا أن يوصف بأنه (صانع الحبوب) فهو إله الحبوب الذي أوجد الشعير والشوفان والقمح والذرة⁵.

¹ محمد فتحي عبد الغني محمد، العلاقات الدينية بين مصر وقرطاج (332-146 ق.م)، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 35، المنصورة، مصر، 2016، ص 1461.

* قد عرف عن الإله أوزوريس أسطورة وهي من أهم الأساطير المصرية التي نالت شهرة واسعة، كما أثارت اهتمام الكتاب الإغريق واللاتين مثل بلوتارك، لكن وجد اختلاف بينها وبين النصوص المصرية. لمزيد من الاطلاع ينظر: أندريه إيمار وجانين أوبوايه، المرجع السابق، ص ص 91-93.

² مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 63.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 204.

⁴ مصطفى أعشي، المرجع السابق، ص ص 51-52.

⁵ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 203.

أما فريق رأي آخر فيرى في معنى اسمه "صانع عرشه" على أساس أن "أس" تعني عرش، و"إري" تعني يصنع أو يعمل، في حين أن (أوريك بيتس) يرجعه إلى أصل ليبي ويحتوي على الجذر "و س ر" والتي تعني القديم أو العتيق وهو ما يؤيده الباحث "شارف" في أن معنى اسمه في اللغة المصرية القديمة تعني العتيق والقديم¹.

وجاء في قول "الصقلي ديودور" (Siculus Doidorus) أن الإله أوزوريس كان محبا للمرح ومولعا بالموسيقى والرقص، ولهذا السبب رافقه في رحلته جمع غفير من المنشدين بينهم تسع غانيات يجدن الغناء والرقص وسائر فنون التسلية، وهن اللاتي يطلق عليهن اليونانيون اسم "موزاي" (Musae) أي (ربان الفنون)، ولأنه لم يكن محارباً، ولم يحشد جنوده لمواقع الأخطار لذلك تقبلته جميع الشعوب إلها عن رضا لما منحه لها من نعم، كما علمهم شؤون الزراعة². ورمز له في مدينة أبيدوس على شكل صندوقا يحتمل أنه يحمل رأساً أو زيرا ويرتبط بالصندوق ثعبان وریشان تمثل الإله، والريشان والأفعى من مميزات الليبيين كما أن الأفعى من معبوداتهم القديمة³.

5.1. الإله أش (Ash):

يقول عنه "بيتس" أنه إلهاً ليبياً، وقد ذكر منذ الأسرة الرابعة في نقوش الملك "ساحورى" أي (سء. ح ر. رع) أي (ابن حر - رع) ويظهر الاسم كذلك على أختام

¹ فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص ص315-316.

² ديودور الصقلي، ديودور الصقلي في مصر...، المرجع السابق، ص ص 42-43.

³ أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة)، تر: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ملتزم للطبع والنشر، مصر، (د.س)، ص 50. أو أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 204.

الجرار في الفترة ذاتها تقريبا، وما يمكن الحكم من شكل هذا المعبود في نقوش "ساحورى" أنه كان ذا شهرة في ليبيا الشرقية في عهد المملكة القديمة¹. حيث وجد في عهد الأسرة الثانية على أختام الملك (خخ سخموي) و(برايت سن) على شكل رجل برأس الإله ست وهو ما يدل على وجود صلة بين الإلهين وكان يسمى "سيد ليبيا"، ولذلك فمن الممكن أن يكون هو نفسه الإله الليبي الأصل "أش".*

ومما يؤكد أصله الليبي أيضا انتشار عبادته في ليبيا الشرقية خلال الدولة القديمة، إضافة إلى سيطرته في الواحات الغربية خلال الأسرة الثانية والعشرين²، أما في عهد الأسرة السادسة والعشرين فصور بثلاثة رؤوس وهي: رأس أفعى - رأس لبؤة - رأس عقاب، ويدل ذلك أن "أش" كثير الوجوه وكلها تشير للقوة³. يذكر (مرسير) أنه يوجد معبودا ليبيا باسم (WH) يشبه "أش"، غير أن (خشيم علي فهمي) يعتبره هو نفسه رب الرمال⁴.

6.1. الإله حرشف (Harishef):

هو المعبود الأساسي لمدينة أهناسيا⁵، وهو معبود قديم جدا يرجع إلى وادي النيل من الصحراء الليبية، وفي المصرية (ح ر. ش ا. ف) ويفسر اسمه في

¹ فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص ص 274-275.

* للاطلاع عن الموضوع أكثر ينظر: أم الخير العقون، "إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب إفريقيا..."، ص 141.

² خزعل الماجدي، الدين المصري...، ص 66.

³ أم الخير العقون، "إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب إفريقيا..."، ص 156.

⁴ فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص ص 275-276.

⁵ محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 146.

معنيين، الأول (الذي هو) على رمل، والثاني (الذي هو) على مائه، فهو مرة معبود ينسب إلى الرمال وأخرى إلى الماء¹.

وما يدل على ارتباط هذا المعبود بالليبيين أن أحد المشواش الذين استقروا في أهناسيا أواخر أيام الرعامسة وهو (ماواساتا) بن (يويو واوا) قد أصبح واحدا من كهان حرشف معبود المدينة، ثم أخذت عائلته تتوارث هذا المنصب الكهنوتي².

ومنه يمكن التوصل إلى جملة من النتائج من أهمها:

- أن الأصل الليبي للعديد من الآلهة المصرية تثبت قوة العلاقة بين الديانتين ترجع إلى تكوين سكان وادي النيل الذي يرجع في أغلبه إلى المهاجرين من سكان بلاد المغرب القديم.

- بعض الآلهة ذات الأصل الليبي تبناها سكان الدلتا في عصر ما قبل الأسرات وصارت فيما بعد آلهة خاصة بهم مثال ذلك الإلهة "نيت".

- أن الآلهة ذات الأصل الليبي تحمل ألقاب تربطها علاقة بالصحراء مثل سيد الصحراء الغربية، أو أحد رموز الصحراء التي تتمثل في معظم الأحيان بحيوان البيئة الصحراوية وهذا ناتج من تأثير البيئة الصحراوية الليبية المعروفة، مثل الإله "حا".*

¹ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 117.

² محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص 147.

* ح ا- ك ا: معبود قديم في غرب الدلتا، هو إله جبل (سيد الغرب). فهمي خسيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص 275.

2. الآلهة المصرية في بلاد المغرب القديم:

حسب المعطيات الأثرية، -كما ذكرنا سابقا- أن التأثير الديني المصري في ليبيا استمر من عهد الفراعنة إلى غاية عهد الإمبراطورية الرومانية، التي أباحت عبادة بعض الآلهة المصرية، مثل: ايزيس، تحوت، بس، حتحور.

1.2. الإلهة ايزيس (Isis):

ورد ذكرها ضمن الآلهة المصرية التي قدسها الليبيون، وهي أخت وزوجة الإله "أوزيريس" * وأم "حورس" التي حمته من أخطار كثيرة بوصفها الإلهة الساحرة تظهر عادة امرأة على رأسها رمز "العرش"، وظهرت في الآثار المصرية على شكل امرأة واقفة أو جالسة على العرش وكان يقدر فيها وفاء الزوجة وحنان الأم ولكنها تصور أيضا في صور أخرى عديدة مثل: صورة بقرة¹ وبالقمر وبدخول مصر تحت حكم البطالمة انتشرت عبادتها خارج حدود مصر فصارت إلهة عالمية، ففي المغرب القديم تكثر الرسوم الممثلة لها في شكل بقرة بقرص الشمس في المناطق الليبية المحاذية لمصر مباشرة ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى الاشتراك والتماثل في طريقة وشكل التعبير عن فكرة الخصوبة في شقها الأنثوي

* أوزيريس: رب النماء والخصب والبعث، كما أنه إله الخير والحياة، من أشهر الأرباب المصرية ومن أقدمها كذلك. وقد سيطر سيطرة تامة على الأسطورة الدينية في مصر. لمزيد من الاطلاع ينظر: فهمي خشيم، آلهة مصر القديمة، مج1...، ص 314.

¹ إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية والوحدانية والتعددية، تر: محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، مطبعة مدبولي، مصر، 1995، ص279.

بين مصر القديمة وشرق ليبيا أكثر منه تأثيرا مصرياً خاصة مع القرب الجغرافي بينهما¹.

ثم في القرن الخامس قبل الميلاد يذكر "هيرودوت" أنها كانت مقدسة عند نساء قورنية يحرمّ على أنفسهن أكل لحم البقر تقديساً واحتراماً للإلهة المصرية "إيزيس" التي كان يرمز لها -كما سبق ذكره- بالبقرة، ويؤدين الصوم ثم يقمن بالاحتفالات في الهواء الطلق لتلك الإلهة².

وقد وصلت عبادتها حتى حدود فزان، بل وحتى إلى الغرب منها، حيث عثر على نقش صخري لها بوادي جرات في الطاسيلي على تمثال من المرمر لهذه المعبودة في حفائر قورنية يرجع عهده إلى زمن البطالمة³.

أما عن عبادتها في شكل القمر حيث يعتقد بعض الدارسين أن الرسم الصخري المسمى "السيدة البيضاء" بموقع أحنات في الطاسيلي أنه الإلهة إيزيس وهذا تفسيراً لشكل الهلال الذي تحمله على رأسها.

من جهة أخرى يمكن أن تكون هناك علاقة محتملة بين القرون والهلال وهي ناتجة عن الارتباط بين الأبقار والقمر في المشاهد فكثيراً ما نجد هلال مرسوم على الأبقار، وهذا دليل على عبادة الإنسان للقمر، لكن هناك رأي مخالف

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 210-211.

² محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة...، ص 81.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 205-206.

لهذا الرأي والذي يرى أنه يمكن أن يكون وجود الهلال تجسيدا للطوقس التي تقام على ضوء القمر، تمجيذا له ويتم التضحية بالأبقار في المكان¹.

وقد ادخل الفينيقيون عند مجيئهم لشمال إفريقيا القديمة عبادة آلهة مصرية منها ايزيس وأوزيريس، ويستنتج من الآثار أنها قد عرفت مكانة هامة في المعتقدات الدينية، حيث حظيت بالتبجيل والتوقير بشكل رسمي في قرطاجة لدرجة أن بعض الآباء القرطاجيين من سمى ابنه باسم "ايس" تبركا بالآلهة "ايزيس" التي يعتقد أنها إلهة النساء والحب والزواج².

كما تم العثور على العديد من المعابد والنصب والصور في قرطاجة، الى جانب بعض النقود التي تمثلها في صبراته ومدن أخرى في المغرب القديم³.

2.2. الإله تحوت (Thoth):

هو إله قمري له رأس عجل أبيس، ونظرا لارتباطه مع القمر أصبح المحاسب الخاص به، الذي يحدد مختلف أجزاء الزمن، ماهر في علم الحساب بل هو أيضا رب الكتابات، ويسجل الأحداث في التقويمات، وهو يساعد الخالق في إدارة شؤون العالم، كما يقوم بمهمة المبعوث أو الوسيط فيما بين الآلهة، له دور

¹ لخضر بن بوزيد، الطاسيلي ازجر في ما قبل التاريخ (المعتقدات والفن الصخري)، دار المجدد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017، ص ص 189-190.

² محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاجة، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، 1999، ص 311.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T,4, p. 121.

أساسي في المحكمة الإلهية¹، وفي روايات أخرى يرمز بالطائر "إبيس" وأحيانا بالقرد، كان مركز عبادته مدينة الأشمونين*.

يستدل بانتشار عبادته ببلاد المغرب القديم من خلال لوحتي "الإلهات الصغيرات" و"القربان" اللتين عثر عليهما في موقع جبارين بالطاسيلي، ويفسر ذلك بالتشابه بين المعابد الجبلية في جبارين وبين المعابد المصرية، إذ أن الهدف الديني واضح من اختيار أماكن انجاز هذه الرسوم، خاصة الصور الأقدم في مرحلة الرؤوس المستديرة².

وما يمكن تفسيره من هذه المعلومات أن العدد الكبير من اللوحات المستنسخة من كهوف هضبة الطاسيلي التي يتجلى فيها أسلوبان بارزان أحدهما رمزي قديم يبدو أنه من ابداع فنانيين زنوج، وهو أسلوب الرسومات التي ترجع إلى ما قبل التاريخ، والآخر أحدث من الأول وهو صريح في محاكاة الطبيعة ويرجع إلى العصر التاريخي ويظهر فيه تأثير وادي النيل بكل وضوح وربما ظهر فيه كذلك شيء من تأثير الفن الايجي مما قد يعني قدوم عناصر مصرية أو ايجية

¹ ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000، ص 365.

* الأشمونين: هي بلد الثمانية، عرفت في النصوص المصرية باسم (خمنو) أي الثمانية نسبة إلى عدد الآلهة في أسطورتها، وعرفت في النصوص اليونانية باسم هرموبوليس أي مدينة الإله هرمز، ونسبت إليها خلق الكون بواسطة الإله تحوت الذي أوجد بصوته الثامون، كان لها دور ديني وربما سياسي أيضا منذ ما قبل بداية العصور التاريخية. عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1962، ص 36. أو عباس علي عباس الحسيني، المرجع السابق، ص 38.

² لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 148.

إلى المنطقة أو عودة بعض أبناء المنطقة من ساقهم التجول أو الأسر أو الاسترقاق إلى مصر أو إلى غيرها فجلبوا معهم ما تأثروا به هم أنفسهم¹.

3.2. الإله بس (Bes):

ربة بوباستيس* (تل بسطة) مثلت على هيئة قطة، وهي تمثل المظهر المسالم للربات الخطيرات، مثل تفنوت أو سخمت وباعتبارها عين آتوم، فهي ترتبط بالقمر وتقوم بحماية حالات الحمل والولادة².

وقد استغرب (إرمان أدولف) من خلطها في بعض الأحيان مع الإلهة "سخمت"، حيث أرجع سبب ذلك أن الفن المصري لم يكن يميز في وضوح بين رأس القطة ورأس الأسد، بينما صفات "باستت" تختلف اختلافا تاما عن تلك التي اتصفت بها "سخمت"، وقد شعر المصريون بهذا الاختلاف، وكانوا يتحدثون عن "باستت" كأنها شخص ودود، وعن "سخمت" كأنها مخيف، وعلى ذلك كانت "باستت" أقرب إلى حتحور إذ اعتبرت إلهة المرح، تقوم احتفالاتها على الرقص والموسيقى، وقد أخذت شكل آدمي برأس قطة³.

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 29.

* بوباستيس: اسم أطلقه الإغريق على الإلهة والمدينة التي تقع حاليا في جنوب الدلتا بجوار الزقازيق. أدولف إيرمان، المرجع السابق، ص 42.

² ديمتری ميكس وكريستين فافار ميكس، المرجع السابق، ص 364.

³ أدولف إيرمان، المرجع السابق، ص 41.

اكتسب هذا المعبود شعبية عند المغاربة ويستدل بذلك وجوده على بعض الرسوم الصخرية التي وجدت في جنوب طرابلس والتي يعيدها البعض إلى الفترة الممتدة بين منتصف الألف الثالثة ومنتصف الألف الأولى قبل الميلاد¹.

4.2. الإلهة حتحور (Hathor):

من أكثر الآلهة المصرية شيوعاً، تحمل الخصائص المميزة تمثل الأم وبصفتها عين الإله رع فهي تنزل الدمار بالأعداء، فضلاً عن عبادتها كإلهة للموتى، لاسيما في مدينة طيبة المصرية²، وهي زوجة الإله حورس ويعني اسمها بيت أو مسكن حورس³، وكانت إلهة السماء والحب والجمال والمتعة، وصورت هذه الإلهة كبقرة⁴، أو بصورة امرأة برأس بقرة، أو برأس امرأة تحمل فوق رأسها قرص الشمس بين قرني البقرة، ولها دائماً اذنا بقرة⁵.
عبدت في "ادفو" جنوب طيبة في المقاطعة الثانية من مصر العليا متقدمة على الإله حورس في درندرة**، شمالي طيبة في المقاطعة السادسة⁶.

¹ رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1...، ص 144.

² إريك هورنوج، ديانة مصر الفرعونية...، ص 278.

³ ديمترى ميكس وكريستين فافار ميكس، المرجع السابق، ص 366.

⁴ لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 152.

⁵ خزعل الماجدي، الدين المصري...، ص 101.

* قد وجد الكثير من الآلهة في معبد "ادفو"، والذي احتوت جدرانها الشرقية وأسواره على الكثير من أخبار اللوبيين. مها عيساوي، المرجع السابق، ص 143.

** دندرة: إحدى القرى التابعة لمدينة قنا، تقع على بعد حوالي 5 كلم شمال غرب مدينة قنا. إسماعيل عبد الفتاح، الجزيرة من خلال مناظر ونصوص قاعة حورسماتاوي في معبد دندرة (دراسة تاريخية حضارية)، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، العدد 13، مصر، 2012، ص 28.

⁶ أندريه إيمار وجانين أوبوايه، المرجع السابق، ص 88-89.

كما أنه قد وجد لها تمثالا من الدير البحري يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة وهو موجود حاليا في المتحف المصري يظهر في هيئة بقرة تسبغ حمايتها على الملك حيث خصص لها المعبد البطلمي في دندرة، وكان رمز عبادتها عبارة عن اسطون مستدير يعلوه رأس بقرة أو رأس أنثى، وكانت الآلهة تعتبر بمثابة روح مؤنثة لها وجهان، وفي طيبة كانت حتحور بصورتها الحيوانية الممثلة في البقرة تعبد باعتبارها إلهة جنائزية، وكان المتوفى يأمل في أن يكون من أتباعها التي تستقبل الشمس الغاربة وتحميها كما تحمي نفسها من قوى الظلام¹، وكان أيضا من ألقاب حتحور "سيدة الموسيقى والرقص"².

أما عبادتها في بلاد المغرب القديم فيستدل بالبقايا الأثرية (عبارة عن فصوص جعارين أو على جس تحتوي على رسوم لحتحور)، عثر عليها في مواقع ساحلية متعددة من بلاد المغرب لاسيما في كل من قرطاجة وشرشال وليكسوس³.

5.2. الإله التمساح (Sebek):

أطلق عليه اسم "سوبك" وهو التمساح الذي ظهر كمعبود محلي في مناطق مختلفة حاملا نفس الاسم والشكل، فعبد في الدلتا في مدينة سايس حيث (يعطي الحياة للنباتات فوق الشاطئ)⁴.

¹ مانفرد لوركر، المرجع السابق ص ص 110-111.

² أسامة عبد العال علي، "دراسة عن نص على قاعدة كرسي لأحد التماثيل الملكية"، مجلة المجمع العلمي المصري، مصر، ص 226.

³ محمد الصغير غانم، الملامح الباكرة...، ص 84.

⁴ أدولف إرمان، المرجع السابق، ص ص 54-55.

قدس في الفيوم، ويعتبر إله المقاطعة في الدولة القديمة*، حيث ورد اسمه في "كتاب الموتى" لـ (هرو برت ام) في قوله: "العين حية للإله (سبك) هو اسمك"¹، وكان التمساح يهدد الموتى في العالم السفلي، كما كان شكله مخيف برأس التمساح الموجود في قاعة العدالة المسمى "ملتهم القلوب"²، لذلك حظي بعبادة وتقديس من طرف أهل شاطئ النيل لخوفهم ورعبهم منه³.

عثر عن أول آثار عبادته في حضارة المعادي حيث حملت إحدى الأواني الفخارية صورة التمساح ثم انتشرت في مصر الفرعونية لاحقاً، أما في بلاد المغرب القديم فوجدت رسوم صخرية تظهر فيها التماسيح في "إن إتنان" (In Itinan) وفي وادي جرات توجد أربع نقوش لتماسيح، أما بقايا التماسيح فإننا نجدها في "وان راشلة" (Wa-n Rachla) جنوب الطاسيلي وقد أرخت في الألف الثالثة قبل الميلاد⁴.

6.2. الإله الجعران (Scarab):

الجعل صورة للخلق الذاتي، منذ أن اعتقد المصريون أنه جاء إلى الوجود بذاته من كرة الروث التي كان الغرض منها في الحقيقة حماية البيض واليرقة

* الفيوم: تقع على بعد 90 كلم جنوب غرب محافظة القاهرة، أطلق عليها دينيا اسم (Per Sebek) والتي تعني دار التمساح. أم الخير العقون، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2004/2003، ص ص 69-70.

¹ برت ام هرو، كتاب الموتى الفرعوني، تر: واس بدج، تع، فليب عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص 131.

² مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 91.

³ أدولف إرمان، المرجع السابق، ص 55.

⁴ لخضر بن بوزيد، المرجع السابق، ص 160.

وعلى ذلك كان "جعل" الروث المائلة إلى السواد (الخنفساء)، تقديس باسم "Khepri" بمعنى (ذلك الذي خرج من الأرض)، كما أعتبر شكلا من أشكال إله الشمس الذي يعطي الضياء والدفء، وقد وضعت كتميمة شعبية مع الموتى في المقبرة باعتبارها رمزا لحياة جديدة¹.

وقد ساهم الفينيقيين في وصوله لبلاد المغرب القديم، عن طريق التجارة خاصة خلال منتصف القرن السابع قبل الميلاد، حيث عثر عليه في عدد من المواقع الأثرية البونية منها ليكسوس، وأحيانا تحمل أسماء بعض الفراعنة المصريين مثل "تحتمس الثالث"²، كما عثر على الجعارين في القبور التي وجدت جزيرة رشقون بتيبازة وجيجل، ويستشهد في ذلك بالكتابة الهيروغليفية التي رسمت على سطحها³.

ومن الملاحظ أن هناك تقاربا في الصنع بين الجعارين التي عثر عليها في رشقون بالجزائر وتلك التي التقطت من قبور درمش ودويمس بقرطاجة التي يعود تاريخها إلى حوالي القرنين السابع والسادس قبل الميلاد⁴.

¹ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 105.

² رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج1...، ص 213.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 4, pp. 96-99.

⁴ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 154.

وقد لخص (محمد سلطان عز سعد) آثار آلهة غرب الدلتا بالمتحف المصري من خلال تقديم رقم الأثر وتاريخ الاكتشاف، وصف الأثر ومكانه الحالي ومادة صنعه¹.

3. مظاهر تأثير عقيدة ما بعد الموت المصرية القديمة في بلاد المغرب القديم

(العمارة الجنائزية أنموذج)

مما سبق ذكره أن سكان بلاد المغرب القديم قد تأثروا بعقائد وطقوس الديانة المصرية، إضافة إلى العمارة الدينية والجنائزية*، وفي هذا المجال سيتم التطرق بأكثر من التفصيل إلى مظاهر التأثير والتأثر بين الطرفين.

وبما أن الجرامنت قد خلفوا من الآثار المادية ما بقي شاهدا على عمقهم الحضاري وذلك من خلال مخلفاتهم المادية العمرانية، سواء كان دينية أو جنائزية وحتى سكنية، إضافة إلى الأثاث الجنائزي، كما خُلد ذكرهم في كتابات الشعوب المجاورة لهم من المصريين القدماء وحتى لدى الرومان والإغريق، سيتم دراسة آثارها كمثال في الموالي.

وذلك من خلال دراسة تشييد موائد القرابين وتطورها، وتسيير الجهاز الكهنوتي للعبادات والاحتفالات الدينية، وطريقة ممارسة شعائر وطقوس الدفن وكيف تطورت العمارة الجنائزية.

¹ عز سعد محمد سلطان، من ديانة قدماء المصريين (أهم آلهة غرب الدلتا وآثارها في المتحف المصري)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2007، ص 85.

* للاطلاع أكثر عن تاريخ العمارة المصرية ينظر: إسكندر بدوي، تاريخ العمارة المصرية، ج1، تر: محمود عبد الرزاق وصلاح الدين رمضان، هيئة الآثار المصرية، مصر، 1954، ص ص 147-159.

1.3. موائد القرابين وتطورها*

ما يميز معابد الدولة القديمة التي عثر على آثار لها في مصر كانت غالبيتها جنائزية بوجه عام، أما معابد الآلهة فكانت محاريب تستخدم كأماكن للورع والتقوى، أو كانت مباني كبيرة هدفها الأول تأكيد الولاء نحو المعبود معين كما حدث بالنسبة للإله "رع" في الأسرة الخامسة، وكذلك كانت المعابد في الدولة الوسطى متواضعة في مساحتها محدودة في نشاطها، وما عرف به المعبد في الدولة الحديثة هو نشاطه الواسع الممتد إلى مختلف جوانب الحياة المصرية القديمة¹.

ومنه يمكن التوصل إلى أن تشييد المعابد في مصر القديمة قد مرت بعدة مراحل وطقوس، بمعنى أن حتى موائد القرابين قد عرفت نفس التطور، وبما أن سكان بلاد المغرب القديم قد احتكوا بالمصريين فإن من الطبيعي أن تمر العمارة الدينية لديهم بنفس المراحل والطقوس، وهو ما سيتم التعرف عليه في الدراسة المالية التي ستكون بشكل مفصل.

* موائد القرابين: هي في الأساس استمرار لحياة الآلهة والمتوفى بنفس الطريقة، كانت تقدم لهم على موائد خاصة، ومن ضمن الأثاث المنزلي، وتحتوي على الطعام الذي يوضع على طبق كبير أمام التابوت الجنائزي ومن أنواع الطعام وضع اللحم والخبز، يضاف إليها زهور اللوتس وأعواد البردي، والطيور وأيضا فخذ الثور (كان يرمز في مصر القديمة إلى الدب الأكبر، وكانت الأداة التي تستخدم في طقوس عديدة)، لترمز إلى تلك المجموعة النجمية التي تعتبر من أهم المحطات التي تمر بها الروح في رحلتها إلى العالم الآخر. ينظر: آية محمود نجيب إبراهيم عبد العليم، "موائد القرابين في مصر في العصرين البلطمي والروماني"، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 19، مصر، 2016، ص 505.

¹ مصطفى الأحمد، العمارة المعبدية في مصر الفرعونية، دار الوفاء للنشر والتوزيع، مصر، ص 31.

1.1.3. طرق تشييدها وتطورها

عرفت في مصر القديمة عادة بناء طاولة القربان وترجع هذه العادة إلى أزمنة سحيقة جدا وبقيت متواصلة إلى فترة الدولة الحديثة حيث مرت بمراحل تطورت فيها تدريجيا، في البداية كان تصميم الطاولة بسيط جدا، وتحتوي أساسا على حوض مستطيل يرمز لأهمية الماء في الدولة القديمة وتحتوي هذه الطاولات على حفرة أو حفرتين أو أكثر ونجد عليها صور مختلفة وتمثيل خيالي للقربانين¹. ويبدو أن موائد تقديم القربان كانت قد فقدت أهميتها بحلول عهد المملكة الحديثة وتغير شكلها إلى مستطيل على هيئة صنية وأصبحت الموائد مربعة قليلة².

وقدّم (لوركر مانفرد) مثال عن ذلك نقش لإله النيل "حابي" (Hapi) راکعا وأمامه مائدة قربانين مملوءة بالفاكهة والبط، ويمسك بيده اليسرى سيقان طويلة لنبات البردي رمز مصر السفلى وتحت مائدة القربانين نجد زهور اللوتس رمز مصر العليا، وفي ذلك رمز للوحدة بين شطري البلاد*.

¹ Jéouier (G.), d'archéologie égyptienne, auguste picard, Paris, 1924, pp. 10-13.

² لمزيد من الاطلاع على تغير شكل موائد التقديم ينظر: الأشكال الواردة عند (الراشدي فرج)، 26، 27، 28، 29. فرج الراشدي، المرجع السابق، ص ص 108-109.

* "حابي" (Hapi): وهو إله النيل في فترة الفيضان، ومن المعتقد أنه كان يسكن كهفا تتدفق منه مياه النهر، كما أن الفيضان السنوي كان يطلق عليه (وصول حابي)، و يظهر في التماثيل والرسوم على هيئة رجل ذو شعر طويل مسدل وثدي ثقيل متهدل (وفي ذلك معالم الجنس الذكري والأنثوي)، وعلى رأسه حزمة من نبات البردي، ويحمل موائد قربانين مليئة بالخيرات. مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 109.

وبما أن عادات وتقاليده الموتى في مصر لديها أوجه تناظر خاصة أنواع موائد تقديم القرابين التي عثر عليها في فزان، وعند مشارف الصحراء وفي المناطق الساحلية، حيث ظهرت في عهد المملكة القديمة واستمر في المملكة الحديثة، شهدت عادات الدفن بوجه عام وموائد تقديم القرابين بوجه خاص تغييرات تدريجية، فكانت في بادئ عهدها موائد بسيطة -سبق ذكرها- وهي التي تشبه كثيرا بعض هذه الموائد الليبية القديمة¹.

أما عن الهدف من مائدة القرابين هو مخاطبة مثلها في العالم الآخر فكل شيء مادي في عالم الأحياء يوجد نسخة منه في العالم الباطن، أو بمعنى أصح الأشياء المادية هي انعكاس لما هو موجود في العالم الآخر فالصور الموجودة على موائد القرابين التي وجدت في الفن المصري وما جاورها من الحضارات القديمة هي مخاطبة الصور المماثلة لها في العالم الآخر.

2.1.3. أنواعها

توجد أمام الأنصاب النذرية طاولات الأضاحي وهي قطع حجرية مقطعة على أحجام مختلفة عادة ما تكون موجهة نحو الشرق أو نحو الغرب (وفي ذلك تقليد للإغريق في توجيه اللحد) لتلقي القرابين النذرية الموضوعة من طرف عائلة المتوفى من أجله أو من أجل الآلهة الممثلة على هذا النصب².

وجاء في قول "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell): [توضع المائدة اليوم على قوائم قصيرة... ودائما تكاد الخانات تكون رباعية الشكل، ولكن قد يكون منها

¹ فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 107.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 132.

ما هو شبيه المنحرف أو بيضوي الشكل، وفي بعض الدلمينات التي لها جدران مبنية بناء خفيفا يكون داخل الصندوق بزوايا مستقيمة ويكون الخارج بأركان مستديرة، والشكل متطاول لا مربع، والأبعاد الاعتيادية هي: 1.20 إلى 1.50 طولا، على 80 سنتيم إلى متر واحد عرضاً، وعلى 80 إلى 1.20 سنتيم في الارتفاع... كل الدلمينات مغطاة أو كانت مغطاة بمائدة، وحيثما لا توجد المائدة اليوم فإنها تكسرت أو أخذها الذين يبحثون عن مواد البناء¹.

ومن خلال هذا القول وبالا اعتماد على تصنيف (الراشدي فرج) يمكن تحديد أنواع موائد القرابين، رغم أنها تعرضت للتلف والسرقة إلى ما يلي: النوع الأول عادة ما يكون مستطيل (رباعية الشكل) ومصنوعاً من أنواع مختلفة من الحجارة وتوجد في الأجزاء العلوية من هذه الموائد رسوم بارزة تصوّر أواني توضع فيها سائل تُراق تكريماً للآلهة، وأرغفة خبز وقطع من اللحم أيضاً، أما النوع الثاني فهو مصنوع من الأحجار وبه تجويفات غير مستوية محفورة على السطح العلوي شاهداً مستقيماً وهذا النوع موجود في ليبيا عند مشارف الصحراء، ويعتبر النوع الثالث نوعاً نادراً لا يوجد إلا عند مشارف الصحراء في ليبيا، وبه تجويفان أو أكثر دائرية أو مستطيلة².

ومنه يمكن الافتراض بأن النوع الثاني كان أكثر انتشاراً في أنحاء شمال غربي إفريقيا، إضافة إلى أنه من المحتمل أن يكون عنصر محلي، كما وجد التأثير المصري وذلك من خلال ما وجد على موائد القرابين والمتمثل في الطعام الذي يوضع على طبق كبير أمام التابوت الجنائزي ومن أنواع الطعام مثل اللحم والخبز.

¹ اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص ص 167-169.

² فرج الراشدي، المرجع السابق، ص ص 106-107.

2.3. شعائر الدفن والمقابر

يعتبر نظام المقبرة وطقوس الدفن من ضمن المعتقدات الدينية، حيث يتم الاهتمام بالمقبرة وبذل العناية للحفاظ عليها وتجهيزها بالأثاث الجنائزي، فهي كلها أمور ارتبطت في الحضارات القديمة بفكرة الخلود أو الحياة بعد الموت، ومن الشعوب التي آمنت بهذه العقيدة الشعوب الليبية القديمة، لذا اهتم الليبيون القدماء بمقابرهم وأثاثهم الجنائزي، وقد تطورت أشكال بناء المقابر من الحفرة حتى المقابر الهرمية¹.

1.2.3. شعائر الدفن والطقوس الجنائزية*

عندما يموت الشخص في بلاد المغرب القديم يصبح بموجبها كائنا روحيا مقدسا، تقام على شرفه عدة طقوس وعادة ما تكون في أماكن مخصصة ما يميزها توجهها نحو الشرق، كما يمكن أن تمارس في بناءات داخلية مندمجة مع كتلة القبر كالمصليات.

3-2-1-1 الاحتفالات الدينية**

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 220.

* سبق التعرف على أهم طقس من الطقوس الجنائزية في بلاد المغرب القديم ذات التأثير المصري وهي التحنيط للمحافظة على حالة أجساد الموتى حتى تنتقل إلى الحياة الثانية، ولن يتم التعرض له تفاديا لتكرار المعلومات.

** في البداية كانت القرابين تقدم بغير احتفالات عامة، والهدف منها إرضاء المعبود، ولكن بمرور الوقت أخذ تقديم القرابين شكل حفلات رسمية في كل معابد القطر وذلك في أوقات معينة وجرت العادة على أن يقام في ساحة المعبد مذبح كبير تجتمع حوله الجماهير في الأعياد ليأكلوا من الهدايا والقرابين التي تقدم للإله. بهاء الدين إبراهيم محمود، المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001، ص 103.

تقام الاحتفالات الدينية عادة خارج القبر، ويشرف عنها الأحياء في من واجباتهم، حيث يقوم الخلف بتزويد المتوفى بالطعام والضروريات لتعينه في الحياة الجديدة، وتوفير له الراحة في العالم الآخر.

البداية بتنظيم المآدب على شرف الأموات حيث يصحبه أمام القبر عويل وبكاء مع الأناشيد الدينية والذبائح، وإحراق البخور وتقديم القرابين والعطور، ويقوم الكهنة بفتح فم الميت ليستطيع الكلام وتناول الطعام في الحياة الأخرى¹. ويتم تقديم القرابين وإقامة التضحيات وذلك من استنادا على ما عثر عليه من الأثاث الجنائزي، وما وضع على موائد القرابين².

كما رافقت الاحتفالات الدينية التي تقام غالبا في الملحقات الخارجية، المهينة عادة في شرق المعالم الجنائزية القديمة والأضرحة الكبرى لاسيما المستديرة والهرمية، ويعتبر الحليب، الماء والخمر، والزيت مواد ضرورية يفضل الأحياء تقديمها كقرابين لموتاهم أو آلهتهم³.

2.1.2.3. توجيه الجثة نحو الشرق

يوحي توجيه جثة الميت لاسيما رأسه باتجاه شروق الشمس بظهور عقيدة عبادة الشمس، والتي تمثل عبادة الإله الشمسي (رع) هذه العقيدة التي تعتبر الأقدم في حضارات الشرق القديمة خاصة في بلاد النيل ووادي الرافدين⁴، ولأن

¹ نعيم فرح، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1973، ص 111.

² فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 107.

³ راجح لحسن، المرجع السابق، ص 272.

⁴ خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997، ص 162.

هذه العقيدة انتشرت في المناطق الشرقية لمنطقة بلاد المغرب القديم، وهذا ما دفع هيرودوت إلى اعتبار أن الشمس الإله الأعلى لليبيين وإلى جانب النصوص التاريخية، هناك العديد من الشواهد الأثرية التي دلت على عبادة بعض المغاربة القدماء لهذا النجم المجسد في كثير من المرات في صورة الكباش المقدس أو كوكب الشمس، فقد عثر في بعض القبور على رسومات منقوشة تصور قرص الشمس في الشواهد التي وضعت على القبور وتحمل رسومات أشخاص يعلوهم قرص الشمس¹.

2.2.3. تطور العمارة الجنائزية

إن العلاقة وطيدة بين الدين والعمارة الجنائزية، المتمثلة في المقابر والشواهد، والمساند التي صبغت بالصبغة الدينية، كعبادة الشمس والقمر والنجوم، حيث شيدت هذه العمارة لإحياء ذكرى الموتى، وقد مرت بالعديد من المراحل بدايتها كانت عبارة عن حفرة في الأرض لتصبح مباني ضخمة تحتوي على عدة غرف.

3-2-1 أنواع المقابر

جاء في حديث (دانييلز تشارلز) عن عادات الدفن: [فإننا نقف هنا على أرض أكثر صلابة، فالكثير من القبور الموجودة في وادي الآجال إنما هي عبارة

¹ راجع لحسن، المرجع السابق، ص 274.

عن أكوام من الحجارة البسيطة، أو أضرحة ليس فيها حاجيات مما يوضع في القبور... وهي موجودة بكثرة في الصحراء الحديثة، وتتمثل بوضوح قبور البربر¹. ومن خلال هذا القول نتوصل إلى أن المقابر في بلاد المغرب القديم قد مرت بعدة مراحل في تطورها*، كما أنها تنوعت على أساس شكلها أو هندستها - كما سبق ذكره-.

1.1.2.2.3. المقابر دائرية أو بيضوية

هي عبارة عن حفرة دائرية صغيرة ضحلة العمق، يوضع فيها المتوفى على هيئة الجنين ثم يهال عليه التراب وتحدد المقبرة بدائرة من الأحجار، وهذا النوع استعمله الجرامنت منذ أقدم العصور، وكانت هذه المقابر تحتوي على القليل من الآثار التي لم تتعد بعض قطع الفخار البدائي، وبعض أدوات الزينة من قشر بيض النعام أو العظم وبعض عقود الزينة المصنوعة من الحجر².

ومن أمثلة هذا النوع ما وجد في وادي الآجال، حيث نشر عالم الآثار الفرنسي "لوت هنري" (Lhote Henri) لوحة من منطقة (غات) وهي عبارة عن دائرة غير منتظمة الشكل بجوارها شخصان، أما في داخلها فيرقد شخص على ظهره كما يبدو، ويمتلئ الفراغ حول الشخص بعدد من الأواني والأطباق التي رصت بعناية وقد وصف "لوت هنري" (Lhote Henri) الشكل بأنه مسكن تجلس

¹ تشارلز دانييلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تع: أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1991، ص ص 53-54.

* في دراسة كل نوع من أنواع المقابر سيتم ذكر الآثار الجنائزية الذي وجد بها لذلك لم يخصص لها عنصر لوحده.

² تشارلز دانييلز، المرجع السابق، ص 54.

فيه امرأة وطفل على جلد حيوان أمام الخطوط العامة للمسكن، وقد استلقى رجل على ظهره وحوله أشياء متنوعة¹.

لكن (دراز أحمد عبد الحليم) طرح دراسة أخرى لهذه اللوحة التي ترى أن هذا الشكل بعيد عن كونه مسكناً، فهو إن كان كذلك فأين بقية أماكن الأسرة الخاصة لهذا الشخص؟ ولكن من المعقول أن يكون الرسم لمقبرة فردية، تم دفن المتوفى وتزويده بالزاد الذي يعينه على رحلة العالم الآخر، وأما الشخصان الخارجيان فهما من أسرته ربما كانا يؤديان بعض الشعائر على روحه، وظن الباحث أن دراسة "لوت هنري" (Lhote Henri) كانت لبعده عن نظام المقبرة المصرية وطقوس الدفن لدى المصريين القدماء خاصة في عصور ما قبل الأسرات، إن فاته الربط بين ما وجد في اللوحة وبين ما كانت عليه عادات المصريين القدماء خاصة وأن هذه العادات قد وجدت أيضاً في بلاد النوبة، كما تشهد عليها وتؤكد لها مقابر وادي الحياة (الآجال) في فزان بجنوب ليبيا².

وما يمكن تفسيره مما سبق أن المقابر الدائرية أو البيضوية لم تكن سوى حفر بسيطة وغير عميقة توضع فيها الرمال على الجثة، كما كانت المقبرة ببناء بسيط من طوب اللبن، ويفسر من دراسة "لوت هنري" (Lhote Henri) أن حجم المقبرة صغير، يضاف إلى ذلك نوع الأثاث الجنائزي الذي يختلف باختلاف المكانة الاجتماعية للمتوفى.

¹ Lhote (Henri.), Tassili Frescoes, central archaeological Library, New Delhi , p. 89.

² أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 221.

ومن خلال ما سبق ذكره أيضا أن هذا النوع من المقابر قد عرف عند المصريين القدماء وذلك في ما قبل الأسرات، وهو دليل على علاقة التأثير والتأثر بين المنطقتين منذ أقدم العصور.

2.1.2.2.3. المقابر المربعة أو المستطيلة

تعتبر الجبانة الملكية بجرمة أقدم الأمثلة الموجودة للقبور الفاخرة بفزان، حيث بنيت القبور المربعة بدرجتين أو مصطبتين تعلو إحداها الأخرى وحفرت غرفة الدفن في عمق مناسب¹.

يعد هذا النوع أكثر تطورا لمقابر بلاد المغرب القديم، وهو عبارة على حفرة مربعة يبلغ عمقها حوالي أربعة أو خمسة أمتار وقد دعمت جدرانها بكتل من الحجر غير منتظمة الشكل والمتماسكة فيما بينها ببلاطة أرضية الحفرة من الرمال، ويوضع فيها الميت على هيئة الجنين ويوضع حوله الأثاث الجنائزي الذي كان في الغالب من الفخار الفاخر والأواني الزجاجية والقناديل، والحلي الذهبية والمعدنية والعقود الجميلة من الفيروز الأخضر والعقيق الأحمر، أما الشكل الخارجي للمقبرة فكان يتكون من مصطبتين مربعتين تعلو إحداها الأخرى، وكانت المصطبة تبني من كتل الأحجار الغير منتظمة أيضا، ثم تطلّى بالجير أو الطباشير².

¹ محمد سليمان أيوب، جرمة...، ص 176.

² أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص ص 223-224.

وكما أن هذه المقابر قد أطلقت عليها تسمية المصاطب أي أبنية مستطيلة*، وبما أنها تبنى على شكل درجات، جعل البعض يفسرها على أنها أهرامات غير كاملة، بينما شبها آخرون بالمدافن التي انتشرت في الجزائر قديماً، والتي سميت (الجدار) فهي تعد بلا منازع أكثر المقابر الرباعية تطوراً في بلاد المغرب القديم التي سنتعرف عليها في دراستنا اللاحقة.

3.1.2.2.3. القبور الهرمية

عرفت بلاد المغرب القديم ثلاثة أهرامات حقيقية، وتتكون من أبنية هرمية ذات أربع جوانب مبنية من الطوب الطيني الصلب الغير مصقول، ومبنية فوق القبور وتوجد إحدى أمثال هذه المقابر عند أسفل الجرف الشريح، واكتشفت مقبرتان أخريتان 1959م قرب الحطية، وفي مركز وادي الآجال، كما لوحظ وجود نماذج منفردة في نقاط متناثرة في وسط الوادي لمقابر على شكل ممرات تحيط بها منصات منخفضة مبنية من الطوب الطيني وتشبه في الغالب المقابر المدرجة من نوع المقابر الملكية، وقد وجدت مقابر أخرى من هذا النوع في عدة مناطق¹.

وقد تطرق (دراز أحمد عبد الحليم) إلى الجدل القائم حول مصدر هذا الشكل من المقابر والتي وجدت في قرية الحطية جنوب جرمة من وادي الحياة

* يرجع تاريخ تشييد هذا النوع من العمارة في مصر القديمة إلى بداية العصر التاريخي تطور هذا الكوم إلى تكوين مستطيل من الطوب اللبن المحروق في الشمس يشبه شكل المنزل للأفراد العاديين، أو قصر ملكيا بالنسبة للمقابر الملكية، وكانت تزين الجدران الخارجية بدخلات عمودية ضيقة بالتبادل مع خرجات من نفس الطراز وفي العصور الحديثة استخدمت كلمة "مصطبة" للدلالة على المقابر من هذا الطراز. ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدرى، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص 146.

¹ تشارلز دانيلز، المرجع السابق، ص 58.

(الآجال) خاصة أنه لا وجود لهذا النوع في شمال غرب إفريقيا مما جعل البعض يرى أن مصدر هذا التأثير من الشرق والجنوب الشرقي (مصر والسودان) وإذا كانت الحضارة المورية بصفة عامة والمقابر الهرمية بصفة خاصة ناتجة من التأثير المصري، فهل انتقل التأثير من مصر إلى ليبيا مباشرة أو أنه كان بطريق غير مباشر عن طريق السودان؟ حيث يؤكد بعض الباحثين على أن السودان كان الطريق الذي سلكه التأثير المصري في بناء المقابر الهرمية في ليبيا¹

أما (الراشدي فرج) فقد طرح الاتجاه الذي ينسب مصدر هذا التأثير إلى الثقافة المورية في السودان، بما أن عاصمتها مروي قد ظلت قائمة لفترة تتأخر التسعمائة عام (القرن السادس قبل الميلاد إلى سنة 350 ميلادية)، وكانت الأهرامات خلال هذه الفترة الطويلة، المكان المعتاد لدفن ملوك مملكة مروة وعائلاتهم*.

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 224.

* يتجاوز عدد أهرامات مروي 300 هرم، تتواجد في ثلاثة تجمعات رئيسية وتتراوح أطوالها ما بين 6 أمتار إلى 30 متراً، وقد تحطم الكثير منها عبر العصور، وتوجد هذه المنطقة في جزيرة "مروي" التي تبعد عن العاصمة الخرطوم -حالياً- بحوالي 200 كلم، وتقع داخل أحد الأنهر الجافة التي تشق الصحراء، ويرجع تشييد هذه الأهرامات إلى الفترة الممتدة ما بين (720-300 ق.م)، وما يميز هذه الأهرامات أنها تتجه جميعها نحو الشرق لتحية الشمس واستقبال اليوم الجديد، و تتشابه مع أهرامات مصر بأنها تزدان بعناصر زخرفية مستوحاة من الحضارتين الفرعونية والكوشية التي اشتهرت باسم "الفرعنة السود". محمد أنور، "أهرامات وآثار مملكة مروي السودانية"، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد 19، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، جانفي 2016، ص ص 01-04.

ومع ذلك فمن المؤكد أن الثقافة المورية بوجه عام والمدافن الهرمية بوجه خاص، كانت هي ذاتها نتاجاً للتأثير المصري، لاسيما تأثير المملكة الحديثة¹. وفي هذا المجال يجب تقديم وصف للأهرامات المصرية وتطورها، ذلك لتحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما، حيث كانت الأهرامات المصرية في هيئتها الأولى عبارة عن مقبرة حجرية ضخمة بني فوقها خمس مصاطب أخرى تتناقص في الحجم لتأخذ الشكل العام للبناء ما يشبه هرما ذو درجات، وباعتلاء الأسرة الرابعة للعرش أصبح القبر الملكي هرما كاملاً* ذو التخطيط الأرضي المربع كل إذ ملأوا المدرجات بالأحجار لتكون الجوانب مسطحة وأضافوا له قمة مدببة وتم توجيه الأهرامات نحو الشرق إيماناً بعقيدة الشمس، أما مدخلها فوضعه بالضلع الشمالي قرب سطح الأرض، من هناك يوجد ممر يقود إلى غرفة الدفن التي تكون محفورة في الصخر أسفل الهرم أو داخل كتلته، ويقع على الجانب الشرقي منه معبد جنائزي كان يحتل فيه بطقوس الروح للملك الميت ويحتوي

¹ فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 95.

* عُرف عهد الأسرة الرابعة ببدء عهد جديد في تاريخ بناء الأهرامات المصرية، وذلك لأنه أول هرم صحيح وأول مجموعة هرمية كاملة، وأصبحت آثار الملك (سنفرو) هي النموذج الذي احتذاه بناء الأهرام من بعده، وتتكون المجموعة الهرمية مما يأتي: الهرم يحيط به سور الخارجي المشيد من الحجر، معبد جنائزي أمام الواجهة الشرقية للهرم، هيكل أمام المدخل في الناحية الشمالية من الهرم، هرم صغير يحيط به سور الخاص وهو خارج السور الخارجي للهرم الأكبر وفي الناحية الجنوبية منه، حفرات منقورة في الصخر حول الهرم على هيئة السفن، طريق صاعد طويل بين السور الخارجي للهرم فوق الهضبة وبين معبد الوادي على حافة الأرض المزروعة، معبد الوادي ويقع عند النهاية السفلى للطريق الصاعد، وكان هذا المعبد في الوقت ذاته مدخلا للمجموعة الهرمية كلها، وكانوا يضعون فيه الكثير من التماثيل واللوحات. أحمد فخري، الأهرامات المصرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1963، ص ص 28-29.

على عدة حجرات إذ يوجد ممر مغطى يهبط من المعبد إلى الوادي لينتهي ببوابة حجرية ضخمة، وكان الوصول للغرفة الجنائزية يتم من خلال بئر عمودي تقع فوهته على القمة المسطحة للمصطبة والذي يملأ أو يردم بالأحجار بعد الدفن وفي الأسرة الخامسة أضيف إلى الهرم باب وهمي في الحجرة التي تقع في أقصى الداخل يفصلها حائط عن باقي الحجرات في كثير من المصاطب وقد ظل الهرم هو الشكل الرئيسي للمقبرة الملكية حتى القرن السادس عشر قبل الميلاد وانتشر بكثرة في المواقع المصرية¹.

وجعلت رغبة الموريين في السيطرة على وادي النيل بمصر والسودان يطورون مدافنهم بعهد الملك "تهارقو" حيث هجر مقبرة آبائه وأجداده، وشيد بخصائص محلية أول هرم كبير بمقبرة نوري الملكية في القرن السادس قبل الميلاد، لتبنى بعدها أهرامات البجراوية، كما وجد منها ما بُني في المقبرة الجنوبية والشمالية والغربية إضافة إلى أهرامات البركل التي بُنيت على مجموعتين كبيرتين مثل تلك الموجودة في الحطية ولم تكن على نسق هندسي واحد تماماً مثل الأهرامات الغرامنتية².

كما أنه لا يمكن مقارنة الأهرام المورية بأهرام وادي الآجال لاختلافها في الوجهة، حيث تتجه مدافن مروي عادة نحو الغرب أو الجنوب الشرقي، بينما تتجه معظم مدافن وادي الآجال ناحية الشرق، يضاف إلى ذلك عدم العثور في وادي

¹ ياروسلاف تشرنى، المرجع السابق، ص ص 146-149.

² عمر حاج الزاكي، مملكة موري التاريخ والحضارة، ط1، سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السدود إصدار 7، الخرطوم، السودان، 2006، ص ص 96-99.

الآجال على أية مقابر مستورة أو ملحق بها معابد صغيرة إن كانت اللوحات الحجرية التقليدية وموائد القرابين موجودة دائماً¹.

ومنه يمكن القول بعد استعراض أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين شكل الأهرامات في مصر وبلاد المغرب القديم، أن هذه الأخيرة قد صبغت بطابع محلي ليبي.

وتجدر الإشارة إلى أن أداء الطقوس الجنائزية وصيانة المقابر قد أوكلت مهمتها إلى أشخاص مستعدين بأن يهتموا بصالح الميت في مقابل دخل يرصد من وقف جنائزي، وفي كثير من الحالات كان هؤلاء الأشخاص هم أبناء مالك المقبرة وكانت الخدمة الجنائزية تؤسس على قاعدة قانونية راسخة².

2.2.2.3. الشواهد

تعتبر الشواهد من الأشياء المرتبطة بالمقابر، حيث حرص الليبيون على وضع شواهد ذات أشكال معينة على القبور، وكانت هذه الشواهد توضع أما إلى الناحية الشرقية المقابلة لمشرق الشمس أو للناحية الغربية المقابلة لغروبها، وهذا يدل على ارتباط هذه الشواهد بعبادة الشمس*، أيا كان شكل هذه الشواهد سواء

¹ فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 96.

² ياروسلاف تشرني، المرجع السابق، ص 152.

* يمكن القول أن سكان بلاد المغرب القديم قد تأثروا فكرياً وعقيدياً بالشمس مثل المصريين القدماء، حيث أن أنهم انجذبوا لها للأهمية العظمى التي تمثلها الشمس، فهي مصدر الضوء والدفع، وبالحياة التي تقدمها للإنسان والطبيعة بأكملها فبدونها تختفي مظاهرها على الأرض، فالشمس تشرق في الصباح وتسقط طوال النهار ثم تختفي مساءً في الأفق الغربي، ولكن هذا الاختفاء ليس إلا ظاهرياً وذلك لظهورها في اليوم الموالي بعد أن أمضت الليل في عالم غير مرئي، إذ شبهت حياة الإنسان بدورة الشمس على مدار اليوم، يضاف لها اعتقاده بالحياة الثانية. لمزيد من الاطلاع ينظر: ياروسلاف تشرني، المرجع السابق، ص ص 111-112.

على شكل مسلة بارتفاع لا يزيد عن المترين*، مصنوعة من الحجر المحلي (الرملي النوبي) أو على شكل قرنين أو شكل كف يد¹، من خلال ما سبق ذكره فإن أشكال الشواهد كما يلي:

- **الشواهد العمودية الشكل:** هي عبارة عن مسلة صغيرة غير تامة التهديب توضع عادة خارج القبر مواجهة لمشرق الشمس كي تتصل بإله الشمس الذي يقوم هاديا للمتوفى في العالم الآخر²، وكانت تطلى باللون الأحمر ربما لتعكس أشعة الشمس³، حيث أنه من المعروف أن هريمات المسلات في مصر أيام الدولة الحديثة كانت تموه بالذهب أو بمعدن آخر سواه، وإلى جوار مقابر وادي الحياة وجدت بلاطتان كبيرتان كشاهد وكل منهما تصنع زاوية من طرف المقبرة فتجعله شكلا هرميا غير تام، ويبدو أن هذا ليس مصادفة، ويأتي أحد الأمثلة على هذا النوع من قرطاجة حيث وجد عليه نص فينيقي، وهناك من يعتقد بأن هذا الشكل يمثل توحيد قرص الشمس وهلال القمر وقد نتج ذلك من ظهور (تانيت) على رأس المعبودات القرطاجية، إلا أن الحقيقة تشير إلى أن المصريين كانوا أول من شيدوا شواهد على شكل مسلة ثم أثروا في غيرهم من الشعوب من حيث إنتاج هذه الآثار

* المسلة: عرفت المسلة في النصوص المصرية القديمة باسم "تخن"، وفي النصوص اليونانية باسم (Obelisk) واسماها الأوربيون (Needle)، واسماها العرب "مسلة" و"المسلة" هي الإبرة الكبيرة التي تستخدم في حياكة القماش السميك (مثل قماش شراع المركب وغيره)، وكلمة "مسلة" جاءت تعبيراً عن قمتها مدببة كالمسلة المصرية القديمة، ويرى البعض أن المسلة ترمز لأشعة الشمس الهابطة من السماء ممثلة في قمتها الهرمية في حين رأى البعض الآخر أن القمة الهرمية للمسلة تلعب نفس الدور الذي يلعبه الهرم كمقبرة من حيث أنه التل الأزلي الذي بدأت عليه الخليقة. لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الحليم نور الدين، "محاضرة المسلات في مصر القديمة"، الموسم الأثري الأول، مكتبة الإسكندرية، مصر، 13 فيفري 2008، ص ص 02-18.

¹ أحمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 177.

² أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 225.

³ إسكندر بدوي، المرجع السابق، ص ص 23-25.

أو اقتتاؤها فقد آل الأمر بالفينقيين إلى إقامة مسلات لهم صغيرة* (الشكل رقم 10 ص 392).

– الشواهد القرنية الشكل: ظهر أول استخدام كرمز إلى العصر الحجري الحديث، ويمكن تتبع تاريخه بسهولة حتى العصر الروماني، وفضلا عن ذلك فإن هذا الرمز ينتشر عبر رقعة شاسعة تمتد من مواقع العصر الحجري الحديث في الصحراء الكبرى إلى مواقع في حوض البحر المتوسط¹.

ويرى (فروبنوس) نقلا عن (دراز أحمد عبد الحليم) أن القرون التي تم اكتشافها في ليبيا إنما تهدف إلى أغراض رمزية²، وأنها تشير على إلى الضوء وفي اعتقاده أن ثمة صلة تربط بين فكرة استعمال القرون في عصور ما قبل التاريخ واستعمالها الرمزي فيما بعد في ثقافات أخرى، وقد وضع القرص ما بين قرون الحيوانات كالكبش والثور في بلاد المغرب القديم أي أن تلك الأشكال هي تمثيل للهِلال والقرص أي رموز لإله الشمس وإله القمر المنتشرة عبادتها في الصحراء الكبرى والمغرب منذ عصور ما قبل التاريخ³.

كما أن شكل القرون لها نفس الرمزية في بلاد المغرب القديم ومصر القديمة، حيث شُبهت الزخارف على هيئة قرن التي تم اكتشافها في ليبيا، وبين الرموز المصرية الموجودة على المعابد المصرية، والواقع أن الهلال الذي هو على هيئة قرن، والقمر أو قرص الشمس من أهم الزخارف التي تزين رموز الآلهة

* للاطلاع أكثر على المسلات التي عثر عليها في مصر القديمة ينظر:

– H. GORRINGE (HENRY.), EGYPTIAN OBELISKS, PUBLISHED BY THE AUTOR, WAVERLEY PLACE, NEW YORK, pp. 119-146.

¹ فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 100.

² أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 226.

³ عفراء علي الخطيب، المرجع السابق، ص 141.

المصرية، ومن بينها الإلهة حتحور وإيزيس والإله آمون، التي وجدت آثارها في بلاد المغرب القديم وذلك على العملات والمقابر القرطاجية، بالإضافة إلى تصويرها على التماثيل والجعارين، وقد لعبت دوراً هاماً في نقل الجعارين والتماثيل المصرية إلى شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط¹. (الشكل رقم 11 ص 393).

- الشواهد على شكل كف اليد:

ظهر هذا الطراز في فترة متأخرة مقارنة بغيره من الشواهد، حيث يرجع عهدها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، ونظراً لغياب النصوص المنقوشة التي توضح سر هذه الشواهد فإنه ليس من المستحيل أن تكون ما هي إلا تأثير فينيقي أو قرطاجي رسم رسماً تصويرياً أو رمزياً لآلهة غير معروفة². (الشكل رقم 12 ص 393).

وبأن الباحثين قد أرجعوا تاريخ هذا النوع من الشواهد لفترة متأخرة عن غيرها، وأنها من الممكن أن تكون من تأثير فينيقي أو قرطاجي، سيتم التفصيل في دراسته خلال الفصل الموالي.

3.2.2.3. المساند

المساند هي عبارة عن وسادة للرأس (قرص دائري صغير) يمكن أن تصنع من ورق البردي أو الخشب، الطين أو البرونز والذهب، وقد استخدمه المصريين عن طريق وضعها تحت رؤوس الموتى، هذا القرص الغريب مغطى بصور ونصوص غريبة، وهي كلمة ذات أصل يوناني تعني (هذا الذي هو تحت الرأس) مشيراً إلى أهميتها الدينية الغير عادية للمتوفى، حيث يُعرف بها نفسه لإله الشمس

¹ محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص 1457.

² فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 104.

من خلال الضوء الذي يصدر من خلاله، نقشَت عليها أشكال ونقوش هيروغليفية غامضة للإله الخالق (رع) زودت المتوفى بحمايته في العالم الآخر¹.

كما وقد عثر على عدد من مساند الرأس ضمن كنوز توت عنخ آمون على سند رأس من الخشب المذهب، وصنعت المساند أيضا من الألبستر (المرمر) والأبنوس (خشب صلب أسود) والذهب والفيروز والعاج، والهدف من وضعها تحت الرأس لضمان راحة جثة الميت².

أما عن تأثير سكان بلاد المغرب القديم بها، فقد ورد في قول (الراشدي فرج): [كانت رؤوس بعض الهياكل العظمية ترتكز إلى مسند خشبي وهي عادة ترتبط فيما يبدو بتقليد استمر طويلاً في العالم القديم، ومع ذلك فإن النمط الوحيد المناظر لمسند الرأس الذي عثر عليه في واد الآجال هو ذلك النمط الذي استخدمه قدماء المصريين على نطاق واسع، فقد كان لشكل مسند الرأس الذي استخدمه الفراعنة معنى رمزي وجمالي قوي، حسبما يلاحظ من مختلف أنواع مساند الرأس، وكان مسند الرأس المصري يصنع أصلاً من الخشب، وعادة ما يتخذ شكل وسادة مقوسة ترتكز إلى دعامة عمودية أو صلبة وكانت توضع عادة تحت رأس الميت المسجى في التابوت الحجري]³.

¹ El Weshahy (Mofida.), M. Omran (Rasha), Hyocephalus in Ancient Egyptian Religion, journal of Arab Universiades Hospitality Spécial, part 1, 2014, pp. 01-28.

² كريستيان ديروش نوبلكور، توت عنخ آمون، تر: أحمد رضا ومحمود خليل النحاس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974، ص 63.

³ كريستيان ديروش نوبلكور، توت عنخ آمون، المرجع السابق، ص 111.

وما يستدل من هذا القول أن رؤوس الموتى كانت توضع على مساند مادة صنعها من الخشب، وقد عثر على هذا النوع في وادي الآجال وهو دليل على التأثير بالمسند المصرية ذات معنى رمزي وجمالي.

خلاصة الفصل

- من أهم الصعوبات التي تواجه الدارس لعلاقات بلاد المغرب القديم مع مصر القديمة أن المصادر المتوفرة عنها أحادية الجانب سجلتها آثار مصرية، يضاف لها ندرة المصادر الليبية خاصة قبل الاحتلال الإغريقي لبرقة، حيث يعتبر هيرودوت أول من أشار إليها في كتاباته.
- أما صعوبات دراسة تطور المقابر تتمثل في:
 - * الدفن المتتالي في نفس المكان مما يؤدي إلى تراكم الجثث، وبالتالي صعوبة التمييز بين القديمة والمتأخرة.
 - * فخار بلاد المغرب القديم قلما يتغير شكله، وذلك راجع لبساطة مواد صنعه مما يعصب عملية ترمينه بتقنية التآلق الحراري لتحديد فترة وجوده في الأثاث الجنائزي.
- بدأت علاقات بلاد المغرب القديم ومصر منذ أقدم العصور الحجرية ثم تواصلت بعد ذلك ليتم التأكيد عليها في فترة العصر الحجري الحديث.
- تواصل سكان بلاد المغرب القديم مع المصريين القدماء بشكل سلمي خاصة مع التي تعرف اليوم بالصحراء في ظل تعامل سلمي قائم على علاقة المصاهرة مع الواحات الغربية لمصر.
- انتشار القبائل الليبية خلال فترة ما قبل الأسرات في دلتا النيل دليل على العلاقات الطيبة بين الطرفين، كما أن المصريين قد تعاملوا مع رجال القبائل الليبية القديمة كمرتزقة في الجيش المصري لمعرفتهم الواسعة بمداخل ومخارج الصحراء.
- يعد استقرار الليبيون القدماء في مصر سببا في اكتسابهم مكانة اجتماعية واقتصادية مرموقة سمحت لهم بالانصهار داخل النسيج الاجتماعي والسياسي في مصر القديمة خاصة في عهد "شيشنق الأول".

- ساهم وصول الليبيون القدماء إلى الحكم بطريقة سلمية التأثر بالديانة المصرية، والاهتمام بالتشييد العمراني خاصة ذات الطابع الديني.
- إن أوجه الشبه بين الديانتين المصرية والليبية، خاصة منها ما يتعلق بعبادة الحيوانات مثل الكباش والثير توضح أن العلاقة بين الطرفين كانت قوية متراوحة بين السلم والعداوة ولم تكن عدائية دائما.
- من خلال دراسة العلاقات الدينية لبلاد المغرب القديم مع مصر في فترة التواجد الليبي بمصر القديمة قد عرفت الاهتمام بالدين ومعابده، حيث ازدادت العلاقة توطيدا بين الإنسان والإله، وكانت السمة المميزة لكامل الألف الأولى قبل الميلاد بل أصبح الاهتمام بالدين يتناول حتى الأمور السخيفة التي لم يكن لها من قبل وجود.
- أن التأثير الديني المتبادل بلاد المغرب القديم ومصر لم يقتصر إلا في جانب الآلهة بل يشمل حتى الاعتقاد في الحياة الأخرى، التحنيط والشعائر والطقوس الجنائزية، إضافة إلى القبور وشواهدا والأثاث الجنائزي، وهو ما تم تناوله أيضا في الفصل الأول.
- عبر سكان بلاد المغرب القديم عن مشاعرهم الدينية بتكرار سلسلة من الأفعال التي تكون شكلا من أشكال عبادة أو عقيدة، وهذه الأفعال ترتبت في نظام معين طقسا كان أو احتفالا ويتبع نهجا فكريا مميزا وطرار معماري جنائزي تظهر عليه عقيدة الحياة الثانية للميت، من خلال وضع الشواهد والمساند، لضمان راحته.

الفصل الثالث

العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم وفينيقيا

الفصل الثالث: العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم وفينيقيًا

تمهيد

أولاً: التواجد الفينيقي في بلاد المغرب القديم

ثانياً: تأثير الآلهة والطقوس الدينية والجنائزية الفينيقية في بلاد المغرب القديم

خلاصة الفصل

تمهيد

لعبت الظروف الطبيعية والحضارية دوراً كبيراً في اتجاه الفينيقيين إلى البحر، لاعتمادهم عليه في حياتهم اليومية، فبالإضافة إلى صيد الأسماك حصلوا منه على نوع من الأصداف، التي استخرجوا منها على نوع من الأصباغ الأرجوانية التي كان لها دور هام في نشاطهم التجاري، لذلك اتجهت أنظارهم إلى غرب البحر المتوسط وأسسوا بها مراكز تجارية، أصبحت فيما بعد مراكز استيطان لتوفر الأمن والاستقرار بها.

أولاً: التواجد الفينيقي في بلاد المغرب القديم

إن الدارس للعلاقات الفينيقية* مع بلاد المغرب القديم من خلال ما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون الإغريق والرومان، وما أسفرت عليه نتائج التنقيبات الأثرية وكذا نصوص النقوش الكتابية**، التي حددت بدايتها بوصول البحارة والمستوطنين من فينيقيا إلى سواحلها محطة دخول المغرب في التاريخ المكتوب، ولكن إعادة البناء التاريخي لهذه الفترة أمر صعب، وذلك لأن المصادر كلها تقريباً يونانية ولاتينية، كما يكتنف الحضارات الليبية المحلية قبل القرن الثالث قبل الميلاد بعض

* الفينيقيون: اختلفت المصادر في تحديد معنى كلمة فينيقي؛ وهي كلمة سامية مشتقة من لفظ فونيكس (Phoenix) الذي أطلقه اليونانيون منذ النصف الثاني من الألفية الثانية قبل الميلاد وتعني الصباغ الأحمر الأرجواني، الذي يعتبر واحد من اكتشافاتهم، أما فليون الجبيلي فقد نسبها إلى اسم الجد الأول للفينيقيين. لمزيد من الاطلاع ينظر: فاطمة الزهراء عزوز، الروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية (المعتقدات الدينية الآداب الفنون)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006، ص 55-56.

** من أهم مصادر التاريخ الفينيقي: - رسائل تل العمارنة - أرشيف أوغاريت - مخطوط أومانون - الحوليات الأشورية - شواهد الكتاب المقدس - النقوش - المخلفات الأثرية.

الغموض، وقد استمر تراث حضارة العصر الحجري الحديث في المغرب حتى الألف الأولى قبل الميلاد وإن الصورة الأثرية لهذه الحقبة تعكس تطورا بطيئا مطردا، وإن يكن مصحوبا بتأثيرات فينيقية فعالة متزايدة منذ حوالي القرن الرابع قبل الميلاد¹.

ويمكن الإشارة إلى ما قاله (غانم محمد الصغير) عن التواجد الفينيقي في غربي البحر المتوسط من خلال النقوش التي عثر عليها في مواقع المدن الفينيقية-القرطاجية في غربي المتوسط أن معظمها كان متعلقا بالناحية الدينية ولا يتعدى ذكر أسماء الأشخاص والأماكن ولذلك فهي ضعيفة الجانب وعلى هذا الأساس فإن النقوش لا تفيدنا في تسليط الأضواء على المواضيع الاجتماعية والسياسية إلا بالقدر اليسير، بالإضافة إلى ذلك لدينا المصادر المادية التي تتلخص في المواد غير قابلة للفناء والتي بقيت في أماكن المدن الفينيقية البونية في بلاد المغرب القديم، ويأتي على رأس هذه المواد الفخاريات، بحيث يستنتج من ذلك أن وجود الفينيقيين في بلاد المغرب القديم ظهر في شكل دينيا بالإضافة أن الشواهد المادية الغير قابلة للفناء تمثلت في الفخاريات التي تعود إلى معبد تانيت بقرطاجة حسب رأي "هاردن" (Harden) إلى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد².

ويمكن أن يكون الفينيقيون قد استقروا بغربي البحر المتوسط قبل هذا التاريخ بكثير، غير أنهم في بداية الأمر كانوا غير مستقرين، ولذلك لم نعثر لهم على

¹ ب.هـ. وار منجتون، تاريخ إفريقيا العام (العصر القرطاجي)، المجلد 2، (د.ط)، إش: جمال مختار، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، 1985، ص 453.

² محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 82.

بقايا أثرية تدل على تواجدهم، وبالتالي تعاصر المصادر الكتابية، إذا أنه لا يعقل أن يؤسس الفينيقيون مراكز ومدنا مستقرة منذ الوهلة الأولى التي حلوا فيها ببلاد المغرب القديم، بل لابد من ارتياد هذه الأماكن ومعاينة مدى ملائمتها للتجارة والاتصال بسكان المناطق القريبة منها¹.

سيكون التركيز على مستوطنة قرطاجة باعتبارها المدينة الهامة التي آلت إليها السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد تأسيسها وتطورها، والتي كانت الوساطة التجارية بين حوضي البحر المتوسط.

1. تأسيس قرطاجة

كانت المستوطنات الفينيقية والمحطات التجارية تقام إما على جزيرة شاطئية أو على رأس بحري، يمكن أن يؤمن الملجأ عندما يتوفر لهاته السفن بواسطة خليج عميق أو مصب نهر هادئ صالح للملاحة، وقد أنشأ الفينيقيون القاعدة الرئيسية في قرطاجة² (الخريطة 07 ص 408).

1.1. اختيار الموقع وأسباب بناء المدينة

إن النتائج الأثرية التي توالى في مستوطنة قرطاجة قد أسفرت بأن هذه الأخيرة كانت تمتاز بموقع استراتيجي هام حيث تم بناء هذه المدينة بموقع شبه جزيرة على الساحل التونسي-حاليا-.

فموقعها كان محمي بمرتفع بيرصه ولا تتصل باليابسة إلا بواسطة برزخ ضيق حيث يبلغ طوله حوالي أربع كيلومترات ونصف (الخريطة 08 ص 408).

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 81.

² دانيال روبين، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا، تر: سمير مالك، مكتبة النور، تانغست، الجزائر، ص 30.

2.1. أصل التسمية

جاء اسم قرطاجة (Carthage) من (Cartago) وبدقة هي (Kartago) وهو لفظ لاتيني للكلمة اليونانية (Karchedàn) التي بدورها لفظ مشوه للتسمية الفينيقية المركبة (قرت حدشت) والتي تعني المدينة الجديدة، وفي وقت ما وبسبب المفاهيم السياسية للفينيقيين فرضت قرطاجة نفسها بقوة على رأس العالم البوني، ونحن لا نقبل بالترجمة التي تعطي لكلمة (Cart) مدلول (عاصمة)، إذ فسر "كاتون (Katon)" أصل هذه الكلمة ومعناها، وأشار "تيت-ليف" (Tite-live) إلى كلمة قرطاجة في اللغة البونية أنها تعني المدينة الجديدة¹، وهو ما اتفقت عليه جل المراجع الحديثة مع ما ورد في القواميس لمعنى هذه الكلمة، وهذا المعنى يدل على أن الاسم قد اختير ليدل على مدينة ورثت مركزا أكثر قدما منها في ذلك الموقع أو أنها ألحقت به، ويدل هذا ضمنا على أن المكان قدر له منذ البداية أن يكون المستوطنة الرئيسية للفينيقيين في الغرب، وإن كنا لا نعرف عن آثارها في أقدم فترات تاريخها سوى قدر ضئيل لا يسمح بالتأكد من هذا الأمر، وقد أسسها سنة (814 ق.م) فينيقيون أتوا من صور وأطلقت كلمة "قوني" على فينيقي الغرب وعلى إنتاجهم².

¹ فرانسوا ديكره، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، ط1، دار الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1996، ص 53.

² مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981، ص 10.

بنيت في القرن الثاني قبل الميلاد "قرطاجة أو قرطاجنة" أخرى (Cartagene) في إسبانيا، وكانت هي أيضا مدينة جديدة بالمفهوم الذي يدل على تجديد البناء الفينيقي القديم "لقادس"¹.

3.1. ظروف وأسباب بناء المدينة الجديدة

لا يمكن أن نستنتج شيئا ذا قيمة تاريخية من أسطورة التأسيس التي وصلت إلينا في مختلف كتابات المؤلفين الإغريق والرومان، فقد عثرنا على آثار ترجع إلى حوالي التاريخ المذكور (814 ق.م) في أوتيكا، ومن القرن السابع أو السادس في لبدة (Lepcis Magna)، وفي سوسة (Madrumatum) وتيفش (Tipasa) وراشجون (Siga) والعرائش (Lixus) والصويرة (Mogadar) وهذه الأخيرة كانت أبعد المستوطنات الفينيقية المعروفة².

يشير الترابط العام للشواهد الأثرية أنه بينما كانت الرحلات الفردية تتم في فترة مبكرة فإن المستوطنات الدائمة على ساحل المغرب لم تتم قبل سنة (800 ق.م)، ولقد نقلت ظروف بنائها بواسطة العديد من الكتاب بمختلف المعطيات التي تلامس هذا الموضوع وربما كانت هذه المرويات شائعة في أوساط القرطاجيين الذين كانوا على احتكاك مع العالم الإغريقي³.

وبعد أن تمكنت "عليسا" وصحبها من الوصول إلى سواحل بلاد المغرب القديم، كان أول أهدافهم هو سعيهم لإقامة علاقات صداقة مع السكان الأصليين الذين رأوا في القادمين الجدد إمكانية إقامة محطات تجارية مريحة، فقد عرضت

¹ فرانسوا ديكره، قرطاجة أو إمبراطورية...، ص 54.

² ب.ه. وار منجتون، المرجع السابق، ص 455.

³ نفسه.

الملكة على السكان أن تشتري منهم قطعة أرض على خليج تونس في شاطئ إفريقيا الشمالي-بلاد المغرب القديم¹، بمقدار ما يمكن لجلد ثور أن يغطيها كي تستريح هي وصحبها المنهكون بسبب الملاحه، ولقد كان الأفارقة القدماء يخشون هؤلاء الغرباء دون شك، إلا أن عرض الملكة بدا لهم متواضعا فقبلوا؛ غير أن الملكة "عليسا" لجأت إلى حيلة جديدة، إذ قامت بقص جلد الثور إلى سيور رفيعة جدا واستطاعت أن تحصل على رقعة أرض واسعة جدا، ومن هنا أتى اسم "سرسا" والذي يعني في اللغة اليونانية "الجلد" الذي أطلق على المكان في وقت لاحق وبعد أن تكللت إقامتهم الأولى بالنجاح، أنشئوا مدينة على هذا الشاطئ².

4.1. اختيار الموقع وبداية التشييد

بدأت الأبحاث التي تناولت تحديد موقع قرطاجة في منتصف القرن الفارط تقريبا وكانت في بداية الأمر قد اعتمدت على تحليل النصوص التي تركها المؤرخون بالإضافة إلى مواقع البقايا الأثرية التي كان يعثر عليها من حين لآخر³.

يمكن أن القول أن الفينيقيين باشروا الحفر بهدف تأسيس المدينة المدعوة، فعثروا فيها على "رأس ثور" فبدا لهم ذلك نذير شؤم، فاخترأوا أرضا أخرى، فعثروا فيها على رأس حصان، ورأوا فيه رمزا للقيم الحربية والقوة فكان هو المكان

¹ توفيق الطويل، قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1936، ص 13.

² فرانسوا ديكرية، قرطاجة أو إمبراطورية...، ص 55.

³ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 83.

المختار، ليتوافد الكثير من أهل تلك الناحية للسكن في هذه المدينة الجديدة بسبب ذبوع شهرتها¹.

تقع قرطاج على بعد ستة عشر كيلومترا تقريبا من الشمال الشرقي لمدينة تونس على شبه جزيرة واسعة، يحدها من الجنوب خليج تونس، ومن الشرق البحر (البحر المتوسط) ومن الشمال بحيرة (سوكرا) المالحة والممتدة على الشاطئ، ويتصل شبه الجزيرة هذا من الغرب بالقارة الأفريقية، وينتهي عند البحر بنتوء صخري ارتفاعه مائة وخمسون مترا، وينقسم إلى قسمين متساويين: في الشمال سواحل مستوية تحد سهلا واسعا وخصبا، قليل السكان في القديم، ولكن تغطيه بساتين غناء وأراضي زراعية، وفي الجنوب الشرقي لهذا المرتفع الصخري، يمتد سهل تتخلله الأودية الصغيرة، وثلاث تلال تغطيها الخرائب، هناك كان يقع قلب مدينة قرطاج².

تعد قرطاج من بين أجمل المناظر الطبيعية في العالم إذ يحظى الموقع بمميزات ثمينة، تعتبر ضمانات لتأمين وتوسيع العاصمة وحماية جلالها وتألقها الصاعدين³.

¹ فرانسوا ديكره، قرطاج أو إمبراطورية...، ص ص 56-57.

² مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 11.

³ فرانسوا ديكره، قرطاج الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994، ص ص 47-48.

ويميز هذه المنطقة مناخ حار معتدل¹، يوفر لها مزارعات متوسطة كالحبوب والخضار وغيرها وليس تفاوت درجات الحرارة فيها كبيرا جدا، بل يطفه جوارها للبحر، ومعدل تساقط الأمطار يبلغ ثمانين يوما في السنة، مما يجعل مناخها صحيا وقليل الرطوبة وفي أغلب الأحيان تتعرض مدينة قرطاج لريح شمالية غربية، كما أن نسيم البحر يخفف من وطأة السموم عند هبوبها². نستنتج من خلال هذه الدراسة الجغرافية والطبيعية أن مدينة قرطاج كانت محصنة طبيعيا من جميع الجهات مما يصعب الوصول إليها.

2. دور العلاقات الحضارية مع فينيقيا في التأثير الديني

لعبت مدة بقاء الفينيقيين الطويلة من نهاية الألف الثانية قبل الميلاد إلى سقوط قرطاج، والتي قاربت الألف سنة دورها في عملية التأثير الديني³، فمنذ تأسيس محطة ليكسوس حوالي (1110 ق.م) على الساحل الغربي للمغرب الأقصى -حاليا- حتى إلى تدمير مدينة قرطاج 146 ق.م⁴، هي الفترة التي تعايش فيها سكان بلاد المغرب القديم مع الفينيقيين خاصة في الحياة الدينية، حيث كانت آلهتهم شرقية جلبت من مدن الساحل الفينيقي، فشيّدوا لها المعابد وقدموا لها القرابين، ونتج عن ذلك عقائد وطقوس دينية مشتركة.

¹ يشبه إلى حد بعيد مناخ تونس حاليا، إذ لا تتلقى هذه المنطقة في الوقت الحاضر إلا 450 مم³ من مياه الأمطار.

² مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 14.

³ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 50.

⁴ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 230.

يمكن تقسيم العلاقات بين بلاد المغرب القديم وفينيقيا إلى مرحلتين أساسيتين، أولها تبدأ من نشأة قرطاجة وتستمر حتى القرن الخامس قبل الميلاد وثانيهما تمتد من القرن الخامس قبل الميلاد إلى غاية سقوط مدينة قرطاجة سنة 146 ق.م.

1.2. العلاقات من القرن التاسع ق.م إلى القرن الخامس ق.م

كما سلف ذكره أن سكان بلاد المغرب القديم كانوا قد رحبوا بالتجار الفينيقيين الذين وفدوا إلى بلادهم وذلك لأهدافهم السلمية والتي كانت لا تتعدى إنشاء مراكز تجارية تتم فيها المبادلات، وهي اعتمادا على ما ذكره المؤرخ الإغريقي تيمي (Timée) والتي نقلها عنه فيما بعد جوسيان (Justin) في مختصر تروق بومبي (Troque Pompée)¹.

وقد أرجع "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) نزولهم على شواطئ شمال إفريقيا إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد لأهداف اقتصادية تجارية بحتة، حيث تجمع الأهالي القاطنين حول مراكز التبادل حاملين سلعهم المحلية كالجلود وتبر الذهب وخامات المعادن على أمل مقايضتها بالعطور وأدوات الزينة والأواني الزجاجية، وربما قايض الفينيقيون تماثيل آلهتهم أيضا*، أما هؤلاء الوافدين لم يكن

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T,1, pp. 468-509.

* المقايضة: هي نظام يقوم به الفينيقيون حيث يفرغون بضائعهم في مناطق بعيدة غير معروفة ثم يعودون للسفن ويرسلون إشارة بالدخان، عندما يرى الأهالي الدخان يأتون لذلك المكان ويضعون كمية من تبر الذهب ثم ينسحبون ليعود الفينيقيون لفحص ما تركه الأهالي وتكرر العملية إذا لم تكن في رأيهم كمية الذهب كافية، فإذا وافقوا تمت الصفقة بين الطرفين. لمزيد من الاطلاع ينظر:

- Hérodote, 4, p. 196.

اهتمامهم التوسع على حساب الأراضي بقدر ما كانوا مهتمين بالتبادل التجاري، ثم العودة من حيث أتوا¹.

وما يمكن استنتاجه من نظام المقايضة الخرساء أن التواصل اللغوي بين الطرفين منعدم، وبذلك كان التواصل الحضاري غائبا خلال هذه المرحلة الباكرة من الاتصال الفينيقي بالمنطقة، بينما ترجح بعض الدراسات أن الفينيقيين قد استخدموا يدا عاملة محلية ساعدتهم في شحن وتفريغ سفنهم، كما مارسوا طقوسا دينية في حضور المغاربة أو قد اختلس هؤلاء الأنظار لتبدأ بذلك التأثيرات الدينية بين الطرفين، رغم غياب المصادر الكتابية أو المادية التي تبرهن على ذلك.

في نهاية القرن التاسع قبل الميلاد (814 ق.م) أسست قرطاجة بعد أن قبل الفينيقيين دفع ضريبة مالية سنوية للأهالي ونظرا لهوية الفينيقيين السلمية قامت علاقة صداقة بينهما التي دامت من بداية تأسيسها وحتى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا حيث هيمنت قرطاجة على الحوض الغربي للبحر المتوسط².

وقد نتج عن هذه الهيمنة بمرور الزمن تزايد المحطات التجارية على طول سواحل شمال إفريقيا، وقد تجمع الأهالي حولها لتسويق بضائعهم المحلية حيث أصبحت العلاقة بين الطرفين أكثر تنوعا، وباستقرار الفينيقيين والأهالي في أماكن قارة بدأ التفكير في استغلال المناطق الصالحة للزراعة الممتدة على طول السهول

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T,1, p. 380.

² ibid, p. 460.

الموجودة في رأس بونة وسهول الشمال الشرقي للجزائر وصولاً إلى سواحل المغرب الأطلسية الواقعة حول مستوطنة ليكسوس¹.

أما في مجال الصناعة سواء باستعمال الدولاب الخزاف أو في تطوير الرسوم الهندسية التي رسمت على الأواني الفخارية حيث أصبحت تتخذ أشكالاً هندسية وهو ما عرف به فخار شرقي المتوسط، وبذلك أصبحت منافسة للأواني المعاصرة لها².

ومن المؤكد أن الفينيقيين والأهالي قد عملوا جنباً إلى جنب في ورشات صناعة الفخار مما ينتج عنه امتزاج بين آلهة الطرفين.

ويظهر دور العلاقة الاقتصادية في التأثير الديني من خلال ما عثر عليه في بعض أنصاب قرطاجة وسيرتا وحدرومات (سوسة) من رسوم الخراف والثيران إضافة إلى رسوم الكباش الذي يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس التي وجدت في الرسوم الصخرية ويستدل منها على علاقة التأثير والتأثر في الجانب الديني استفاد منها الأهالي في الخروج من عزلتهم منذ فترة ما قبل التاريخ، حيث أخذوا منهم عادة الأضاحي والقربان التي أضفى عليها الصبغة المحلية³.

وبخصوص العلاقات السياسية والعسكرية فقد صبغت في بادئ الأمر بالمصالح المشتركة بداية من تأسيس قرطاجة ولغاية القرن السادس قبل الميلاد عندما زحف الإغريق نحو الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ومنافستهم

¹ Pline L'ancien XIX, p. 63.

² Camps (G.), Monument et rites funéraires, protohistoriques, A. M. G., Paris, 1961, p. 95.

³ محمد الصغير غانم، مقالات وآراء...، ج1، ص 58.

لقرطاجة في عالم التجارة البحرية، حيث نشبت في المنطقة عدة معارك مثل معركة ألاليا في كورسيكا سنة 535 ق.م، ثم حرب قرطاجة مع صقلية والتي كانت سببا في أن تأخذ العلاقات منحى جديدا¹.

أما الاجتماعية فكان أساسها النسب وذلك عن طريق الزواج المختلط بين الطرفين الذي سهل نقل العادات والتقاليد الدينية والجنائزية والآلهة بينهما.

2.2. العلاقات بعد القرن الخامس ق.م إلى القرن الثاني ق.م

بعد خسارة قرطاجة أمام الإغريق في معركة هميرا 480 ق.م*، عملت على تغيير سياستها الاقتصادية التي كانت تعتمد فيها على التجارة عبر سواحل المتوسط وربط حوضه الغربي بالشرقي، غير أن ظهور الإغريق في كل من صقلية وقرينة بليبيا ومنافستهم لها بحيث أصبحوا يمثلون حاجزا يحول دون اتصال تجارها بشرقي المتوسط².

ما كان على قرطاجة أمام هذه الوضعية الجديدة إلا تحويل وجهتها الاقتصادية إلى نشاط الزراعة حيث وجهت أنظارها إلى أراضي الأهالي، واستولت على مساحات معتبرة في شمال شرق تونس الحالية³، وهو ما سمي بـ "الاتجاه الإفريقي"، يتضح ذلك في تجهيزها وإرسالها لرحلة خميلكان (Himilcon) إلى جزر كاسيتريدس وكورنوال في جنوب بريطانيا شمالا.

¹ Hérodote, 6, p. 168.

* للاطلاع أكثر ينظر: مراد ريغي، معركة هميرا 480 ق.م وبداية الصراع القرطاجي مع إغريق صقلية، جامعة المسيلة، الجزائر، د.ت، ص ص 01-14.

² محمد الصغير غانم، مقالات وآراء...، ج1، ص 60.

³ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 1, p. 44.

وكذا رحلة حنون (Hannon)* الاستكشافية في القرن الخامس قبل الميلاد إلى أواسط جنوب غرب إفريقيا، بحثا عن مناطق أخرى في السواحل الإفريقية على المحيط الأطلسي يمكن اللجوء إليها عند الضرورة¹. بالرغم من الطابع الأدبي لهذه الرحلات، إلا أن لها تأثير ديني حيث نتج عن هذا الاتصال اعتقاد القرطاجيون بوجود قوى خفية شريرة تهدد راحتهم وأمنهم، فحاولوا اتقاء شرها بارتداء الأقنعة ومسوخ طينية تحمل أشكالا شيطانية يرتديها الإنسان أو يضعها في منزله أو مقبرته كنوع من إخافة هذه القوى الشريرة وبالتالي إبعادها عنه ويغلب الظن على توصل القرطاجيين إلى هذا التقليد الجديد كنتيجة

* - رحلة خميلكان (Himilcon): وردت أخبار هذه الرحلة في قصيدة لاتينية للشاعر فيستوس أفينوس (Rufus festus Avienus) الذي عاش في بداية القرن الرابع (حوالي 400 ق.م)، وعنوانها "حول البحر" (Ora Maritima)، يصف فيها الشاعر ما وجده فيها، حيث تحدث عن انطلاق القرطاجي خميلكان في رحلته من قرطاجة في اتجاه قادس ليلتف حول شواطئ شبه الجزيرة الإيبيرية، ثم أبهر نحو الشمال إلى بلاد القصدير، وقد قطع المسافة في أربعة أشهر، وصف فيها حال البلاد. ينظر: أحمد صفر، المرجع السابق، ص ص 134-135.

- وفي نفس الفترة تقريبا قام الملك حنون (Hannon) برحلته البحرية التي انطلقت من مدينة قرطاجة في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد التي وردت أخبارها عن طريق ترجمتها الإغريقية، وقد اشترك في هذه الرحلة الليبيون إلى جانب القرطاجيون ويلاحظ بأنه لم يرد في هذه الرحلة ما يشير إلى أنها سلكت شواطئ بلاد المغرب القديم أو شواطئ جنوب غربي أوروبا فيما عدا ذكرها لاجتياز "أعمدة هرقل" (مضيق جبل طارق حالياً)، غير أن اشترك الليبيون في هذه الرحلة ووقعها بعد معركة هميرا 480 ق.م، والتي انهزمت فيها قرطاجة لأول مرة أمام الزحف الإغريقي في جزيرة صقلية ثم انتهاج القرطاجيين بعد ذلك لسياسة إفريقية تعتمد على الاستيطان، ما يرجح بأن رحلة حنون كانت قد سلكت شواطئ المغرب القديم قبل اجتيازها لأعمدة هرقل. محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 102.

¹ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 238.

اتصالهم التجاري والحضاري البري والبحري مع إفريقيا الزنجية، ويعد هذا التأثير استكمالا لكيانهم الحضاري¹.

3. الآلهة الفينيقية والآلهة المحلية في بلاد المغرب القديم

قبل الخوض في ذكر الآلهة الفينيقية والمحلية في بلاد المغرب القديم، فإنه من الضروري التعرف على المصادر التاريخية التي تمكننا من دراسة الدين في المنطقة بعد مجيء الفينيقيين، المتمثلة في المصادر النقائشية التي تشمل كل مخلفات الثقافة المادية لاسيما اللقى الأثرية، وتعد هذه المصادر ذات أهمية فائقة بالنسبة للباحثين، إضافة إلى الأجنبية مثل: التوراة والنصوص الإغريقية، فهي علاوة على كونها توضح الأعمال والطقوس التي كان السكان يعملونها، ويتوارثون تقاليدها جيلا بعد جيل تبين لنا وبجلاء معلومات قيمة تتعلق بنفقات المعابد والأنشيد والترانيم الدينية عند سكان المنطقة، هذا إضافة إلى أن اللقى الأثرية تبين أسماء وعدد الآلهة أيضا.

وقد اتسمت الديانة الفينيقية بالطابع الزراعي، ولعل هذا ما يدل على أن الزراعة كانت أول نشاط اقتصادي مارسه الفينيقيين قبل التجارة والصناعة²، وقد عبر الفينيقيون عن فكرهم الديني في شكل أدب أسطوري ملحمي يتضمن القصص الدينية المتأثرة بالديانات السامية المجاورة والمعبرة عن صلة الآلهة

¹ رشيد الناضوري، المغرب الكبير...، ص ص 219-220.

² أندريه إيمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، مج 1 (الشرق واليونان القديمة)، تر: فريد م. داغر وفؤاد ج أبو ریحان، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 261.

بعضهم ببعض، وبصفة خاصة مظاهر الخصوبة المتصلة بالحياة الزراعية والإنتاج¹.

عبد سكان بلاد المغرب القديم آلهة فينيقية متعددة ويستدل على ذلك بالرسوم المنقوشة على الأنصاب، التي تظهر حالة الوفاء للوطن الأم واتصال به ومن ثمة استمرار التأثيرات الفينيقية في قرطاج والمناطق الخاضعة لها في شتى المادين بما في ذلك الجانب الديني.

خصوصا أن سكان هذه المنطقة كما عرف عنهم سابقا تقبل الآخر حيث ذكر القديس (ترتليانوس) نقلا عن (عمران عبد الحميد) أن للأهالي معبودات جديدة وقديمة أهلية وإغريقية، رومانية وأجنبية متبناة وأسيرة، خاصة وعامة، حربية وبحرية².

وقد أشار (عولمي الربيع) لصعوبة استغلال الرسوم المنقوشة على الأنصاب، وفي غياب النصوص الميثولوجية والدينية الفينيقية والبنونية، تبقى كل المحاولات مجرد افتراضات، لذا حاول في هذا السياق المقارنة بين الديانة الفينيقية والديانة البنونية بالاعتماد على المصادر التي اهتم المؤرخون المعاصرون بدراساتها*، غير أن الاكتشافات الأثرية وخاصة منها النقوش المكتشفة حديثا قد تعيد النظر في مسائل عديدة¹.

¹ رشيد الناضوري، المغرب الكبير...، ص 20.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 52.

* ذكر منهم:

– Dussaud (R.), Les religions des Hittites, des Hourrites, des phéniciens et des syriens, (Mana T.II), Paris, 1949, pp. 345–387.

عبد الليبيون الآلهة الفينيقية بنفس الطريقة والأسماء التي عبدها الفينيقيون، ومن أشهر الآلهة الفينيقية التي عبدت في بلاد المغرب القديم والتي نقسمها إلى قسمين الآلهة الذكور مثل: بعل حامون - ملقارت - أشمون - شادرافا - بعل إيدر، والآلهة الإناث كعشتارت وتانيت، هذه الأخيرة سيتم دراستها بالتفصيل في الفصل الرابع.

1.3. بعل حامون (Ba 'al Hammon):

تعددت آراء الباحثين وتباينت حول أصول عبادة الإله بعل حامون، فهناك من يعتبره إلهًا فينيقيًا حيث نقل إلى المنطقة من قبل التجار الفينيقيين من صور في حين يقر آخرون أنه مزيج بين بين الإله الفينيقي والإله آمون الذي عبده سكان بلاد المغرب القديم قبل مجيء الفينيقيين، ومن هنا يطرح السؤال التالي: هل يمكن أن يكون أصل هذا الإله يرجع إلى جذور محلية؟

هو اسم مركب من جزأين "ب ع ل ح م ن" ويمكن أن يكتب أيضا "ب ع ل ع م ن" بحيث يحل حرف "ع" مكان "ح" وهو شيء عادي في اللغة السامية²، فالبعض يعتقد أن بعل حامون، يوافق بعل سيد جبال الأمانوس* بينما يرى

– Gsell (st.), H.A.A.N. T,4, pp. 221-225.

– Picard (G. Ch.), les religions de l'Afrique antique, pp. 100-129.

¹ الربيع عولمي، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2015-2016، ص124.

² محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...ج1، ص 414.

* توجد هذه المنطقة شرق جبل الأمانوس جنوب شرق تركيا-حاليا-، لكن "ستيفان جزال" Stéphane Gsell يرى أن هذا الأمر يبدو مستحيل حيث تساءل كيف لإله جبل أمانوس الذي يبعد بكثير عن

آخرون أن بعل حمون يعني سيد مذبح البخور، ويرجع ذلك إلى إن كلمة "حمون" تعني "المبخرة" أو نار الجمر لذلك يدعى سيد المبخر، أو سيد نار الجمر¹.

ويرى فريق آخر أن بعل حمون يعني إله المعبد، ويعتقد أن معنى حمون هو الناري ويعبر عنه بشكل الشمس أو سيد أشعة الشمس، وتدل على ذلك النقائش النبطية والتدمرية حيث أكدت النصوص الأوجاريتية هذا المعنى، حيث فسر (الفرجاوي أحمد) معنى (بعل حامون) بـ (سيد المعبد) الذي تقدم فيه الأضاحي البشرية².

أما (فطر محمد حسين) نقلا عن (يفصح نادية) اقترح لفظة (ح. م. ن) تتضمن معنى الحماية وبهذا يكون مدلولها "حامينا"، وقد اعتمد في ذلك على نقishtين تحمل الأولى رقم: CIS, I 405، أما النقيشة الثانية فهي تحمل رقم: CIS, I 406، وفي المقابل قام الباحث الإيطالي "ب، كسيلا" (P. XELA) بدراسة المعطيات النصية والنقائشية المتعلقة بالإله بعل حامون، والذي توصل إلى أن معنى (ح. م. ن) هو "بلدكين" (BALDAQUIN) وهو المصلى أو معبد صغير قام بإنشائه أتباع هذا الإله فأصبح يلعب دور إله أبوي وملكي³.

فينيقيا أن يتمكن من فرض نفسه بالمنطقة، وينتقل مع الملاحين الفينيقيين في رحلتهم نحو الغرب ويتحول فيما بعد إلى أهم آلهة في قرطاج. ينظر:

- Gsell (st.), H.A.A.N. T,4, p. 279.

¹ أحمد الفرجاوي، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص 169.

² أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 170.

³ نادية يفصح، آلهة الخصب البونية النوميديّة، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2003-2004، ص 64.

وقد أرجع (غانم محمد الصغير) أول إشارة للإله بعل حامون كانت في نقيشة عثر عليها في "زنجيرلي" (Zindjerli) شمال سوريا، وذلك في سنة 1902، وقد أرخت تلك النقيشة بالقرن التاسع قبل الميلاد، أما انتشار عبادته في الحوض الغربي للبحر المتوسط كانت في القرن السابع قبل الميلاد، من خلال وجود رسومه على أقدم نصب وجد بالمنطقة¹.

ويذكر بهذا الصدد أن مقدمات السفن القرطاجية كثيرا ما كانت تأخذ شكل إله رأسه رأس كبش، ومن الشواهد الأثرية التي ورد ذكرها حادثة انتحار أحد القادة القرطاجيين، وتقديم نفسه ودمه قرباناً بين قرني الكبش في مقدمة سفينته، إذ أن السفن القرطاجية كانت مزودة برؤوس كباش ذات قرون تشبه قرون الإله، ومن المهم هنا أن يتم التأكيد على أن الكبش ليس مجرد حيوان للتضحية، ولكنه رمز للآلهة المقدسة².

وهو الوصف الذي ذكره (سيلوس الإيطالي) لها، وذلك أن قبطان إحدى السفن عندما رأى سفينته قد احترقت طعن نفسه بعد هزيمة معركة هميرا 480 ق.م، وقدم نفسه قرباناً بسكبه بين قرني الكبش المقدس على مقدمة سفينته، ثم استطاع حنبعل بالثأر بعد معركة سيلينونت عام 409 ق.م³.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص ص 327-328.

² محمد الصغير غانم وآخرون، المعالم الحضارية...، ص ص 171-175.

³ محمد الصالح أنور زموشي، "من مظاهر الديانة النوميديّة (عبادة الإله أمون)"، مجلة دراسات إفريقية بالجزائر، المجلد 2، العدد 3، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ماي 2016، ص 53. أو شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص ص 91-92.

وسبب أهميتها الكبرى في شمال إفريقيا، أنها تتحكم في الشمس والعواصف والمطر الذي يخصب الأرض، وخاصة أن الزراعة لها أهمية لسكان بلاد المغرب القديم، التي تعتمد على مياه الأمطار لغياب الأنهار، وهو ما يعرف حتى الآن بالزراعة البعلية*، ربما إشارة إلى الإله بعل¹، كما ارتبط هذا الإله بالقرابين البشرية من الأطفال وذلك ما عرف فيما بعد بظاهرة الاستبدال - شرحت سابقا - وذلك أن ما يجمع بين الطفل والكبش هو ثلاثة أشياء (إراقة دم الكبش بدلا من إراقة دم الطفل، وقبض حياة الكبش بدلا من قبض حياة الطفل، وإزهاق روح الكبش بدلا من إزهاق روح الطفل)².

كما أن "الصقلي ديودور" (Sicile de Doidore) أشار إلى هذه الطقوس في معرض حديثه عن هجوم أجاثوكليس (Agathocles) على مدينة قرطاجنة قدم وصفاً للطريقة التي تمارس بها تلك الطقوس، حيث يُوضع القرбан بين يدي تمثال الإله المصنوع من البرونز، وكانت يده ممدودتين فوق موقد مستطيل الشكل، ثم تتدرج الضحية في لهب الموقد، ويقوم أحد الكهنة بتولي مهمة تقديم القرбан³.

وانتشرت عبادة الإله بعل حامون بعد السيطرة القرطاجية على بلاد المغرب القديم، بعدما كانت مقتصرة إلا على قرطاجنة ولكن منذ القرن الخامس قبل الميلاد

* الزراعة البعلية: هي الاعتماد على مياه الأمطار في سقي الأراضي الزراعية.

¹ فتحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى الاحتلال الروماني، منشورات أرابيك، الجزائر، ماي 2007، ص 300.

² محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 329.

³ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج1، ص 416.

بدأت عبادته تنتشر في داخل الأراضي المغربية القديمة وأن تراجعت على الصعيد الرسمي نتيجة اصلاحات سياسية ودينية حصلت بقرطاج بسبب تراجع العائلة الماغونية التي كان هذا الإله يسهر على رعايتها، غير أنه لم يتمكن من تجنبها الهزائم التي تكبدتها خاصة في معركة هميرا 480 ق.م.¹

غير أن هذا الرأي يحتاج إلى دليل خاصة أن الآلهة كانت غير مرتبطة بالأسر، وإنما مرتبط بالمدن خاصة بعد توغل القرطاجيين داخل البلاد، تمت مطابقته بالإله آمون في "سيوة" الذي كان يتمتع بشهرة واسعة منذ القدم وكان رمزه المقدس كما سبق ذكره هو رأس الكبش فظهر بعل حامون في عدة صور منها: في شكل صورة رجل في مقبل العمر وله لحية، ويظهر على جانبي رأسه قرنان معقوفان وقد ارتدى ثوبا طويلا ويجلس على عرش يستند جانبا على نحتين بارزين لخروفين ووضع يده على هذين المسندين². (الشكل رقم 13 ص 394).

كما أن "باتس" (Bates) نقلا عن (زموشي محمد الصالح أنور) يؤكد أن أهمية مكانة آمون بعد تبني قرطاج له تحت اسم بعل حامون، إلى درجة أن ثلاثة أرباع الألواح التي عثر عليها في قرطاج كانت مكرسة للإله بعل حامون والآلهة تانيت، مما يؤكد أن بعل حامون هو شكل قرطاجي للإله الليبي آمون ويدل على ذلك شكله يظهر أحيانا على هيئة الكبش المقدس أو على هيئة التماثيل التي

¹ الشاذلي بورونبة ، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1999، ص 277.

² عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، ص 208.

الموجودة في المقابر البونيقية التي تظهر عليه قرني الكبش، إلا في حالة واحدة فقط لم يكن لديه قرنين¹.

وقد اعتمد الباحثون على عدة أدلة التي تؤكد الصلة بين بعل حامون والإله "آمون المصري" حيث عبد الإله آمون على أنه إله الشمس وكذلك بعل حامون عند القرطاجيين معبود مرتبط بالشمس مثل آمون، وبالتالي فإن التشابه في الطبيعة الشمسية يرجح اختلاط المعبودين².

يضاف إلى ذلك صعوبة التفريق بين (الألف) و(الحاء) و(الهاء) في اللغة البونية، وهذا واضح في نقوش معبد الحفرة، وكان الإله آمون يرمز له بالكبش أو برأس الكبش، أو بقرني كبش ويؤكد ذلك رسوم الكبش المصرية المقدسة وهي رمزاً للإله آمون والتي تحمل على رأسها قرص الشمس في أماكن مختلفة من بلاد المغرب القديم³.

كما طرح (عمران عبد الحميد) اقتران "آمون" بـ "رع" وهو معتقد الشمس في مصر القديمة وهذا لم يمنع من حصول بعض اللبس بينه وبين الإله آمون الذي يرمز له بحيوان الكبش (في فترة متأخرة) فاعتقد بعضهم أن "آمون" هو إله الشمس⁴.

وقد صور الإله بعل آمون في عدة أشكال منها: الشكل الإنساني الذي يظهر فيه الإله وهو جالس على عرش مهيب، وعلى الجانبين تمثال أبي الهول

¹ محمد الصالح أنور زموشي، المرجع السابق، ص 53.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T, 4, p. 285.

³ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 46.

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص ص 64-65.

(Sphinx)، وفي بعض الحالات صور وهو يرتدي قرني الكبش، إضافة إلى قرص الشمس، يمسك الإله بيده اليسرى سنبله قمح لها ساق تشبه العصا أو الرمح، ويرفع يده اليمنى باتجاه المتعبدين في إشارة إلى مباركتهم، وهذا يعزز الارتباط بين الإلهين بعل وآمون¹.

وقد عثر في القبور القرطاجية على أثاث جنائزي من ضمنها رؤوس وقرون كباش بالإضافة إلى تماثيل عديدة تنسب إلى آمون وهذه الرموز أيضا تخص بعل حامون².

ويستنتج مما سبق أن الفينيقيون عند قدومهم إلى بلاد المغرب القديم قد وجدوا تشابهاً بين معبودهم ومعبود السكان الأصليين في المنطقة الذي اتخذ هيئة الكبش (آمون)، وبمرور الوقت اندمج المعبودان، وعرفا بالمعبود (بعل حامون) أو "بعل آمون" مع الحفاظ على الخصائص الفينيقية للمعبود³.

بالرغم أن هذا الرأي فيه اختلاف، فبعض المؤرخين مثل: "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) -كما سبق ذكره- يقر باندماج المعبود بعل حامون الذي عبد في قرطاج هو اندماج بين المعبود الفينيقي "بعل" والمعبود "آمون"، خاصة مع العثور على نصب في مدينة مكتر بتونس يحمل صورة للشمس فوق نص مهدي للمعبود بعل آمون، كما ورد ذكره في النصوص والنقائش التي عثرت عليها بقرطاج، وانتشرت في حوض المتوسط، وابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد

¹ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص ص 224-225.

² محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص...، ص ص 10-08.

³ أحمد صفر، المرجع السابق، ص 116.

اقترن اسمه باسم المعبودة تانيت وتواصلت عبادته حتى فترة متأخرة¹، حيث وجدت في كثير من الأحيان لا جميعها حَجَرَات نذرية إلى جانب بعل حامون إلهة مساعدة تسمى تانيت بينيبعل (أي وجه بعل)².

إضافة إلى ما عثر عليه في معبد الحفرة بمدينة قسنطينة من النقوش الإهدائية والنصب النذرية التي قدمت للإله بعل حامون وقرينته تانيت التي ارتبط اسمها باسمه، ويبدو أن ذلك دليل واضح على أن التقرب كان للإلهين معا، ومما جاء في نقيشة بونية بعد نقلها إلى العربية ما يلي:

1. إلى المولى بعل حمن وإلى تانيت

2. وجه بعل هدية نذرهما جايوس

3. بن لوسيوس لتسمع قوله باركه³.

وقد رجح (غانم محمد الصغير) فترة كتابة هذه النقيشة المتأخرة من حكم المملكة النوميدية، وذلك لوجود اسمين رومانيين فيها وهما: "جايوس" و"لوسيوس"⁴.

أما الرأي الثاني فيفصل بين المعبودين، ويرى أن تسمية "بعل آمون" تعني سيد السموات، ومهما يكن من أمر فمن السكان المحليين لشمال إفريقيا من استمر في عبادة المعبود "آمون" منفردا دون دمج مع المعبود "بعل حامون"⁵.

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T, 4, p. 282.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 119.

³ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج1، ص 421.

⁴ نفسه.

⁵ محمد الصغير غانم، سيرتنا النوميدية...، ص ص 150-151.

وتجدر الإشارة إلى تراجع مكانة بعل حامون إلى المرتبة الثانية بعد تانيت منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

2.3. الإله ملقارت (Melkart):

وهو من أبرز آلهة مدينة صور* والإله الرئيس لها، والمؤسس لمدينة قرطاج، وقد انتشرت عبادته من مدينة صور إلى أماكن واسعة من العالم القديم مثل سردينيا وقبرص، صقلية وقرطاج، ويعتقد أنه كان يفضل المدن الساحلية أو البحرية حيث أقيمت له المعابد¹.

أصبح من أكثر الآلهة شعبية وذلك بدخوله في تركيبة أسماء الأعلام حيث أشارت الباحثة "كاترين بوني" نقلاً عن (عولمي الربيع) إلى سعة اعتماد ملقارت في تركيبة الأسماء القرطاجية وأحصت ما لا يقل عن 1500 اسماً، حوالي 900 منها تعكس ثقة البونيين في هذا الإله، ومن ضمنها: "عبد ملقراط"، و"بوملقار" و"بد ملقارت" (بيد ملقرت)².

* يستدل من الشواهد الأثرية والتاريخية على أن موقع المدينة كان عامراً منذ القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد حيث أشار هيرودوت إلى أن كهنة صور قد ذكروا وجود معبد للإله ملقارت، الذي بني وقت بناء المدينة قبل زيارته لها (سنة 450 ق.م) بنحو 2300 سنة، كما أن من المرجح أن الهجرة السامية التي وصلت إلى شمال سوريا في منتصف الألف الثالث توجي بأن الإقليم السوري بأكمله كانت تسكنه أقوام أخرى قبل وصولها مما يدل على أن المدينة كانت قائمة في ذلك الحين، كما تشير الأساطير السورية إلى جنس من أنصاف الآلهة جاء بعد خلق الكون وتلاه جنس من العمالقة اخترعوا ما أفاد العالم ومن هؤلاء أوزوس الصياد (وهو أسطوري) الذي كان أول من خاطر بركوب البحر فوق جذع شجرة رسا به على جزيرة من جزر الشاطئ السوري، وأقام بها عمودين أحدهما للنار والآخر للريح وقدم القرابين، وفي نفس الوقت أسس مدينة صور الواقعة على حوالي 70 كلم عن بيروت. محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص ص 37-38.

¹ خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 96.

² الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 136.

اسم ملقارت مركب من كلمتين: "ملك" وتعني الإله، و"قرط" التي تعني المدينة، وبذلك يكون معنى الاسم "ملك المدينة" أو ربها، أو "سيد المدينة" وباعتماد الاسامة نميل إلى الاعتقاد أنه كان أحد أكثر آلهة قرطاج شعبية كما سنبين ذلك لاحقاً¹.

وللإله ملقارت ما يقابله من الآلهة عند الشعوب الأخرى، فلدى الإغريق كان يسمى بالإله "هرقل" (Héracles)، وقد انظم اسمه إلى اسم ملقارت فصار (Héracles – Melkar) ويمثل ملك المدينة².

وبالاعتماد على المصادر الأثرية نلاحظ أن الرسوم المجسدة لهذا الإله تتشابه غالباً مع الرسوم المجسدة للإله الإغريقي "هرقل" (Héracles) خاصة منها تلك التي تعود إلى فترات متأخرة من تاريخ قرطاج، وفي هذا الشأن يمكن الإشارة إلى الرسوم الموجودة على الشفرت التي كشف عنها في مقابر قرطاج وكذلك التماث³.

ظهر لأول مرة في القرن التاسع قبل الميلاد في نقش آرمي، كما ذكر في معاهدة الملك الأشوري أسرحدون (669-680 ق.م)، مع ملك مدينة صور، وهو إله القوة والنور، إي كان إلها شمسياً، وبعد التوسع الفينيقي في مجال التجارة في البحر اكتسب ملقارت إله البحار، وله شعبية كبيرة بين المستعمرين الفينيقيين، فقد ظل لسنوات طويلة يبعث القرطاجيين الهدايا إلى معبده في صور، ويقدمون له عُشر دخل الدولة سنوياً له⁴، ومن المعتقد أن القائد القرطاجي هانيبال، أثناء توقيع معاهدة السلام مع سفير فليب الخامس ملك مقدونيا، قد أقسم بالإله ملقارت

¹ الشاذلي بوروئية ، المرجع السابق، ص 294.

² خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، ص 97.

³ الشاذلي بوروئية ، المرجع السابق، ص 295.

⁴ أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص ص 172-173.

وكانت تماثيله تُغطى بالذهب، فقد حاولوا جنود القائد الروماني سكيبيو (Sipo) اقتلاع صفائح الذهب التي تغطي تماثاله، فقد صُور على إحدى القطع برأس ملتج، وعلى الوجه الآخر تظهر واجهة معبد، يُعتقد أنه معبد ملقارت بمدينة صبراته، مكتوب على التمثال اسم صبرتن (Sbrtn)، وحسب اعتقاد الباحثين (Caput-Ghedini) فقد أقيمت له معابد صغيرة على هيئة مقدسة، وكانت مكرسة للإله ملقارت بالمدينة¹.

ويستنتج من تحليل العناصر التي رافقت آثار وأخبار، وأساطير ملقارت وتحليل رموزه التوصل إلى أن ملقارت كان في الأصل إلهاً للشمس ويظهر هذا بشكل خاص في رمزي الأسد والنسر ومما يؤكد ذلك ارتباط هذا بالنار والعالم السفلي، فقد كانت النار لا تنطفئ شعلتها فوق مذابح معابده، وكانت مدينة صور تحتفل بمهابة ووقار في شهر كانون الثاني من كل عام باحتفال سمي بـ (بعث ملقارت)*.

ونظراً لأهميته كإله صوري في البداية، فقد كانت ترسل له الهدايا الثمينة والقرايين من مدينة قرطاجة للمدينة الأم في الساحل الفينيقي، وقد تكرر ذكر اسمه عدة مرات في نقوش معبد الحفرة بقسنطينة، حتى خيل للباحثين أنه كان له معبد بمدينة سيرتا، وذلك بوجود نقيشة بونية نذرية جاء فيها بعد نقلها إلى العربية:

1. إلى المولى الى بعل حمن نذر

2. نذره عبد اشمون بن بدعشت

3. رت كاهن ملقرت، لأنه سمع

¹ عادل مصباح نصرات، المعتقدات الدينية الفينيقية وظاهرة التضحية بالأطفال قرطاجة نموذجاً، جامعة الزاوية، ليبيا، ص 09.

* لمزيد من الاطلاع ينظر: خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، ص ص 97-98.

4. [قو] ل[له]¹.

3.3. الإله أشمون (Echmoun):

كانت بيروت الموطن الأصلي للإله أشمون* -في بعض المراجع تكتب إشمون- ثم انتقل بعدها إلى صيدا ومنها إلى قبرص وسردينيا وإفريقيا وقرطاجة فهو إله مدينة صيدا وحاميها، وهو المسؤول عن الشفاء والصحة، هو رمز الخلود، وشعاره حية يتصل رأسها بذنبها على شكل دائرة²، يمثل عند أهل قرطاجة الإله الشافي³.

وشبّهت المصادر الكلاسيكية مثل: سترابون وأبينوس، الإله أشمون بالإله اسكولابيوس إله الشفاء، فهو إذن الإله الشافي من العلل والأمراض، ولم تكن الديانة القرطاجية مقتصرة على هذا الإله وحسب، بل وجدت عدة آلهة أجنبية فنجد أسماء آلهة مصرية كحورس وبتاح، قد تدخل في تركيب أسماء وآلهة قرطاجية، إضافة إلى إدماج الإلهتين الإغريقيتين "ديمتر وكوري" (Démeter et Coré) ضمن آلهة الديانة القرطاجية⁴.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج1، ص ص 225-226.

* تروي الأسطورة عنه فتقول: أن أشمون شاب فتي كان في رحلة صيد فوقعت الإلهة الأم (استرونه) وهي إحدى ظواهر الإلهة (عشتارت) في غرامه وبدأت تلاحقه بلهفة دون هوادة، مما اضطره لأن يخصي نفسه فيموت إثر ذلك، ولكن الإلهة تمكنت من إعادته إلى الحياة بحرارة الدفء الإلهي وجعلت منه إلهاً، ومن هنا جاءت تسمية (إشمون) حيث أن كلمة إيش تعني النار. خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، ص 95.

² عبد المنعم المحجوب، تانيت...، ص 24.

³ خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، ص 95.

⁴ الشاذلي بوروئية، المرجع السابق، ص 299.

واكتسب أشمون أهمية كبيرة في قرطاجة، لدرجة أنه فاق الإله ملقارت نفسه فقد وقف القرطاجيون في دفاعهم الأخير عن مدينتهم في سنة 146 ق.م عند معبد هذا الإله* الذي كان موجوداً في قلعة المدينة¹.

4.3. الإله شادرافا (Shadrafe):

هو اسم مركب من لفظين "شد" و"رfa" أي "شد الشافي"، ظهر على الساحل السوري الفلسطيني، ودخل مصر في عهد حكم الأسرة الثانية والعشرين، ويعرف أنه إله الخصب والعالم السفلي، كما يدل في رسوماته على أنه إله الشفاء، ويحمي من خطر الحيوانات ذات المفعول السحري (العفريت، العقرب، الغزالة، الأسد)². أي أن وظيفة هذا الإله حماية وشفاء جسد المتوفى من لسعات الحشرات والحياة الموجودة داخل قبر المتوفى، كان يمثل الإله الحامي لمدينة لبدة، وكان يعتبر من أهم الآلهة الفينيقية التي عُبِدت في لبدة الكبرى** فقد ورد اسمه في بعض النقوش المكتشفة في المدينة¹.

* معبد أشمون: يقع هذا المعبد في قرطاج على هضبة برصا التي تتوسط المدينة، وقد كان آخر معقل لجأت إليه المقاومة القرطاجية بقيادة أزروبعل قبل دمار قرطاج 146 ق.م، وفيه انتحرت زوجة أزروبعل بأن ألقت بنفسها حية إلى محرقة نصبتها فداء لقرطاج. عبد المنعم المحجوب، تانيت...، ص 24.

¹ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 146.

² أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 177.

** لبدة Leptis magna: تعد لبدة الكبرى من أهم الموانئ التجارية التي أسسها الفينيقيون على الساحل الغربي لليبيا، فهي تقع عند مصب وادي لبدة الذي يقع بشرق مدينة الخمس الحالية، وذكرت في المصادر اللاتينية باسم "Lepeis" وهو اشتقاق من الاسم المحلي (lbqy) الذي يُعطي صوتاً قريباً إلى اللهجة البونيقية، ووصفت بالكبرى تميزاً لها عن لبدة الصغرى على خليج سرت الصغير بتونس، أو ربما للمستوى العظيم الذي وصلت إليه هذه المدينة، ومن المحتمل أنها لم تتحول إلى مركز تجاري ذو قيمة قبل أواخر القرن السادس قبل الميلاد. لمزيد من الاطلاع ينظر: نجلاء عبد الله الزدام، الأحوال الحضارية للقبائل الليبية في المدن الثلاث خلال العصر الروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه (في التاريخ

وكان يعبد في كل من مدن أويا وصبراته*، وكذلك انتشرت عبادته في مناطق متفرقة من العالم الفينيقي، حيث وجد له معبد بمدينة قرطاجة².

5.3. الإله بعل إدير (Baal Addir):

هو بعل القدير، وهو أحد آلهة جبيل بالساحل الليبي، اختلف المؤرخين في تاريخ ذكره، حيث أورد (الماجدي خزعل) ذكره لأول مرة في القرن الخامس قبل الميلاد وانتقل إلى بلاد المغرب القديم³، أما (غانم محمد الصغير) و(الفرجاي أحمد) فيؤكدان أن تاريخ ذكره يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

وترجع أسطورة بعل إدير أن أساس الديانة هي عبادة القوى الطبيعية والخصب والزراعة، وذلك من خلال ما قاله (عبد الغني محمد فتحي): "تدور هذه

اليوناني الروماني)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة قناة السويس، مصر، ص ص 19-20.

¹ لطفية التوهامي اندش وخديجة مصطفى تيكة، الحياة الدينية في إقليم تريبوليتانيا من خلال النقوش الفينيقية، مجلة الباحث، العدد 19، كلية الآداب جامعة سرت، ليبيا، مارس 2022، ص 530.

* - صبراته Sabratha: هي إحدى المراكز الفينيقية المهمة بالساحل الليبي، وقد أطلق عليها الإغريق اسم مدينة وميناء أبروتونوس "Abrotonos"، وفي البونيقية تسمى صبراتن "Sbrtn"، وهي عبارة عن ميناء تجاري يربط واحة كيدامس (غدامس حالياً)، يرجح تأسيسها إلى مهاجرين قدموا من مدينة صور وذلك بزمان غير محدد بالكتابات الكلاسيكية إلا أنه يرجح في أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس قبل الميلاد.

- أويا OEA: تمثل هذه المدينة ثالث أهم المراكز الفينيقية بالمنطقة الليبية، ويعتقد أن الاسم قد جاء من الكلمة الفينيقية أويات "Wayat"، ويقول ايتاليكوس عن تأسيسها بأنها عبارة عن مستوطنة أسست من قبل فينيين وفدوا إليها في وقت متأخر نسبياً عن تأسيس لبدة وصبراته، إلا أن الحفريات المكتشفة بها تدل على أنها تأسست في القرن الخامس قبل الميلاد. ينظر: نجلاء عبد الله الزدام، المرجع السابق، ص ص 20-22. أو أحمد محمد أنديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية الغربية وظهرها في ظل السيطرة الروماني، جامعة التحدي، سرت، ليبيا، 2008، ص ص 13-18،

² عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 11.

³ خزعل الماجدي، الآلهة الكنعانية...، ص 118.

الأسطورة حول صراع بعل وابنه عاليان، ضدَّ الإله موت ويبدأ الصراع بين بعل وموت، حيث يرسل بعل الصواعق من برق ورعد ومطر ورياح وأعاصير، لكن سلطان بعل لم يصمد كثيراً أمام قوة موت، ويضطر بعل أن يخلي المجال لموت الذي يأمر بأن تسود الحرارة والدفء، وهكذا يموت بعل وينزل باطن الأرض ويبقى ابنه عاليان بمفرده بعض الوقت متمثلاً في الثمر على الشجر، وتحت وطأة حرارة الشمس القوية، وأخيراً يضطر عاليان إلى السقوط واللاحق بوالده، ولكن قبل سقوطه يجتمع بأخته وزوجته عناه (اجتماعهما يمثل الربيع) وبعد ذلك تبدأ عناية في البحث عن أخيها حتى تجده فتخرج جسمه وتذهب به إلى قمة جبل سافون حيث تدفنه، وتضحى من أجله، ثم تبحث عن الإله موت وتسأله أن يرد أخاها إلى الحياة فيرفض فقررت مواجهته واسترداد بعل بالقوة، ودخلت معه في معركة فاصلة انتهت بانتصارها، وقتلته شر قتلة¹.

ومثلَّ الباحث هذه الأسطورة بالدورة الزراعية، حيث مثل الإله بعل بالأمطار التي تسقي الزرع، وموت الإله يمثل حرارة الصيف ونضج الزرع. ورد ذكره في نقائش الحفرة بقسنطينة إما بمفرده أو مع الآلهة تانيت، ويحتل المرتبة الأولى في هذه الحالة مكان الإله بعل حامون، وأهديت له حسب النقيشة الأولى أربعة مباخر للحيوانات، والحبوب، والمرطبات، والعطور مما يدل على أنه كان إله الفلاحة².

وقد استمر ظهور اسم "بعل إدير" على النصب البونية الجديدة واللاتينية تحت شكل "بعل إدير" الذي عبده سكان بلاد المغرب القديم على أساس طبيعته الزراعية التي أخذها من بعل حامون تحت اسم جديد هو إله المطر³.

¹ محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص 1455.

² أحمد الفرجاي، المرجع السابق، ص 171.

³ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 334.

وظلت عبادته قائمة إلى غاية القرن الأول ميلادي، وقد وجدت له بمعبد الحفرة عشرين إهداء¹.

6.3. الإلهة عشتارت (Ashtarar):

ورد ذكر هذه الإلهة في التوراة على أنها ملكة السماوات وتقدم لها القرابين²، أما في العهد القديم فذكرت باسم عشتوريت وجمعها عشتارت وكان اسمها في صيدا استارتي وفي أوغاريت اتيرات وفي جبيل عناة وترجمتها أو بعليّيس التي سيدة جبيل وهي أخت بعل وحببته، أما في النصوص الأوغاريتية بصيغة "ا ث ر ت" أي اشيرة البحر أي سيدة البحر كما لقبت "ر ب ت" أي والسيدة العظيمة، فهي إلهة الخصب والحب والجنس والحرب³، وهي متعددة الأسماء وما يتعلق بها من خصائص ووظائف وطقوس وأساطير وتراثيل⁴.

وقد اتخذت الإلهة عشتارت عدة صور، كما مرت في ذلك بثلاثة مراحل مواكبة نشوء الحياة على الأرض من الخلايا الحية الأولى في الماء إلى حياة النبات ثم الحيوان على الجبل البركاني الأول إلى الإنسان، وفي كل مرحلة تتخذ شكلا جديدا وأسماء جديدة أيضا*.

كما عثر على نصب في بيت شان (بيسان في فلسطين)، حيث ظهرت وهي تلبس رأسا على شكل ثور يرمز إلى السلطة، أو تاج مخروطي الشكل تحيط

¹ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 61.

² الكتاب المقدس، إرميا، 7: 18؛ 44: 17، 18، 19، 25.

³ سعد عبود سمار وعلاء جبار جاني، آلهة الخصب في المعتقدات السورية القديمة، مجلة كلية التربية، العدد 39، ج1، جامعة واسط، العراق، 2020، ص 282.

⁴ فراس السواح، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 1985، ص ص 27-28.

* لمزيد من الاطلاع حول الموضوع ينظر: سعد عبود سمار وعلاء جبار جاني، المرجع السابق، ص 283.

به من الأعلى ريشتان يبرز تحتها قرنان وتحمل بيدها اليسرى عصا طويلة وبيدها اليمنى صلب الحياة، وتلبس ثوبا طويلا شفافاً تظهر من خلاله تقاطيع جسمها¹.

ومن جهة أخرى كانت عشتارت رمزا لظاهرة الخصوبة، حيث صور نصبها بصورة امرأة ممسكة بنهديها في حالة ضغط، ورمز لها بالنجمة التي تمثل إحدى الرموز الكونية، وكان لرمز النجمة اهتمام واسع عند الشعوب القديمة ولهذا اهتم البونيين بهذا الرمز لعلاقته بالعالم الآخر، وقد انتشرت هذه العلامة في معظم النصب الجنائزية البونية في بلاد المغرب القديم مثل: معبد الحفرة بقسنطينة وقرطاج بتونس².

أما الإله (ملك عشتارت) فقد ورد اسمه في نقوش المستوطنة السورية (أم العواميد) على الساحل السوري، مما عزز الاعتقاد بأنه الإله الرئيسي للمدينة، ويتكون من كلمتين: ملك، وعشتارت، وجرت عدة محاولات لتفسيره على أنه يعني ملقارت زوج أو أب الإلهة عشتارت³.

انتشرت عبادة هذه الآلهة في كل مكان حل به الفينيقيون وقد صورها الباحثون بصورة الآلهة العسكرية فهي آلهة الحرب والصيد*، وعثر في معبد

¹ محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص 1453.

² شريف قوعيش، "الرموز الدينية في بلاد المغرب القديم (من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة النوميديّة-الموريتانية)"، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 62، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2021، ص 307.

³ عادل مصباح نصرات، المرجع السابق ص 10.

* أبرز (فنطر محمد حسين) في إحدى مقالاته نقلا عن بوروئية الشاذلي والطاهر محمد بعض سمات الإلهة عشتارت، مركزا عن طبيعتها العسكرية التي تستمد جذورها من الشرق بحكم أن نصوص أوغاريت الميثولوجية تظهر للدارس بمظهر الإلهة المحبة للحرب والصيد. الشاذلي بوروئية، المرجع السابق، ص 296.

كارتون بقرطاجة على تمثال مجسم لعشتارت وهي جالسة وقدمها مستقرتان على أسدين¹.

كشفت الحفريات الأثرية بمدينة لبدة الكبرى عن معبد مكرس لعبادة الإله ملك عشتارت، يرجع بناءه إلى القرن الأول قبل الميلاد، وقد أعيد بناه خلال فترة حكم أغسطس (27 ق.م - 14م)، وكرس لعبادة روما وأغسطس، وأضيف معبد آخر أصغر حجماً، خُصص لعبادة الإله ملقارت، وذلك بين العامين الخامس، والثاني قبل الميلاد².

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الآلهة الأخرى التي لا يتسع المجال لذكرها لكثرتها مثل: الإله رشف (Resheph) الذي يعتبر إله الصاعقة، والنار، والضوء السماوي، وقد شبه بالإله الإغريقي أبوللو (Apollo)، وكان محبوباً في الشرق الفينيقي، وفي مدينة قرطاجة حيث أقيم له معبد خاص به وبالإلهة شباش (shapash) التي تمثل الشمس وتظهر في أسطورة الصراع الذي حدث بين (بعل) و(موت)³، ولكن من المحتمل أن الآلهة الفينيقية لم تنتشر بشكل واسع منها في المدن الثلاث (لبدة - أويا - صبراته)، حيث تشير الأدلة المتوفرة عن الآلهة الفينيقية التي تعبد فيها تعود إلى القرن الثالث ونهاية القرن الثاني قبل الميلاد⁴.

وقد تم اكتشاف نقش بمدينة لبدة الكبرى للإله أرس (Aras) وهو إله الكون، وخاص بالمياه العذبة، والنقش مسجل باللغة البونية على لوح من الحجر الجيري المحلي، عُثر عليه قرب المسرح المدرج بالمدينة، ويذكر بالنقش أن

¹ محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص 1453.

² عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 10.

³ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 146.

⁴ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 214.

كانديدوس بن كانديدوس بن حانو بن عبد ملقارت قد كرس نذراً بإقامة النصب والرواق المعمد للإله أرس¹.

ثانياً: مظاهر تأثير الآلهة والطقوس الدينية والجنائزية الفينيقية على بلاد المغرب القديم

ما يلاحظه الباحث في تاريخ مجتمع بلاد المغرب القديم عامة، ظاهرة الامتزاج الحضاري نتيجة تنوع التركيبة البشرية للمجتمع من عناصر ليبية وإغريقية، ومصرية وفينيقية، لهذا يلاحظ أن المجتمع المحلي كان خليطاً تشكلت فيه أنماط ومقومات جديدة في شتى المجالات، وبكل تأكيد فقد استفاد الليبيون القدامى من تلك الحركة الفكرية، حيث أصبحت بلادهم معبراً لمختلف التيارات الحضارية، تؤثر وتتأثر في منطقة البحر المتوسط.

فمن الطبيعي أن تنوع الآلهة -كما سبق ذكره- نتيجة حركة التأثير والتأثر، ففي مجال دراسة هذا الموضوع سيتم التطرق إلى تأثير الآلهة الفينيقية القادمة من الشرق مع المستوطنين الفينيقين على الطقوس الدينية والجنائزية لسكان بلاد المغرب القديم، إضافة إلى العمارة الدينية في بلاد المغرب القديم.

1. مظاهر تأثر المجتمع الليبي القديم بالآلهة الفينيقين

نقل الفينيقيون بمجيئهم لبلاد المغرب القديم عاداتهم وتقاليدهم خاصة الديانة، فعند تأسيسهم للمحطات التجارية حدث بين الطرفين اندماج حضاري وتأثرت المستوطنات الفينيقية بالمؤثرات الشرقية التي انتقلت من فينيقيا إلى

¹ عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 11.

المستوطنات التابعة لها على الحوض الغربي للبحر المتوسط مع تغييرات طفيفة بمرور الزمن¹.

ففي هذا السياق يقول (أندري جوليان شارل): [إن تأثير الشرق تجلى بالخصوص في الدين الذي جاء به المعمرون الفينيقيون، فقد أخذت قرطاج عن صور آلهتها، وكانت تخشاها أكثر مما تحبها، إلا أنه يجب ألا ننسى -كما يفعل البعض أحياناً- أن غايات العقيدة ومظاهرها تخضع لمؤثرات المكان والزمان معا فعندما انتقلت الديانة الفينيقية إلى إفريقية طرأت عليها تغييرات حتمية ولم تبقى الديانة القرطاجية منذ أن اكتملت هي نفسها حتى انهيار قرطاج]².

ما يمكن تفسيره من هذا القول أن أهم تأثير عرفته بلاد المغرب القديم بقدم الفينيقيين هو التأثير الديني خاصة الآلهة، ثم أضاف أن الآلهة تتأثر بالمكان والزمان فمن الطبيعي أن تطرأ عليها بعض التغييرات.

فالفينيقيين حملوا معهم معبوداتهم وقد واصلوا في عبادتها ومارسوا طقوسهم الدينية داخل مدنهم دون أن يتأثروا بالعبادات المحلية أو يؤثروا فيها بشكل واضح طيلة ثلاثة قرون من الزمان تقريباً، لكن مع حلول القرن الخامس قبل الميلاد بدأ التحول القرطاجي في السياسة المتبعة وهو ما يسمى "بالاتجاه الإفريقي" -كما سبق ذكره- نتيجة مجموعة من العوامل التي كان على رأسها الصراع القرطاجي الإغريقي³.

¹ محمد علي عيسى، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، مصلحة الآثار، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوفات التاريخية، ليبيا، 1978، ص 22.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 118.

³ محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 238.

وقد نتج عن وجود الفينيقيون في بلاد المغرب القديم تمازج فكري وديني، حيث أن الباحثين المعاصرين عجزوا عن الفصل بين معتقدات كل شعب، حيث تداخلت بعض من الآلهة الليبية مع الآلهة الفينيقية التي أتى بها أصحابها من بلادهم الأصلية، وخاصة عندما وجد الفينيقيون أن كثيرا من هذه الآلهة تتقارب مع آلهتهم في الصفات¹.

ويستدل في ذلك بالآله (بعل حامون) الذي انتشرت عبادته في بلاد المغرب القديم، نتيجة للعلاقات الوثيقة التي كانت تجمع صور بقرطاجة فالروابط الدينية كانت متينة بينهما².

وتظهر ملامح الانصهار الديني والروحي بين الفينيقيين والنوميديين من خلال الصيغ النذرية والأسماء المتوافرة على النصب المكتشفة في الفضاء السيرتي، تظهر للقارئ مدى الامتزاج الديني الذي حدث في المجتمع النوميدي، فالإلى جانب الآلهة المحلية كانت توجد هناك آلهة أجنبية بونية أخرى عبدت في المنطقة، ولعل معبد الحفرة الذي كرس أساسا لتلك المعبودات لخير دليل على ذلك³.

كما دخل اسم (ملقارت) في تركيبة أسماء الأعلام منها تعكس ثقة البونيين في هذا الإله، إذ يظهر أن الناس يرون فيه البركة⁴.

¹ فيصل علي أسعد الجربي، الفينيقيون في ليبيا من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، 1989، ص 65.

² أحمد الفرجاي، المرجع السابق، ص 167.

³ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 325.

⁴ الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 136.

وبما أن عبادة القمر عبادة فينيقية، فإنه من الراجح أن تكون قد انتقلت إلى الليبيين عن طريق المدن الفينيقية، إذا علمنا أن عبادة الأجرام السماوية اشترك فيها المشاركة والمغاربة على حد سواء حيث تعلق بها المصريون والرافديون والكنعانيون، كما تعلق بها الليبيون، الذين كان إحساسهم بالدين قوي¹.

ويظهر التأثير الديني الفينيقي على أهالي بلاد المغرب القديم في ما تم اكتشافه في بعض المقابر حيث وجدت بقايا أدوات منزلية، كالأواني الفخارية ومصابيح زيتية ملقاة بجانب بقايا عظام الموتى، فقد كان الفينيقيون يتركون بجانب موتاهم بعض الأدوات البسيطة، لاعتقادهم بأن الميت سيحتاجها عند قيامه في الحياة الثانية، وقد عثر أيضا على نماذج منها في مدينة صبراتة، إضافة إلى الآلهة الأخرى التي انتشرت عبادتها في مدن الساحل الغربي، حيث عبد الليبيون الآلهة الفينيقية، وتثقفوا بالعلوم والمعارف القرطاجية، كما أخذوا بعض الأشياء عن الفينيقيين وذلك في مختلف المجالات مثل: العمارة والزراعة، وأساليب الحياة².

يضاف إلى ذلك إقامة الحفلات الدينية بالهياكل، وأخذوا عادة تقديم الأضاحي تقربا للآلهة؛ حيث ورد في أسفار التوراة نقلا عن (غانم محمد الصغير) أن بداية هذه العادة لدى العبرانيين كانوا قد مارسوها في مصر الفرعونية، إلا أنه لم يسمح لهم بذلك، فأنزل إلههم نقمته على المصريين، حيث أنه كان يهلك أول مولود لكل أبوين آدميين وأول مولودة أنثى من الحيوانات في سائر بلاد مصر³.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 359.

² محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 138.

³ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 343.

وسبب التطرق لهذا العادة هو توضيح للتمازج الديني الذي حصل في مجتمع بلاد المغرب القديم، بانصهار الديانة المحلية في الديانة الفينيقية هذا بالإضافة إلى مؤثرات أجنبية مثل: المصرية والإغريقية، ثم الرومانية في وقت لاحق.

وقد حافظت الآلهة على أسمى المراتب في قلوب سكان المغرب القديم، المحلية والأجنبية على حد سواء التي ظلت مخلصة طوال حياتها للوطن الأم الذي أنجبها، وفي المقابل ظلت بعض الآلهة الصحراوية غير متأثرة كثيراً باللاهوت المصري أو الميثولوجيا الإغريقية أو بالأقطار الفينيقية¹.

2. العمارة والطقوس الدينية

بحكم نشوء الحضارة الفينيقية على سواحل البحر الأبيض المتوسط، نجد أن العمارة الفينيقية قد بنيت على الهضاب والسواحل وحتى الجزر والخلجان، كأنها تحاكي البحر، ولم تبعد كثيراً عن شواطئ البحر مما يجعلها محمية بشكل طبيعي.

وقد عُرف عن الفينيقيون اهتمامهم بالعمارة المدنية والدينية، بالإضافة إلى العمارة الجنائزية التي عرفت أنواع مختلفة، والتي تعرضت لتأثيرات شرقية وغربية، فغالبا ما نظمت المستوطنات تنظيماً عمرانياً متناسقاً وموحداً، مكون من المعبد، وحوله نجد الشوارع، والمساكن هذه الأخيرة التي تشكل أحياء سكنية، إضافة لباقي المباني التجارية والحرفية.

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص ص 186-187.

كما جلب الفينيقيون معهم طقوس الديانة الكنعانية الفينيقية والمتمثلة في: الطقوس اليومية، وطقوس المناسبات والطقوس الدورية (الأعياد)، إضافة إلى التعرف على الدلالات الرمزية التي تضمنتها هذه الطقوس*.

1.2. المعابد

لعبت المعابد دوراً مهماً في العالم الفينيقي فإلى جانب أنها كانت أماكن للتقرب من الآلهة والعبادة شكلت في حوض الغربي للبحر المتوسط عنصر تأسيس ومحطة تبادل تجاري، ومثال ذلك "أمبوريون" (Emporion) ولا زالت أمبوريا إلى اليوم تطلق على مدينة بالقرب من برشلونة الإسبانية وتعني المكان المخصص للتبادل التجاري، كما كان للجهاز الكهنوتي دور كبير في عملية التوسع الفينيقي فالفضل يعود إليهم في تأسيس مستوطنة رودس، كما تذكر رواية التأسيس أن "عليسا" قد اصطحبت معها في رحلتها الكاهن الأكبر لكي يشرف على كهانة المعبد، وكنوع من التبعية الدينية كانوا يرسلون لمعبد ملقارت بصور سنويا الهدايا والعطايا كنوع من أنواع الارتباط بالشرق الفينيقي ووطنهم الأم صور¹.

* لمزيد من الاطلاع ينظر: علي مفتاح عبد السلام شاحوت، طقوس الديانة الكنعانية (الفينيقية) ودلالاتها الرمزية من خلال نصوص أوغاريت (رأس شمرا)، مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد 34، العدد 1، زليتن، ليبيا، مارس 2021، ص ص 238-270.

¹ حسيبة باحمان، سكان بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي (814-146 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2015-2016، ص ص 171-172.

أما عن المصادر المتعلقة بالمعابد فهي قليلة رغم جهود علماء الآثار، فعلى سبيل المثال ذكرت المعابد القرطاجية كمؤسسة تعليمية دينية، في النصوص الأدبية الكلاسيكية والوثائق المنقوشة، غير أنها مازالت تحتاج إلى مادة خبرية تجيب عن مجالات الدراسة المطلوبة، وستتم محاولة البحث في المادة المتوفرة والتي هي بحاجة إلى بحث أعمق وأوسع¹.

وتتمثل هذه المادة العلمية في:

- النصوص القديمة:

لم تتناول المصادر الكتابية المعابد البونية بصورة مفصلة، فلا نجد في النصوص القديمة سوى بعض الإشارات العابرة مع ذكر أسماء الآلهة التي خصصت لها هذه المعابد بأسماء إغريقية أو لاتينية دون الاهتمام بأدق التفاصيل، لذلك تبقى معلوماتها قليلة لا تسمح بدراسة الموضوع دراسة دقيقة².

- البقايا الأثرية:

تم خلال السنوات الأخيرة الكشف عن البقايا الأثرية في المواقع البونية ألقت أضواء جديدة على المعابد، حيث وضحت المعلومات الخاصة بها.

فتعتبر الكتابات البونية المنقوشة على الأنصاب مصدراً هاماً أشارت إلى عدد كبير من المعابد، وأسماء الآلهة التي خصصت لها، وإلى أهم الأسماء التي استعملها البونيون للدلالة على المعابد، وفيها معلومات كذلك حول أقسام المعابد

¹ وفاء بوغرارة، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط (من الألف الأولى قبل الميلاد إلى 431م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2015-2016، ص 257.

² نادية يفصح، المرجع السابق، ص 23.

وأهم الأشياء التي تحتويها، بالإضافة إلى ذلك فقد تواجدت مجموعة من الأنصاب النذرية، وبعض النقود التي صورت المعابد خاصة واجهتها، والتي بدورها ساعدت علماء الآثار في معرفة مميزات المعابد ومراحل تطورها، كما حاول الأثريون إعادة تصوير شكلها وحجمها السابق، ومعرفة العناصر الأساسية التي تكونها بعد الكشف عن بقايا المعابد البونية في بلاد المغرب القديم¹.

يضاف إلى ندرة المادة المعرفية ما تسببت فيه التغيرات المناخية ووضع طبقات أبنية جديدة فوق القديمة تعود إلى فترة الحكم الروماني، صعبت على الباحثين التعرف على الفترة السابقة للعهد الروماني، فظهرت دراسات اعتمدت على فرضيات وتخمينات تفتقر للدقة المعرفية².

وفي هذه الدراسة سنتعرف على أماكن تواجدها وأنواعها، إضافة إلى الجهاز الكهنوتي المسير لها.

1.1.2. أماكن تواجدها

كما سبق ذكره أن عبادة الإنسان تطورت بتطور الزمن حيث كانت تعبد في الكهوف وذلك لاعتقاده أنه مكان يسهل فيه استماع المقدس لدعائه ويلتمس منه العفو، ويأمل في الحصول على البركة، أما اختيارهم للجبال والأماكن المرتفعة فلكونها تلمس السماء التي تعتبر في رأيهم المكان الطبيعي لسكن القوى الخفية

¹ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 24.

² فرانسوا ديكره، قرطاجة أو إمبراطورية...، ص 143.

وبالنسبة للأشجار والينابيع فقد كانوا يعتقدون أن المقدس يقطنها لذلك يقصدونها لتسهيل عملية الاتصال بين المقدس والعباد¹.

وهو ما يؤكد (حارش محمد الهادي) في عدم استبعاده أن تكون للقرطاجيين في المرحلة الأولى كهوف مقدسة أو بعض المرتفعات المقدسة، وفي المراحل اللاحقة أصبحت المواقع المخصصة للعبادة في المناطق السهلية تقام في الهواء الطلق، محاطة بأسوار خشنة، وسطها مكان تقديم الأضاحي، فيما بعد أصبحت توضع لهذه المساحات أبواب مع بناء في الوسط مبنى صغيراً كمسكن للإله، قبل أن تتحول إلى معابد في شكل المعابد الإغريقية².

أما "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) فقد أشار إلى إقامة المعابد فوق قمة الجبل في قوله: "وفي عدة مناطق فضلت إقامة المعابد فوق الذرى، فمنها كان الإله ينشر سطوته وحمايته على المنطقة التي هو سيدها، ويظهر إلى أنظار وصلوات عباده، وكان هؤلاء حينها يأتون ليقدموا له تمجيداهم، يقتربون من مسكنه السماوي، لقد كان الفينيقيون يعبدون بعل لبنان وكان أحد المعابد موجودا بقمة جبل الكرمل (Carmel)، وكتاب التوراة عرّفنا بالأمكن المقدسة في بلاد كنعان، وبقرطاجة كان معبد إشمون مقاما على جبل برّسا (Byrsa) ويشرف على المدينة مثل معبد نفس الإله بقراطجنة (Carthagène)، وفي بئر بوركبة (Bir Bou

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص ص 335-336.

² محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ط3، دار هومه، الجزائر، ص ص 66-68.

(Rekba) قرب خليج الحمامات يوجد معبد مزدوج مكرس لبعل، ولتانيت بني بعل، وهو مقام على رأس ربوة وفي داخل خليج تونس على إحدى قمتي جبل بوقرنين¹. ويستنتج من خلال هذا القول أن الهدف من إقامة المعابد في قمم الجبال هو لقربها من الإله ويتفق (حارش محمد الهادي) مع هذا الرأي.

وكما يمكن التوصل من خلال هذا القول إلى أماكن إقامة المعابد في منطقة بلاد المغرب القديم والمتمثلة فيما أشار له المؤرخ أبيانوس في كتابه إلى معبد ضخم خصص لعبادة الإله أشمون في أعالي برّسا (Byrsa)، ويبدو أنه كان من أكبر معابد قرطاجة²، كان محاطا بجدار مقدس وله سلم طويل يتضمن ستون درجة، لعب دورا هاما في حياة القرطاجيين خاصة في فترة الحرب البونية الثالثة (149-146 ق.م)، فالإلى جانب دوره الديني فقد كان بمثابة ملجأ لهم أثناء الخطر³، ويعتبر آخر معقل دفاعي لجأ إليه القرطاجيون في حصار المدينة، وقد لجأت إليه المقاومة القرطاجية بقيادة أزروبل قبل دمار قرطاج 146 ق.م، وفيه انتحرت زوجة أزروبل بأن ألقت بنفسها حية إلى محرقة نصبتها فداء لقرطاج⁴ أما فيما يخص معبد أبولون، فإنه أقيم بين الساحة العامة وتل بيرصا، وكان هو الآخر معبدا مهما يحطه سور مقدس يتوسطه تمثاله مغطى بصفائح من ذهب⁵.

¹ اصطيغان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص ص 283-284.

² الشاذلي بورؤنية، المرجع السابق، ص 298.

³ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 28.

⁴ عبد المنعم المحجوب، تانيت...، ص 24.

⁵ اصطيغان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 286.

ومن الملاحظ أن الآلهة التي نقلتها المصادر القديمة قد حملت أسماء أجنبية مما يصعب التعرف عليها وربطها بالآلهة القرطاجية، وتدل بعض النقوش البونية على أسماء الآلهة في المعابد التي شيدت لها مثل: معبد عشتارت، ومعبد أشمون، ومعبد ملقرت¹.

إضافة إلى معبد الحفرة بسيرتا الذي عرف نشاطا واسعا خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد، يتضمن عدداً هاماً من النصب المنقوشة، التي شيدت لعبادة الإلهين الرئيسيين بعل حمون وتانيت وجه بعل مثلما تدل عليه آلاف النقوش النذرية التي تحمل إهداءات قدمت على شرفهم².

وتجدر الإشارة إلى الصعوبات التي تواجه الباحث في دراسة هذا الجانب من الموضوع، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها قلة المعابد البونية التي يمكن دراسة آثارها بدقة، إذ أن عددها لا يتجاوز الاثني عشر معبداً، موزعة في أرجاء العالم القرطاجي في البحر المتوسط، ومن وجهة نظر تاريخية تصنيفية، متباعدة بشكل شاسع بحيث يكون من المتعذر تقديم دراسة إجمالية تحيط بما كانت تتميز به هندسة البناء الدينية³.

2.1.2. أقسام وأنواع المعابد

في البداية نتعرف على أقسام المعابد ببلاد المغرب القديم، حيث حافظ السكان على نفس الأماكن والأقسام، التي عرف بها الفينيقيون فقد كانوا يقومون بطقوس عباداتهم فوق كل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء، كما نجد أنهم يقومون

¹ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 146.

² نادية يفصح، المرجع السابق، ص 29.

³ فرانسوا ديكره، قرطاجة أو إمبراطورية...، ص 135.

بهذه الطقوس داخل المعابد المخصصة بعبادة بعض الآلهة ويبدو أن القرطاجيين قد حرصوا في بناء معابدهم على اختيار الأماكن العالية، وهم يقلدون بذلك الفينيقيون في صور الذين بنوا معابدهم في المواقع العالية وتشمل أمكنة العبادة هذه ثلاثة عناصر هي على التوالي: رواق، صالة وسطى، غرفة المذبح، وهي من خواص المعابد الفينيقية وعلى هذا الطراز أقيم معبد أشمون في صيدا¹.

فيتكون المعبد عادة من ساحة تحيط بها أسوار ضخمة قد تكون من حجارة أو طين، أو من مادة أخرى، ثم المصلى* وهو العنصر الأساسي وغالبا ما يتوسط المعبد ويكون مرتفعا على السطح لأنه يأوي الإله أو رمزه المقدس².

يضاف إلى ذلك المذبح وهو عنصر ضروري في المعبد حيث توضع عليه القرابين، غالبا ما يتواجد أمام المصلى ويكون نوعا ما مرتفعا حيث يوضع على قاعدة ذات عدة نتوءات، هذا وكثيرا ما زينت المعابد أو واجهاتها، مثلما صورت فوق بعض الأنصاب البونية بعمودين أو عمادين أيونيين أو دوريين أو أيوليين يحملان سطح مزخرف بأفريزة، ذات عنق مصري*.

تعددت المعابد في بلاد المغرب القديم وتتنوعت أشكالها، وأحجامها فمنها الغير مبنية والمبنية، والمصليات الصغيرة.

¹ فرانسوا ديكره، قرطاجة الحضارة...، ص 118.

* المصلى: مبنى مستوحى من الأبنية المصرية يدعى ناووس والناووس هو مكعب مبني بالحجارة الضخمة في أغلب الأحيان يعلو واجهته الرئيسية إفريز وزخارف مختلفة. مادلين هورس ميدان، المرجع السابق، ص 68.

² Fantar (M.), Carthage approche d'une civilisation, T, 2, Tunisie, 1993, p. 298.

* للاطلاع على أقسام المعابد من خلال النقائش ينظر: نادية يفصح، المرجع السابق، ص ص 35-36.

- المعابد الغير مبنية "التوفيت" (Tophet) *: هي عبارة عن مساحات واسعة في شكل فضاءات مقدسة محاطة بجدار من حجر أو طين أو من مادة أخرى يفصلها عن العالم الدنيوي، وفي وسطه مصلى يحتوي على مذبح وأخدود تخرج منه نار متأججة، تمارس فيه الطقوس الدينية في الهواء الطلق وتحيط به مجموعة من الجرات المملوءة بعظام بشرية أو حيوانية قدمت كقرايين للآلهة، تعلوها نصب اتخذت أشكالاً مختلفة إلى جانب تمائم وحلي وتماثيل صغيرة¹.

عثر على هذا النوع من المعابد في حزموت (سوسة)، وقرطاجة بمعبد صالمبو بقرطاجة²، ومعبد الحفرة بسيرتا حيث استمر بناء هذا النوع من المعابد حتى بعد سقوط قرطاجة وخلال الفترة الرومانية، خصصت لعبادة ساتورنوس الذي حل محل بعل حمون³.

أما في إقليم طرابلس فقد عثر على هذا النوع من المعابد الفينيقية، أحدهما في رأس المنفاخ قرب صبراته، والآخر في الغيران قرب ويات، وهي خاصة بتقديم القرايين إلى الإله بعل حامون والآلهة تانيت وجه بعل، ومن الناحية الأركيولوجية

* التوفيت (Tophet): كلمة غير واضحة الأصل، ولكن القصد منها بشكل عام هو مكان التضحية وبشكل أدق (المحرقة)، ورد ذكرها في النصوص التوراتية وهذا يشير إلى أن العبرانيين كانوا قد استخدموها، ولا يستبعد كما يرى البعض أن تكون مأخوذة عن الآرامية القديمة. فرانسوا ديكره، قرطاجة أو إمبراطورية...، ص 143.

¹ Fantar (M.), Carthage approche..., p. 299.

² فرانسوا ديكره، قرطاجة أو إمبراطورية...، ص 149.

³ محمد الصغير غانم، النصب البونية...، ص ص 22-24.

فإن هذا النوع من التوفيت عبارة عن ساحة مسيجة مفتوحة تخزن بداخله الأواني الخاصة بحفظ بقايا جثث الأطفال الذين جرى تقديمهم كأضاحي بشرية للآلهة¹.

-المعابد المبنية: كشفت الأبحاث الأثرية عن بقاياها في قرطاجة وخارجها، تتميز عادة بمدخل بعمودين، تسبقه عدة درجات ويليها دهليز يؤدي إلى ساحة يظهر في وسطها مصلى أو ناووس يكون عادة مرتفعا يقوم على منصة ويضم تمثال الإله أو الرمز المرتبط به، ويقابله مذبح أو طاولة تقدم عليها القرابين².

وكثيرا ما صورت المعابد القرطاجية، أو بالأحرى واجهتها فوق النصب البونية، يبدو من خلالها أنها قد تعرضت لتأثيرات خارجية متنوعة المصدر أدت إلى تغيير في عمارتها، ومنظر زينتها رغم أنها بقيت دائما وفيه لأسسها الفينيقية القديمة³.

وكمثال على المعابد الفينيقية المقامة في إقليم طرابلس معبد الإله "ملك عشتارت" المقام في الفورم القديم في لبدة الكبرى*، الذي أعيد بناؤه في عهد الإمبراطور "سبتيوس سويروس" بسبب إقامة معبد روما وأغسطس في مكانه

¹ للاطلاع أكثر على الموضوع ينظر: عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 224-226.

² Fantar (M.), Carthage approche..., p. 298.

³ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 284.

* ينتصب مبنى المعبد المقام على دكة من الحجر الجيري رمادي اللون، مجلوب من رأس الحمام وهو موجه نحو الجنوب الغربي باتجاه الفورم، ويبلغ ارتفاع الدكة حوالي 2 متر، ويوجد سلم أمامي يؤدي إلى داخل المعبد، وهو محاط بأعمدة من طراز "أيوني" مقامة على الواجهة الأمامية، أما المقدس (المبنى المخصص لوضع تمثال الإله) فإنه يمتد ليغطي عرض الدكة بينما يقل عمقه عن طول الدكة، ويوجد باب يؤدي إلى المقدس المستطيل الشكل، أما داخل المعبد فهو متهدم، وما يستنتج مما سبق ذكره أن جميع المعابد الفينيقية تتكون من مبنى صغير (مقدس) محاط بسياج محصن. عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 223.

الأول في الميدان القديم في هذه المدينة كما سلف ذكره إلا أن الأسس العامة في بناء المعابد الفينيقية ظاهرة فيه¹.

وكما أن هذه التأثيرات جاءت من مصدرين أساسيين: مصري سيطر نفوذه إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، تميزت المصليات بمدخل مستطيل يشغله في الوسط عمود بسيط أو حجرة منحوتة في تشكّل بيضوي، أو في شكل أدمي، ويحيط بالمدخل عمادان ذا حلق مصري تعلوه أفريزة يظهر وسطها قرص شمسي بسيط أو مجنح، ثم إغريقي برز ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد، يميز بالأعمدة الدورية والجبهات المثلثية المقرنة بأ كروتين والزخارف الهلنسية².

- المصليات الصغيرة: كشفت التنقيبات الأثرية عن هذا النوع من المعابد المصغرة في قرطاجة كالمصلى الذي أطلق عليه اسم كرتون نسبة للعالم الأثري (Carton) الذي كشف عنه عام 1916 بالقرب من صالمبو، وكذلك معبد سيدي بوسعيد، فرغم أبعادها الصغيرة إلا أنها وثيقة هامة لمعرفة خصائص هذا النوع من المعابد البونية، فقد تكون في الأصل نماذج مصغرة لمعابد أكبر منها في قرطاجة³ وبصفة عامة يمكن القول أن المعابد كانت مركزا دينيا للعباد وذلك بإقامتهم لطقوسهم وشعائهم، وكذا الاحتفالات التي كان يسهر عليها كهنة المعبد، كما كان المعبد في المنظومة الكنعانية السامية يلعب دورا بارزا في حركة التعليم الديني والحياة الفكرية⁴.

¹ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 220-223.

² نادية يفصح، المرجع السابق، ص 37.

³ نفسه.

⁴ محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 159.

2.2. المجتمع الكهنوتي في بلاد المغرب القديم

ونظرا لأهمية المعابد فقد خصص لها سكان بلاد المغرب القديم كهنة يسهرون على تسييرها وتنظيم شؤونها وفق نظام داخلي محكم.

أما العرافون فيعتبرون عند سكان بلاد المغرب القديم من الشخصيات الرسمية، وكانوا يرافقون قواد الجيوش في حروبهم وغزواتهم، وكان هؤلاء القواد يستبشرون بهم قبل الإقدام على أمر خطير هام، ويأخذون رأيهم ثم يطبقونه.

1.2.2. الكهنة

الكهنة هم همزة الوصل بين الآلهة وجمهور الأوفياء، ويتولون مسؤولية إدارة شؤون المعبد وتنظيم مراسيم العبادة الدينية، وقد كانت غالبا مثل الوظائف الدينية الرفيعة وراثية كما هو الحال عند الفينيقيين وينتمون عادة إلى الطبقة الأرستقراطية¹، ويعرف الكهنة في النصوص الفينيقية غالبا باسم (رب كوهانيم)*.

ومما سبق يمكن التعرف على جهاز الكهنة المتكون من "ر ب ك ه ن" مثلما جاء في بعض النقوش البونية، بمعنى الكاهن الأعظم، وهي أعلى مرتبة في الجهاز، له الحرية التامة في إدارة كل فريق المعبد، وإليه تحول كل الصلاحيات، وتساعد مجموعة من الكهنة من الرجال والنساء، وحراس الأبواب، ومنشدين وخبازين وحلاقين وكتبة، ومشرفين على الماء والذبائح، وكذلك البغايا المقدسات

¹ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 289.

* الكوهانيم: مصطلح عبري يدل على جمع كاهن، وكان يحمل أكبرهم لقب "رب" بمعنى رئيس، وكان من بين الكوهانيم طبقة العرافين، والخدم وحراس المعبد والحلاقون... إلخ، وكانت مهنة الكهنة شرفية فمثلا كهنوت بني إسرائيل منذ خروجهم من مصر في القرن 13 ق.م، رفقة سيدنا موسى عليه السلام مقصورة على هارون ونسله. محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 335.

والغلمان، الذين أبرموا عهدا على خدمة الآلهة طوال حياتهم مخلصين لها، ومؤدين واجبههم على أحسن وجه¹.

يمثل هؤلاء الأعوان الذين يسهرون على خدمة المعبد والآلهة والجزارون الذين يشاركون في عملية تقديم القرابين، والمصباحي الذي يسهر على إنارة المعبد، وكذلك العازفون والمغنون، فنجد خادم عشتارت، وخادم ملقرت، وخادم أشمون وغيرهم².

احتلت فئة الكهنة مكانة سامية في المجتمع القرطاجي، نظرا للدور الذي يلعبه الكاهن داخل المعبد، حيث كان يمثل الرابطة الروحية بين الإله والشعب ويظهر ذلك جليا من خلال إشرافه على العبادة عن طريق تقديم القرابين وتنظيم الطقوس الجنائزية وعلى العموم فمكانة الكاهن في الحضارات القديمة مرتبطة بالمكان التي تتمتع بها الديانة وبالأخص مكانة العبادة في الحياة العامة والخاصة للشعوب القديمة لأن من خلالها يلعب الكاهن دوراً فعالاً في تفسير بعض المظاهر التي يعجز الفرد تفسيرها وذلك باستشارة الآلهة³.

¹ Gsell (st.), H.A.A.N. T,4, pp. 397.

² أحمد الفرجائي، المرجع السابق، ص 210.

³ ليندة عثمان، العادات الدينية والطقوس والشعائر الجنائزية في بلاد المغرب القديم (الفترة الليبية البونية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013-2014، ص 129.

وقد ورد ذكر الكهنة والكاهنات بشواهد القبور، وفي النذور البونيقية وتذكر بوضوح أو بغموض حيناً المعبود الذي تكرسه لخدمته، مثلاً: كهنة بعل شميم، إشمون أشتارت، للإلهة اللات Allat، وكاهنة الربة الكبرى... إلخ.¹

ورغم أن مهمة الكهنوت بما فيها من رفعة ونفوذ لم تكن خالية من الخطر والمتاعب لأن الكاهن يضع حياته وإمكاناته كلها في قبضة سيده، ويعتبر أحياناً مسؤولاً علي غضب السيد، وتدل أعمال الكهان القرطاجيين ومهماتهم علي أنهم كانوا ينقسمون إلي قسمين:

- فئة المنقطعين إلى خدمة الآلهة والبعيدون عن الحياة العامة، وهم يخضعون لقوانين صارمة لا تسمح لهم بتعاطي أي عمل غير القيام بواجباتهم الدينية.²

- وفئة أخرى مختارة من الأسرة الأرستقراطية العريقة في الحسب والنسب ولأفراد هذه الفئة امتيازات خاصة تحررهم من التزامات الكهان العاديين، وتمتع الكهنة ببعض الامتيازات الأساسية ولكن يبدو أن سلطتهم لم تتجاوز حد العبادة.³

حيث كان الكهنة يضمنون السير الحسن للعبادة ويسهرون على تنفيذ الطقوس المقدسة، وأهم عمل يقومون به هو نشر الديانة واسترجاع القوة الإلهية وجلب البركة والعمل على الربط بين صاحب الإهداء والإله المهدى له.⁴

ويمكن إضافة ما كان الكهنة يقومون به من ذبح الأضاحي وحرق البخور التي كانت لها أهمية معتبرة في رأيهم عند الإله بعل حامون، حيث أنه كان يعرف

¹ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 288.

² عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 14.

³ مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 69.

⁴ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 340.

بسيد مذبح البخور، يتبين ذلك في ما ورد في نقش النصب المهدى لمكوسن (مسيبسا) المكتشف بشرشال والمحفوظ بمتحف اللوفر بفرنسا، حيث ورد في السطر السابع الجملة التالية: "كلها قد تجمعت حوله، العطور بمجاميرها المشتعلة"، وفي السطر الثامن: "المر المكاوي السائل وكذا مطارق القرنفل واللوبان"¹.

وكانت ملابس الكهنة أثناء الاحتفالات والطقوس الدينية تتألف من ثياب أرجوانية وقلانس وجلابيب من كتان، وأردية طويلة الذيل تزينها في الوسط شريط أرجواني، وأن لباس الكاهنة القرطاجية (عريسة بعل) المنقوشة على غطاء الناووس الموجود بمتحف قرطاج كان بدون شك لباس كاهنة عظيمة الشأن، وهو يشبه لباس الكاهنة المصرية².

أما عن تأثير ملامح اللباس الكهنوتي الفينيقي على لباس كاهنات بلاد المغرب القديم فقد وجد في صورة المحفورة على إحدى نصب تيديس، والتي تشبه ملامح اللباس الكهنوتي ذي تقاليد فينيقية، مقارنة ببعض التماثيل التي اكتشفت بفينيقيا الأم، ويتمثل ذلك في وشاح يتدلى من فوق رأس الكاهنة التي ترتدي تنورة طويلة مشدودة على الخصر بحزام ينتهي في طرفيه بعقدتين، وربما أنها كانت تلبس أيضا معطفا مشرشف الحواف، وتحمل في يدها اليمنى صولجانا واليد اليسرى سعف النخيل، وهو ما يعتقد منه أنها كانت تؤدي وظيفتها في المعبد، كما كانت ترتدي عقدا يتدلى منه وسام على شكل هلال، وهو شبيه بالعقود التي تم

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 341.

² أحمد صفر، المرجع السابق، ص 121.

اكتشافها على كثير من نصب تيبازة، واستمر اللباس المشار إليه آنفا لدى كاهنات المعابد البونية في شمال إفريقيا، وذلك حتى الفترة الرومانية¹.

ولقد شاركت المرأة في هذه الوظيفة المقدسة واحتلت هي الأخرى مراتب عليا في تسير شؤون المعبد فكان لها دور رئيسة المجتمع الكهنوتي "ر، ب، ت، ك، هـ، ن" حيث ظهرت صورتها فوق العديد من التوابين بقرطاجة، كالتابوت الذي عثر عليه الأب ديلتر (Delattre) في إحدى المقابر، ويمثل امرأة جالسة فوق كرسي، رجلاها موضوعتان على سلم صغير ترتدي قميصا كهنوتيا ذو كمين قصيرين، اليد اليمنى موضوعة فوق ركبتيها واليد اليسرى تستريح فوق وشاح الكتف، تضع فوق رأسها تاجاً وتحمل في أذنيها أقراطاً، وتشير كذلك إحدى النقوش البونية الجديدة (Néo punique) إلى امرأة تدعى عديات (Adiyat) كانت تشغل منصب مديرة أو مسؤولة المغنيات في المعبد².

والى جنب الكهنة فقد ساهمت بعض الجمعيات التي تتكون من أشخاص أوفياء يمثلون ما يعرف عند القرطاجيين بـ "مزراح" (Mzrah)، يسهرون على إنجاز بعض المشاريع كتشيد المعابد وترميمها³.

يتبين مما سبق أن المجتمع الكهنوتي كان منظماً تنظيمياً مُحكماً في المجتمع القرطاجي، وكان أعضاؤه يتمتعون بنفوذ كبير يسهرون على مراقبة وتسيير الطقوس والاحتفالات الدينية.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 339.

² عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 15.

³ Fantar (M.), Carthage approche..., pp. 310-311.

2.2.2. العرافون*

كان القرطاجيون مولعين بالتطلع إلى معرفة المستقبل ويقول المؤرخون أن معبد (سياتيس) بقرطاج كانت به متكهنات يكشفن الغيب ويتنبأن بالمستقبل ويهتفن بذلك**، وكان هؤلاء العرافون يعتبرون عند القرطاجيين من الشخصيات الرسمية، وكانوا يرافقون قواد الجيوش في حروبهم وغزواتهم، وكان هؤلاء القواد يستبشرون بهم قبل الإقدام إلى أمر خطير هام، ويأخذون رأيهم ويتبعونه حتى قيل أنه لم يقومون بالهجوم على سرقوسة (سنة 309 ق.م) إلا بعدما أكد له العرافون بأن النصر سيكون حليفه، وقالوا بأنهم راوا ذلك مجسما في أمعاء القتلى، وقيل أيضا أن الملك حنون اصطحب في رحلته المشهورة جماعة من العرافين، وأنه عملا بإشارتهم، ارتحل بمن معه عن إحدى الجزر التي كانوا نزلوا بها إذ شاهدوا في الليل نيرانا تتحرك، وسمعوا حس الطبول وأصوات المزامير وضجيجا كبيرا

* العرافة: كلمة عرافة (divination) تأتي من الكلمة اللاتينية divinatio التي تعني "التعامل مع الآلهة" من خلال علامات أو إشارات، ويمكن أن تكون العلامات الإلهية أي شيء ينظر إليه على أنه غير طبيعي في العالم البشري، وتتكون من ثلاثة عناصر هي: العراف، العلامة أو الإشارة، الإطار النصي الذي كان العراف يستخدمه أثناء العملية (الوحي)، والعرافون هم الذين يستطيعون كشف المستقبل، وهي تمارس كوسيلة للحصول على معلومات غيبية ماضية حاضرة ومستقبلية، والنبوة هي المعبر الذي يصل الإنسان بربه، وهي عبارة عن رؤيا أو وحي مستلهم بفعل سماوي وينبئ بأحداث مستقبلية، وهي جزء من تكوين الدين لدى الشعوب القديمة. خالد شهره ومحمد الحبيب بشاري، دور العرافين والأوراكل في توجيه الهجرات الإغريقية نحو إيطاليا خلال القرن الثامن قبل الميلاد، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 1، العدد 2، جامعة المسيلة، الجزائر، 2021، ص ص 74-75.

** وقد بقيت هذه المعتقدات موجودة لليوم، وأن وجود البراجين والدقازين، والرمالين وغيرهم من الدراويش والمشعوذين، وانتشارهم في كل جهة من البلاد لدليل قاطع على التشبث بتلك العادات القديمة. أحمد صفر، المرجع السابق، ص 121.

وضوضاء الشيء الذي من شأنه أن يجعلهم يتشاءمون ويخافون سوء العاقبة ولا يتفاءلون خيرا¹.

ومنه فقد كانت للكهنة والعرافين دورا بارزا في المجتمع المغاربي القديم، ف شخصية الكاهن تعمل إلى جانب شخصية العراف، فإذا كان دور الكاهن داخل المعبد، حيث كان يمثل الرابطة الروحية بين الإله والشعب ويظهر ذلك جليا من خلال إشرافه على العبادة عن طريق تقديم القرابين وتنظيم الطقوس الجنائزية، فإن العراف هو من يستطيع كشف المستقبل.

3.2.2. الأقنعة

حاول سكان بلاد المغرب القديم التغلب على القوى الشريرة التي تهدد أمنهم باستخدام طريقة جديدة ترجع في أصولها إلى إفريقيا الزنجية وهي صنع أقنعة ومسوخ طينية* تحمل أشكالا شيطانية يرتديها الإنسان، أو يضعها في منزله كنوع من إخافة هذه القوى الشريرة وبالتالي إبعادها عنه، ويغلب الظن أن توصلهم إلى هذا التقليد الجديد يرجع إلى اتصالهم التجاري والحضاري البري والبحري مع إفريقيا الزنجية وقد ثبت قيامهم برحلات برية عبر الصحراء إلى منطقة نهر النيجر والسنغال، وطول ساحل المحيط الأطلسي وفي ذلك استزادة من الحضارات الأجنبية لاستكمال كيانهم الحضاري - كما سبق ذكره -².

¹ أحمد صفر، المرجع السابق، ص 121.

* للاطلاع أكثر ينظر:

- Delattre (R.p.), Nécropole punique de la colline de Sainte-Monique, imprimerie E. petithenry, paris, 1899, P. 08.

² رشيد الناضوري، المغرب الكبير...، ص ص 218-220.

فظاهرة الأقنعة والمسوخ تأثرت في أصلها بالأمم الأخرى فهي تقليد زنجي بحث، وقد يكون لها حسب اعتقادهم ارتباط بعالم ما بعد الموت، لقد صنع القرطاجيين كثيراً من الأقنعة والمسوخ * والتي كان الغرض من استعمالها إنها تبعد الجن والشياطين عنهم وتشفئهم من الآلام والأمراض، وتعيذهم من العين وكانوا يعتقدون مثل ذلك في أشياء أخرى كثيرة: كقشور بيض النعام كانوا يجعلونها في شكل المسوخ التي تصنع من الطين بواسطة قوالب وجدت نماذج منها بمعمل الفخار بقرطاج وهي في الغالب قبيحة الشكل والمنظر، معبسة ومقطبة تمثل وجه الشيطان لطرد العفاريت وكانت تحمل أحيانا أقراطاً بأذانها وحلقات بأنوفها¹.

تنقسم الأقنعة إلى قسمين فمنها الوجوه النسائية ومنها الوجوه الرجالية وقد واكبت تلك الأقنعة في صناعتها التغيرات التي حدثت عليها في الشرق الفينيقي فمزجت بينه وبين الفن الإغريقي كما صنع البعض الآخر منها على الطريقة المصرية المميز بغطاء الرأس والعينان لوزيتان، والأنف مستطيل، والفم صغير في غالب الأحيان، أو على الطريقة المازجة بين الفن الإغريقي والفينيقي (نهاية القرن السادس ومنتصف القرن الخامس)، وزعم بعض الباحثين أن في هذا الإنتاج تقليد للصناعة الشرقية أو الإغريقية².

* الأقنعة القرطاجية: مجموعة من الأقنعة بأشكال مختلفة بين الضحك والصراخ والبكاء، وقد ساد اقتناءها بين عموم مواطني قرطاج. عبد المنعم المحجوب، آمون (معجم في تاريخ ليبيا القديمة والحضارة الليبوفينيقية في شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط)، دار الكتب، لبنان، ص 55.

¹ أحمد صفر، المرجع السابق، ص 122.

² أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص ص 77-78.

وقد أقيم معرض في العاصمة الإيطالية روما بتاريخ 27 سبتمبر 2020م لـ (400 قطعة أثرية)، جاء من بينها قناع الطين المشهور الذي يرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد. (الشكل رقم 14-أ- و -ب- ص 395).

3. الطقوس والاحتفالات الدينية

حظيت الاحتفالات الطقوسية التي تنتهي بتقديم القرابين والأضاحي للآلهة مكانة هامة في حياة الإنسان البدائي الدينية*، وقد اعتبرت القرابين من أهم الشعائر الدينية لدى جميع الحضارات الإنسانية ومن أكثرها تطوراً، ويتمثل تقديم القرابين طقس ديني الذي تتنوع فيه إما أضاحي بشرية أو حيوانية أو غيرهما، من أجل تقريب الخير أو إزالة الشر¹.

3-1 ظاهرة القرابين والأضاحي

تتميز الديانة في بلاد المغرب القديم بظاهرة تقديم القرابين والتضحيات على شرف الآلهة من أجل استمالتها ونيل رضاها، تصاحبها احتفالات دينية كانت تقام تحت إشراف الكهنة وبحضور جمع غفير من الناس، ولقد قدم سكان المنطقة في البداية قرابين بشرية خاصة منها الأطفال الصغار، ثم أخذت تعوض شيئاً فشيئاً بالقرابين الحيوانية والغذائية بمختلف أنواعها.

* مما سبق ذكره أن الفينيقيون قد جلبوا معهم طقوس الديانة الكنعانية الفينيقية والمتمثلة في: الطقوس اليومية، وطقوس المناسبات والطقوس الدورية (الأعياد)، ومن المؤكد أن سكان بلاد المغرب القديم قد تأثروا بها مثل باقي الطقوس والاحتفالات الدينية، وخلال هذه الدراسة سيتم الاكتفاء بالتفصيل في احتفالات ظاهرة تقديم القرابين والأضاحي لما لها من أهمية في الاحتفالات الطقوسية.

¹ البشير كيحل، المرجع السابق، ص 41.

1.1.3. القرابين البشرية

شاع عن الفينيقيين تقديم الآباء لأبنائهم كتضحيات خلال العصور القديمة، حيث كانت التضحية بالطفل الأكبر عرفاً جارياً لهم في شرقي وغربي البحر المتوسط¹.

لقد كانت فكرة تقديم الأضاحي البشرية في السابق مشكوك فيها رغم إشارة النصوص الكتابية القديمة إليها، وأظهر علماء الآثار تحفظاً كبيراً فيما يخص هذا الموضوع إلى غاية 1921م بعد الكشف عن معبد صالمبو الذي يعد من أقدم المعابد القرطاجية، استخرجت من سطحه آلاف الجرات المملوءة ببقايا العظام البشرية، فأصبحت هذه الفرضية أكثر احتمالاً من ذي قبل، ويظهر أن القرطاجيين مارسوا هذه العادة لقرون طويلة في مدينتهم وتسربت بعد ذلك إلى مختلف المواقع التي بلغها التأثير البوني².

يبدو أن هذه العادة انتقلت من الشرق إلى الغرب، أي من صور إلى قرطاج مارسها الفينيقيون المهاجرون في بلاد المغرب منذ البداية فقد أدرج المؤرخ جوستيان نقلاً عن (يفصح نادية) انتحار الأميرة عليسا بعد طلب الملك الليبي هرباص يدها للزواج ضمن هذه التضحيات³.

تتم عملية تقديم القرابين البشرية داخل المعابد، فكان القرطاجيون يتوجهون إلى سيد المعبد إلههم الأعظم للتعبير عن مشاكلهم وانشغالاتهم ثم يعيدونه بتقديمه

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 343.

² شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 120-121.

³ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 45.

أضحية بشرية، وإذا استجاب الإله لطلب الداعي يقوم هذا الأخير بتنفيذ وعده فيقدم قربانا يوضع بعد حرقه داخل جرة تدفن فيما بعد في أرض المعبد¹.

كان القرطاجيون يعتبرون "التوفيت" (Tophet) مكان مقدس، تحفظ فيه الأواني الفخارية، التي تحتوي على عظام الأطفال أو الحيوانات الصغيرة المحروقة بعد تقديمهم قرابين للإلهين بعل حمون وتانيت وذلك طلباً لرعايتهم وتجنباً لغضبها* (الشكل رقم 15 ص 395).

وتجدر الإشارة هنا إلي أن التوفيت هو عبارة عن تسمية مأخوذة في الأساس من التوراة والتي تتحدث عن وجود مكان يدعي (تفت) في وادي حنون قرب القدس كانت تقدم فيه الأطفال كتضحيات قرابين إلي الآلهة في حين تم العثور عليها في كل من قرطاج وصقلية، قد حظيت مواقع التوفيت بعناية أهل قرطاجة وحرصهم الشديد فقد أحاطوها بسور تجنباً لحرقها، وكذلك تم الكشف عن واحدة بمدينة صبراته، تحتوي على ثلاثة مقابر².

وفي سياق آخر يمثل اندثار تقريب الأطفال في الساحل الفينيقي وانتشاره في العالم البوني نقطة خلاف مهمة بينهما*.

¹ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 224-226.

* للاطلاع أكثر على المسلات التي عثر عليها في مصر القديمة ينظر:

- H. GORRINGE (HENRY.), EGYPTIAN OBELISKS, PUBLISHED BY THE AUTOR, WAVERLEY PLACE, NEW YORK, pp. 119-146.

² الشاذلي بورونّية، المرجع السابق، ص ص 180-182.

* حيث يصعب تفسير هذا الموضوع لأنه عندما حاصر الإسكندر مدينة صور 333 ق.م طرحت مسألة العودة إلى تقديم الأضاحي، إلا أن مجلس الشيوخ رفض ذلك ما يدعو موقعه إلى التساؤل عما إذا كان اضمحلال هذه العادة نابع من قرار سياسي وإلا من تطور طبيعي، هذا مع العلم أن هذه العادة لم تندثر

وقد تعددت الآراء حول حقيقة ظاهرة التوفيت، فالتيار الأول يؤكد أن التوفيت كان موضعاً خصصه القرطاجيون لتقديم القرابين البشرية للآلهة ويستندون في ذلك على ما جاء في الكتابات الكلاسيكية وكذلك التنقيبات الأثرية، أما التيار الثاني فيفرض رفضاً قاطعاً صحة هذا الاتجاه ويعترض على ذلك مؤيداً رأييه بعدم تطرق المؤرخ هيردوتس لذكر هذه المظاهر بالرغم من أنه قد زار مدينة صور وتعرض للديانة لدى الفينيقيين، على هذا النحو يمكن القول أن تقديم القرابين البشرية كان عاملاً قائماً في قرطاجة، وكذلك صبراته، وهو يعبر عن حب وتقديس واحترام القرطاجيين لآلهتهم¹.

لقد ذكر المؤرخون الإغريق والرومان خبر تقريب الأطفال في المناطق البونية، حيث أثبتت الحفريات ذلك باكتشاف المعابد التي وضعت فيها مرمذات ملأت بعظام الأطفال الصغار أو الحيوانات، وخلدت النقائش هذه العادة².

ولقد احتوت بعض الوثائق المكتوبة على عبارات تدل على أن هذا النوع من الطقوس يسمى "م ل ك أ م ر" ذبيحة (ملك) خروف، أو "م ل ك ب ع ل" قربان عوضاً عن رضيع أو "م ل ك د م" قربان دموي³.

وقد تكون هذه الأضاحي فردية يقدمها الداعي للإله بعد أن استجاب لدعوته، فهي عملية أخذ وعطاء بين الطرفين، تزداد أهميتها كلما كانت استجابة الإله كبيرة

تماماً ذلك أن البعض من أبناء صور وصيدا المقيمين بقرطاجة قد حافظوا على هذا الطقس. ينظر: أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 209.

¹ عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 18.

² أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 208.

³ نفسه.

ومهمة، أو تكون جماعية خاصة في حالة المصائب والحروب أو في حالة الكوارث الطبيعية كالجفاف والزلازل أو عند حلول الأوبئة*.

2.1.3. القرابين الحيوانية

ذكر في الفصل الأول أن الإنسان المغاربي القديم تقرب من آلهته بالعديد من الحيوانات منها ما اعتبرت مقدسة مثل الثور والكباش، حيث عثر على بقايا من عظام الثور وبعض من أسنانه في العديد من المعالم الأثرية.

ولم تقتصر القرابين على الثيران والكباش، فقد عثر على بقايا عظمية لطيور مختلفة كالديوك واليما والحمائم أودعت في صحن فخارية وجدت داخل القبور أو بقربها وهو ما فسر على أنها كانت تقدم كقرابين للآلهة، وبقيت كذلك إلى الفترة الرومانية ففي منطقة باجة بتونس وقرب جيجل وكذا في نقاوس عثر على أواني فخارية ملأت بعظام الطيور، وظهرت اليمامة في كثير من النصب المقدمة لـ (تانيت) في معبدي ساتورن وتانيت كايستيس بين أيدي الكهنة¹.

ولم تقدم الحيوانات المستأنسة وحدها قربانا للآلهة، بل شمل ذلك حتى الحيوانات البرية التي عثر على بقاياها في العديد من المعالم الجنائزية، كبقايا عظام الثعلب بسيلا وبقايا عظام الإيل البري والسلحفاة ببني مسوس².

أما عن الصيغ النذرية التي خصت الاستبدال بالحيوان، فإنها تتمثل في مصطلح "ز ر م ا ش ن ذ ر"، فسرت التضحية بالحيوان³. (الشكل رقم 16 ص 396).

* لمزيد من الاطلاع ينظر: محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 164.

¹ البشير كيحل، المرجع السابق، ص 42.

² نفسه، ص 43.

³ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 347.

ووجد أسفل نحت نصب الإله (ساتورن) نص مكتوب باللاتينية يوضح استبدال الأضحية الآدمية بالحيوانية، والذي ينتهي بعبارة: "الدم بالدم، الحياة بالحياة، الروح بالروح"، لأن الطفل يشترك مع الحيوان في هذه الأشياء الثلاثة. (الشكل رقم 17 ص 396).

3.1.3. القرابين الغذائية

لم تكن الأضاحي البشرية وحدها مقدمة قرابين للآلهة بل قدمت حتى بواكير الفواكه والزيت والحلويات والحليب وهو ما عثر عليه في النصوص الأثرية¹. (الشكل رقم 18 ص 397).

وهي تستمد أصالتها من العادات المحلية، حيث كانت معرفة لدى سكان بلاد المغرب القديم قبل مجيء الفينيقيين إلى شمال إفريقيا واستمرت إلى وقت لاحق فقد خصصت قنوات وحفر صغيرة لإراقة السوائل المقدسة التي تقدم كقرابين، عثر عليها غالباً في الجنبات الشرقية لقبور الدولمن والحوانيت، وفي ذلك تشريف للكهنة أو الميت أو الآلهة².

2.3. الاحتفالات الدينية في تقديم القرابين

يبدو من خلال النصوص الأدبية القديمة والأبحاث الأثرية الحديثة أن عملية تقديم القرابين للآلهة كانت تتم داخل الفضاءات المقدسة، فقد أشار "الصقلي ديودور" (Sicile de Doidore) إلى وجود تمثال من البرونز داخل معبد قرطاجة يمثل الإله بعل حمون يتميز بيدين ممتدين وكفين منحنيين نوعاً ما نحو

¹ محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي...، ص ص 69-70.

² راجع لحسن، المرجع السابق، ص 273.

الأسفل يستلم الأطفال الأبرياء، ثم يلقي بهم في لهيب الأخدود المشتعل نارا على مقربة منه¹.

والطريقة التي كانت تتم بها هذه العملية وكما نقلها بعض المؤرخين المعاصرين عن "بلوتار خوس" (Plutarque)، فإنها كانت تتم في الليل تحت ضياء القمر ونار الجمر، فيبدأ الحفل بحضور جمع غفير من الناس يلتفون حول تمثال الإله ويتربون عملية تقديم الأضاحي، وكان من بينهم موسيقيون وراقصون يصدرون أصوتا رهيبة وأولياء الضحية الذين يحرم عليهم البكاء والتعبير عن ألمهم وحزنهم، فكان عليهم كبت شعورهم رغم الآسي والحزن اللذين يزرعهما هذا الموقف في نفوسهم، ثم تأتي اللحظة الحاسمة التي ينتظرها الجميع فيسلم الأولياء ابنهم للكهنة ليحمله بين ذراعيه ويتقدم بخطوات متثاقلة نحو الحفرة، يذبح الضحية بطريقة غامضة ثم يضعها بين يدي الإله المنحنيتين نحو الأسفل، فتندرج الضحية لتلقى داخل الحفرة الملتهبة نارا فتعلو أصوات الطبول والمزامير وتبدأ الرقصات المختلفة، فما تكاد الضحية تصل إلى حافة الحفرة حتى تزول كما تتبخر قطرة من الماء على صفيحة ساخنة، فيتصاعد دخان أبيض فرغم ذلك فإن شهية الإله لا تهدأ إنه يطلب دائما المزيد، فيكدسون الضحايا ويربطونها بسلسلة لتشدها، ويستمررون هكذا في تزويده بالضحايا أكثر فأكثر².

وقد أشارت (يفصح نادية) إلى إن هذا الوصف المريع قد أضر بالحقيقة التاريخية وبسمعة قرطاجة، فهو وصف لا يوجد إلا في خيال ديودور الصقلي

¹ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 53.

² عادل مصباح نصرات، المرجع السابق، ص 21.

وبلوتارخوس والمؤرخين المحدثين الذين ساروا على دربهم وساهموا في نشر اللوحة التي رسمها المؤرخون القدامى حول التضحية بالأطفال الصغار عند القرطاجيين مثل الأديب الفرنسي فلوبر جوستاف (J. Flaubert) صاحب رواية صالمبو الذي اجتهد كثيرا في اختيار الكلمات والتعابير التي تحمل الرعب والقسوة والتعطش لسفك الدماء، ووصفت القرطاجيين بالأنانية والجشع وغياب الرحمة في قلوبهم¹.

ثم أقرت باحتجاج بعض مؤرخي العصر الحديث من هذه السمعة السيئة التي كسبتها الحضارة القرطاجية والتي أفقدتها كثيرا من احترامها وثقة العالم بها ورأوا أن أصحاب النصوص الإغريقية واللاتينية الذين تناولوا هذا الموضوع قد عرفوا بعد أنهم للقرطاجيين، ووصفوا شهاداتهم بعدم الموضوعية، بدليل أنه لا توجد أية علاقة بين النصب النذرية، والجرات الفخارية المملوءة بعظام الأطفال الصغار، وبالتالي لابد من إعادة النظر في آلاف العظام التي كشف عنها في المعابد القرطاجية، واستبعاد أدلتهم غير المنطقية كذلك توخي الحذر عند العودة إلى المعلومات التي نقلتها إلينا المصادر الكتابية القديمة².

4. العمارة والطقوس الجنائزية

انتشرت عملية بناء الأضرحة نتيجة لوجود عادة عبادة الموتى (خاصة عبادة الملوك)، واعتقادهم وجود حياة أخرى بعد الممات، مما جعلهم يلجئون لبناء

¹ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 54.

² نفسه.

الأضرحة من الحجر وتقديم القرابين، إضافة إلى القيام بالطقوس الجنائزية (الخريطة 09 ص 409).

1.4. الأضرحة

ومن أهم الأضرحة التي شيدت في بلاد المغرب القديم استمدت أصولها الهندسية من الفن المعماري الإغريقي والفينيقي والمصري نجد: ضريح مدغاسن - دوق - صومعة الخروب - صبراته*.

حيث كشفت الأبحاث الأثرية في المنطقة عن عدد محدود من الأضرحة الملكية¹، سبق ذكرها وهي نوعين: هرمية وبرجية**، كانت قد بنيت لتقديس روح الملك، ورغم وجود بعض الأثاث الجنائزي في هذه الأضرحة إلا أنها لم تكن كافية لتقديم صورة عن طقوس ومراسيم عادات الدفن التي تعود إلى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد².

* تجدر الإشارة إلى استمرار تشييد الأضرحة في فترات لاحقة مثل: أضرحة جبل لخضر بالجدار بتيارت، والتي بلغ عددها 10- جاءت في مراجع أخرى 13 ضريح-، ويرجع تاريخ تشييدها إلى القرن الرابع ميلادي ومنتصف القرن الخامس. ينظر: خالد قلوّاز وآخرون، دراسة أثرية للأضرحة المورية في شمال إفريقيا (أضرحة جبل لخضر بالجدار - تيارت)، مجلة تاريخ العلوم، العدد 7، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مارس 2017، ص ص 241-249 أو رابح لحسن، المرجع السابق، ص ص 139-180.

¹ Rakob (Friedrich.), Die Numider, "Numidische Königsarchitektur in Nordafrika", Heinz Günter Horn und Christoph B. Rüger, Bonn, 1978-1979, pp. 119-171.

** الأضرحة الهرمية (البازينية) مثل: مدغاسن، الملكي الموريتاني، أما البرجية (مسلات) مثل: دوق، ضريح الخروب، صبراته.

² مها عيساوي، المرجع السابق، ص 320.

1.1.4. ضريح مدغاسن

يوجد مدغاسن على مقربة من مدينة باتنة شمال غربي الأوراس على متن هضبة مما جعله يتراءى من بعد يتوسط مقبرة فهو كزاوية الولي الصالح في القرى والأرياف، وكأن الذين دفنوا في القبور التي تحيط به كلهم ينتمون إلى دفينة بالقرابة أو بالتبعية ومعلوم أن مدغيس من أجداد البربر ذكر ابن خلدون اسمه ولعل في مدغاسن جمع مدغيس إشارة إلى ملك نوميدي أو أمير أقام هذا الضريح لرفاته ورفات أبنائه وأحفاده¹.

ولم يحظى هذا الضريح بكتابات المؤرخين القدماء الإغريق أو الرومان على حد سواء، وأولى الإشارات كانت من قبل البكري في القرن الحادي عشر حيث وصفه بأنه يشبه هضبة كبيرة وهو مبني من مادة الآجر المشوي، شيد في شكل كوات نوعا ما كبيرة وتم ربطها فيما بينها عن طريق الرصاص كما وجدت على المعلم صور آدمية وحيوانية².

والجدير بالذكر أن هندسة ضريح مدغاسن وعمارته تشكل مزيجا من العناصر الأجنبية فينيقية، إغريقية ومصرية والتقاليد البربرية القديمة، يتجلى التأثير الأجنبي على الخصوص في الأعمدة والتيجان ذات الطراز الدوري القديم، الكورنيش المنتهية بحلق مصرية والأبواب الوهمية على الطراز الفينيقي³، بينما

¹ محمد حسين فنطر، المدافن...، ص 193.

² Al Bakiri, Description de l' Afrique septentrionale, Alger, 1913, p. 107.

³ حيث لاحظ "كامبس" (Camps)، وجود ثلاث أبواب وهمية: وهي مستوحاة من الفينيقيين بحكم احتكاك النوميديين بثقافتهم، أما الدلالات الرمزية لها فهي ذات بعد ديني وجنائزي لها علاقة بالعالم الآخر وليس للزخرفة فقط. لمزيد من الاطلاع ينظر:

تظهر الأشكال المحلية بوضوح من خلال استمرار تشييد البازينيات ذات القاعدة الأسطوانية والتاج المخروطي وذات الدرجات التي تنتشر بكثرة في سفوح جبال الأطلس الصحراوي¹.

يبدو مدغاسن من الخارج وكأنه مشكل من قسمين: قاعدة أسطوانية، ارتفاعها أقل من خمسة أمتار، وطوق مشكل من الدّكات (Gradins) التي تعطي للمبنى شكلا مخروطيا، وعددها ثلاث وعشرين دكة، وبين الدّكة الثالثة والرابعة يوجد المدخل المؤدي إلى السلم الذي يؤدي بدوره إلى رواق طوله 17 مترا، وينتهي عند باب خشبي كبير للغرفة الجنائزية ذات 3,30م على 1,45/1,59م².

ويعد ضريح مدغاسن من خلال طرق بنائها وزخرفتها من المعالم الجنائزية (البازينيات المتطورة) التي لها أهمية كبيرة من حيث وظيفتها المتعلقة بتأدية الشعائر والطقوس الجنائزية³. (الشكل رقم 19 ص 398).

وهو يشترك مع الضريح الملكي الموريتاني في كثير من المعالم*، كالساحة الموجودة في الجهة الشرقية للضريح، والرواق الذي يقود إلى غرفة الأثاث الجنائزي.

-Camps (G.), Nouvelles observations sur l'architecture et l'âge du Medracen, mausolée royal de Numidie, C. R. A. i, 1973, pp. 470-517.

¹ رابح لحسن، المرجع السابق، ص ص 89-90.

² محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي...، ص 139.

³ Camps (G.), op-cit., p. 481.

* الضريح الملكي الموريتاني: يقع هذا الضريح على بعد 1.5 كلم شمال بلدية سيدي راشد، وحوالي 15 كلم جنوب شرق تيبازة، فهو يوجد على رأس إحدى مرتفعات الساحل يعلو سطح البحر بـ 261م، ويعتقد

2.1.4. ضريح دوقة

ينتصب الضريح على ربوة مرتفعة تهيمن على أعالي وادي دوقة وبمسافة تقدر بحوالي 900مترا شمال-غرب البقايا القديمة لموقع مدينة دوقة، حيث يمكن تحديد موقعها بأنه هو محطة "مسفي" (Mesphe) القديمة، والتي سجلت بالدليل الأنطونيني على مسافة تقدر بحوالي 40 ميل روماني* من مدينة لبدة الكبرى¹.

استمد الضريح طابعه المعماري من عدة حضارات، فيظهر هناك مزج معماري من أشكال إغريقية وشرقية ومصرية، من خلال الرسومات والنقوش المستعملة في المبنى الدالة على عتاقة الضريح².

يبلغ ارتفاع الضريح واحد وعشرون متراً، ويتكون من قاعدة مربعة ذات ثلاث طوابق وينتهي بقمة هرمية تعلوها رأس أسد الذي يمثل رمز شمس والعالم السماوي فكان بمثابة حارس هذا المعلم الجنائزي، ويرجع علماء الآثار أن تأسيسه يعود للقرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد بينما يقول "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) على أنه يعود إلى عام 150 ق.م، وقد استخدم في بنائه الحجر الجيري ويظهر الفن البونيقي بشكل واضح في رسم التماثيل كما ضم إلى ذلك الهندسة

أن ميلا قد كتب عن هذا الضريح في 40 من القرن 1م، بداية تسمية موريتانيا القيصرية وعاصمتها شرشال. ينظر: منير بوشناق، الضريح الملكي الموريتاني، تر: عبد الحميد حاجيات مديرية المتاحف والآثار والمباني التاريخية، الجزائر، 1979، ص ص 07-22. أو سفيان بوزراع، دراسة معمارية فنية مقارنة بين ضريح مدغاسن والضريح الملكي بتيبازة، دفاثر البحوث العلمية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، ص ص 137-140.

* 40 ميل روماني = 59.19216 كلم.

¹ فرانسيسكا بيجي وآخرون، ضريح قصر دوغه، تر: مفتاح أحمد الحداد، مجلة روافد المعرفة، العدد5، جامعة زيتونة، ترهونة، ليبيا، ماي 2019، ص86.

² البشير كيحل، المرجع السابق، ص134.

الليبية ولعل هذا الضريح كان من صنع مهندس قرطاجي وهو "أباريش بن عشتار" الذي ورد اسمه على الحجرين أحدهما كتب باللغة الليبية والثاني باللغة البونية اللذين وجدا بحطام الضريح¹. (الشكل رقم 20 ص 398).

وتجدر الإشارة أن مالك هذا الصرح الجنائزي قد استخدمه في التحالف والتبادل التجاري مع الرومان في وقت لاحق².

3.1.4. ضريح الملك ماسينيسا (صومعة الخروب)

يرتفع الضريح فوق هضبة صخرية غير مرتفعة، تشرف على العاصمة سيرتا ومدينة الخروب، تبعد الأولى بـ 14 كلم جنوب شرق، والثانية بـ 3 كلم غربا، ويعرف عند السكان المحليين بصومعة الخروب والتي تعني البرج، ويعود تاريخ بناؤه إلى ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد³.

من حيث الشكل الخارجي فالضريح بني بحجارة مصقولة ومنحوتة من كل جوانبها على قاعدة رباعية الشكل يبلغ طول الظلع منها 10.50 متر، أما الارتفاع الإجمالي للقاعدة يبلغ 2.35 متر، ويرتكز على هذه الكتلة الحجرية الطابق الأول للمبنى الذي لم يبق منه إلا أربعة أجزاء موضوعة في الزوايا، وقد زينت هذه الأجزاء بأقراص بارزة ترمز إلى الشمس، أما الطابق الثاني فهو عبارة عن مقصورة مكونة من مجموعة من الأعمدة الدورية، قد يكمن دورها في أنها

¹ اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص ص 218-220.

² فرانسيسكا بيجي وآخرون، المرجع السابق، ص 112.

³ اصطيفان اكصيل، ج6، المرجع السابق، ص 223.

أوتُ تماثالا أو عدة تماثيل للآلهة، أما الجزء العلوي للمبنى فقد تحطم لذلك حاول بعض الأثريين تجديد تصميم قمة الضريح انطلاقا من البقايا المعمارية المتناثرة¹. وينسب هذا الضريح إلى الملك ماسينيسا لوجود تماثيل من البرونز منصب في شبه غرفة في الطابق الثاني ومن المستحيل الوصول إلى القبر وهو دهليز محفور في الصخر شيد المعلم فوقه وكأنه غطاء له ولم يتمكن بونال (Bonnel) من التعرف على أي بناء خارجي يمكن أن يكون شبه مرفق لأداء طقوس العبادة²، والأمر الأكثر غرابة هو أن عددا كبيرا من المعالم الجنائزية البرونزية لها هياكل أو منصة لتقديم النذور³. (الشكل رقم 21 ص 399).

4.1.4. ضريح صبراته

كشفت الحفريات في سنة 1962م بمدينة صبراته عن انتشار الأضرحة منذ أيام اليونان، وقد ساهم في انتشارها عبادة الموتى وخاصة عند العائلات والشخصيات البارزة، حيث عثر على ضريح بونيقي يرجع تاريخ تشييده إلى ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، وهو من أهم الأمثلة عن العمارة الجنائزية التي عرفت بها بلاد المغرب القديم في أواخر التواجد الفينيقي بالمنطقة، وخاصة أنه

¹ البشير كيجل، المرجع السابق، ص 136.

² لمزيد من الاطلاع ينظر:

– Czarnetzki (Alfred.), Die Numider, "Das Königsgrab von Es Soumâa", op-cit. pp. 379–382.

³ غابريل كامبس، في أصول بلاد البربر (ماسينيسا أو بدايات التاريخ)، تر وتح: محمد العربي عقون، ط2، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012، ص 303.

يعتبر مزيجا في مميزاته المعمارية بين الشرق بما في ذلك التأثير الليبي وبين المؤثرات اليونانية ثم الرومانية في وقت لاحق¹.

يبلغ ارتفاع الضريح 18 مترا ويتألف من قاعدة مدرجة الشكل يبلغ ارتفاعها 3.20 متر يعلو هذه القاعدة ثلاثة أجزاء معمارية مقعرة كل واجهة مزينة بعمود أيوني كل جزء له تفاصيل معمارية تختلف عن الجزء الآخر، ويشاهد بالواجهة الشرقية وهي الواجهة الرئيسية للضريح باب وهمي لغرض الترميم يبدو أنه تقليدا مصريا*، ويتكون الجزء الأوسط الذي يلي الجزء الأول من واجهات الواجهة الشرقية تزدان بنقش للإله المصري بيس (Bes) ممسك بأسدين من أرجلها الخلفية، والواجهة الغربية تصور البطل هرقل يصارع أسد، والواجهة الأخيرة صور عليها منظر أسطوري غير واضح، وقد أثبت التنقيبات الأثرية وجود مقبرة تحتها². ومما تجدر ملاحظته أن هذا الضريح ليس الوحيد في مدينة صبراته بل أن الحفريات أظهرت معالم ضريح آخر من نفس الفترة يقع بموازاة الضريح الأول من

¹ محمد علي عيسى، مدينة صبراته...، ص 27.

* الباب الوهمي: هو تمثيل فني لباب يبدو وكأنه باب حقيقي، إلا أنه لا يعمل ويمكن أن يكون منحوتا في جدار أو رسم عليه، وهو من العناصر المعمارية الشائعة في المصاطب أو المقابر في مصر القديمة، واستمر حتى عصر روما القديمة، كما استعمل أيضا في التصميم الداخلي لكل المنازل والمقابر، وقد اعتقد المصريون القدماء أن الباب الوهمي كان عتبة بين عالم الأحياء وعالم الأموات ومن خلاله تستطيع روح المتوفى الدخول أو الخروج منه، وقد أستغل في النقش عليه صيغة القرابين. آية محمود نجيب إبراهيم عبد العليم، المرجع السابق، ص 513.

² لطيفة التوهامي اندش وخديجة مصطفى تيكعة، المرجع السابق، ص 535.

ناحية الجنوب، غير أنه وجد في حالة ليست جيدة، ومع هذا فإن اكتشافه له أهمية كبيرة¹. (الشكل رقم 22 ص 399).

2.4. المقابر والأثاث الجنائزي

في بداية الاستقرار الفينيقي ببلاد المغرب القديم فكر الفينيقيون في تخصيص أماكن خاصة لدفن جثث موتاهم، وقد كانت تلك الأماكن في بداية الأمر لا تبعد كثيرا عن الأحياء السكنية ثم تطورت فيما بعد فأصبحت توضع خارج أسوار المدينة، ومن جهة أخرى تختلف القبور عن بعضها البعض وفقا للمناطق الطبيعية التي وجدت بها، فقبور المناطق السهلية الرملية تكون أكثر عمقا من تلك التي حفرت في المناطق الجبلية.

جاء في قول (أندري جوليان شارل): "تدل الحفريات على أن الطقوس الجنائزية كانت مختلفة بحسب العصور وبحسب الطبقات الاجتماعية، لقد ظل الدفن معمول به مدة طويلة ولكن عادة إحراق الموتى التي لم تكن مجهولة من القرطاجيين انتشرت في القرن الرابع قبل الميلاد تحت تأثير اليونان ثم فرضت نفسها في آخر الأمر، أقدم القبور عبارة عن غرف فسيحة الأرجاء سد مداخلها بصفحة من الحجارة وبنيت أو نقرت في الصخرة في عمق يبلغ أمتاراً كثيرة، وكان الموتى يوضعون في توابيت من الحجر أو يمدد على الأرض مباشرة، ثم ظهرت بعد ذلك القبور الشبيهة بالآبار، أي أن غرفة أو عدة غرف منضدة كانت

¹ محمد علي عيسى، مدينة صبراته...، ص 30.

تفتح علي آبار يتجاوز عمقها أحياناً عشرين متر تسد بعد كل دفن، ولم تكن في الأول لتسع أكثر من جثة أو جثتين، ثم انتشرت عادة الدفن الجماعي¹.

وما يمكن فهمه من هذا القول أن الحفريات التي عرفتھا بلاد المغرب القديم تبين اختلاف الطقوس الجنائزية من فترة إلى أخرى باختلاف الطبقات الاجتماعية، لكن بقي الدفن هو الأساس مع التأثير بعادة الحرق من اليونان، ثم قدم أشكال الدفن التي تطورت في الفترات الموالية لدرجة أنها أصبحت شبيهة بالأضرحة، التي لها تحت الأرض سوى جزء واحد، ثم انتشار عادة الدفن الجماعي.

يضاف إلى ذلك استنتاج أنواع القبور، وعادات الدفن التي انتشرت في بلاد المغرب القديم خلال تلك الفترة ومنها: القبور البسيطة والقبور السردابية.

1.1.2.4. القبور البسيطة

وجدت في القرن الثامن قبل الميلاد مقابر على شكل خنادق بسيطة في شكل حفرة مبنية من الحجارة ومغطاة ببلاطة، حيث توضع الجثة في الداخل فوق الرمل، ثم امتازت فيما بين القرن الثامن والسادس قبل الميلاد بخصائص بدائية تتمثل في احتوائها على مدخل من الحجر، ذو حجم كبير هذا الأخير، عبارة عن باب يؤدي إلى الغرفة الجنائزية، تلك الغرفة التي تحتوي على كتل صخرية من الجوانب ومسقفة ببلاطة طويلة وكان الشكل العام للقبور القرطاجي مقبب، حيث توضع الجثة في قبر وتغطي ببلاطة، ثم تغمر بالتراب حتى يأخذ القبر شكله العادي (المقبب)².

¹ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 122.

² ليندة عثمان، المرجع السابق، ص 170.

2.1.2.4. القبور السردابية

في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد عرفت المقابر القرطاجية تطوراً واضحاً حيث أصبحت أكثر عمقاً لدرجة أنها سميت بالآبار، فبلغ أحياناً عشرين متراً ويؤدي كل بئر إلى حجرتين أو ثلاث تقع الواحدة منها فوق الأخرى، وتوضع الأجساد في داخلها على مقعد أو في ناووس بعد أن تلف بكفن، أو تُمدد في نعش مدهون باللون الأحمر، ولم يبق من هذه النعوش الخشبية في قرطاج سوى زخرفتها الحديدية ومقابضها وبعض القطع منها¹.

أما توجيه القبور كان يرتبط بوضعية الدفن، حيث أشار "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) إلى أن التوجيه لم يكن يخضع لأمر الطقوس، بل لوضعية الجنوب الغربي، بينما الاتجاه نحو الشمال الشرقي هو الذي لوحظ وجوده على جبل يونون، كما ذكر أن كل المداخل تقابل الجنوب الشرقي، أي تواجه البحر، وفي "سنت مونيك"، فإن الكهوف الأولى المحفورة في قعر الآبار تتجه للشرق، أي للبحر².

وكما ورد ذكره في قول (أندري جوليان شارل) أن المقابر كانت مقسمة إلى قسمين بحسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد القرطاجي، مقابر الأغنياء تمتاز بالحدائث، أما مقابر الفقراء فهي بسيطة³، ويعد الأثاث الجنائزي هو المؤشر لمعرفة مكانة الفرد الاجتماعية⁴.

¹ مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص ص 96-97.

² اصطيغان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص ص 315-316.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 122.

⁴ اصطيغان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 325.

وتجدر الإشارة إلى حرص الجرامنت على وضع شواهد ذات شكل معين، كما قد عثر على أمثلة متشابهة في قبور القرطاجيين (يقصد بها على شكل مسلة لا يزيد طولها عن المترين)، ومن أشكال الشواهد: شكل القرنين، التي من الممكن أنها تمثل الهلال وهي إحدى رموز تانيت، والشواهد ذات شكل الكف، والتي عرفت في القرن الثالث قبل الميلاد، فهو عبارة عن بلاطة حجرية ذات وضع قائم تستند عادة إلى جدار المقبرة وتقع دائماً وراءه موائد تقديم القرابين، وعادة ما يستخدم من الحجر ويبلغ طوله في المتوسط متراً واحداً وعرضه 60 سنتيمتراً، ويتكون هذا الطراز من ثلاثة أو أربعة أجزاء يقسمها مجريان أو ثلاثة مجار عمودية محفورة بإتقان في الشاهد، مما يفسر عن ثلاثة أو أربعة تقسيمات شبيهة بالأصابع البشرية، وهي إحدى رموز تانيت المقدسة كذلك¹.

أما (الراشدي فرج) فقد أرجع تاريخ ظهور هذا النوع من الشواهد إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وذلك من خلال ما عثر عليه في النماذج الأولى للأعمدة البونية، حيث يصور الرسم ذكراً أو أنثى رافعاً يده اليمنى محفوراً في تجويف مستطيل، وقد فسر هذا الرسم على أنه يصور كاهناً أو كاهنة أثناء الصلاة، وهو يظهر دائماً بنفس الشكل، أما الكفوف الجرامنتية فتبدو مختلفة اختلافاً كبيراً فمعظمها يتكون من أربعة أصابع وإن كان بعضها يتكون من ثلاثة، ولكن لا توجد من بينها كف واحدة بها خمسة أصابع، وإزاء هذا القدر الكبير من التباين في الحجم والشكل ينفي في حقيقة الأمر احتمال وجود أي قصد لتصوير كفوف بشرية على شواهد قبور الجرامنت².

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 177.

² فرج الراشدي، المرجع السابق، ص 104.

تم التعرض لأنواع الشواهد في الفصل الثاني -باستثناء الشواهد التي تأخذ شكل كف اليد-، حيث ذكر أن المصريين كانوا أول من شيّدوا شواهد على شكل مسلة ثم أثروا في غيرهم من الشعوب بإنتاج هذه الآثار أو اقتناؤها فقد آل الأمر بالفينيقيين إلى إقامة مسلات خاصة بهم وهي ذات حجم صغير.

2.2.4. الحرق*

يرى البعض أن الاختلافات في عمليات الدفن ترجع إلى تفاوت المستوى الاجتماعي للموتى ذلك أن الأغنياء منهم تحرق جثثهم، أما الفقراء فيدفنون وأنه لا علاقة بين ما يوضع مع الميت من حاجيات في مدفنه ووضعه المادي وأن ذلك مجرد شيء رمزي، ومع ذلك فإن نتائج الكشف عن المقابر الفينيقية في إقليم المدن الثلاث أسفرت عن وجود مقبرتين عثر بداخلهما على بقايا جثث محروقة وهما مقبرتا قصر الجلده ومدافن صبراته حيث أن تصميم الأخيرة وما ظهر على جدرانها من رسوم يدل على أهمية الأسرة التي ينتمي إليها صاحب المدفن وعلى أنه ربما كان على قدر كبير من الثراء، رغم عدم وجود أية أشياء ثمينة بداخلها أما بقية المقابر الفينيقية الأخرى التي عثر عليها في هذا الإقليم فقد وجد بداخلها جثث مدفونة ولم يعثر فيها على أية مجوهرات أو أشياء ثمينة، فضلا عن أن محتوياتها تكاد تبعث على الاعتقاد بأنها كانت قد أعدت للسكان العاديين من

* سبق التعرض لعادة الحرق والتحنيط والآثاث الجنائزي في الفصل الأول، غير أن تناولها في هذا الفصل بهدف دراسة مظاهر التأثير والتأثر بين السكان المحليين والفينيقيين على هذه العادات بعد مجيئهم إلى بلاد المغرب القديم.

عامة الشعب، وعليه أن الأدلة الأثرية أظهرت أن طقس الحرق كان في مقابر الأغنياء، والدفن في مقابر غيرهم من الناس العاديين¹.

ويبدو أن عادة حرق الأموات وحفظ رمادهم في وعاء داخل القبور قد سادت منذ القرن الرابع قبل الميلاد، حيث يتم تكفين الأجساد وحرقها أما الأولاد فيتم دفنهم في جرار واسعة من الفخار المشوي².

أما "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) فقد أقر بإلغاء عادة الحرق زمنًا طويلاً، ثم عاد للظهور بها في القرن الثالث قبل الميلاد³، وأن طقس الإحراق هو عادة مستجربة من الخارج⁴، ولا يستبعد أن يكونوا قد أخذوها من الفينيقيين بعد امتزاجهم بهم مثل غيرها من العادات الأخرى التقاليد⁵.

3.2.4. التحنيط

عرف الفينيقيين الاعتقاد في الحياة بعد الموت ويدل على ذلك وضع الحاجيات مع الميت في قبره، خاصة فيما يتعلق بالعقاب والثواب في المستقبل ربما كان له تأثير على الأخلاق واعتناق العقائد الفاسدة التي تحط من قدر الإنسان وتنزل به إلى الدرك الأسفل، ويبدو أن سلوكهم هذا كان بسبب التصور الغير واضح للحياة الثانية⁶.

¹ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 242-243.

² مادلين هورس ميادان، المرجع السابق، ص 97.

³ اصطيغان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 325.

⁴ نفسه، ج6، ص 154.

⁵ محمد الصغير غانم، سيرتنا النوميديّة...، ص 124.

⁶ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 244.

غير أن عدم اهتمام الفينيقيين بالحفاظ على الرفات الآدمي فإنهم مع ذلك لم يكونوا يهملونه، حيث يتم تحنيط الموتى ويستدل في ذلك ناووسان (مثنى التابوت الحجري) التي وجدت في مدفن "سانت مونيك" في قرطاج، ويرجع عهدهما إلى القرن الرابع قبل الميلاد.

وقد عثر على عدد من الموتى في توابيت من الرخام وهو دليل على أنها أسر ثرية، وكانوا مغمورين في طبقة من راتنج شجر الأرز وشمع البطم*، مخلوطة بالقطران ومعطرة بأوراق الزعتر والنعناع والحناء، -منه يستنتج النباتات التي عرفت بها المنطقة-، هذه الممارسات التي تزاولها بعض الشعوب القديمة والتي كانت تدهن جثة الميت بالشمع أو بالعسل لتبطئ التعفن، ووجد الراتنج في قعر التابوت بعد اضمحلال اللحم دليل على أن هذه المادة قد وضعت في البدن محل الأحشاء¹.

4.2.4. الأثاث الجنائزي

إن اعتقاد الإنسان بفكرة اصطحاب الميت لأدواته وحاجاته كمستلزمات الحياة اليومية مثل الأواني الفخارية والمزهاريات، والأقنعة التماث هذه الأخيرة التي تكون موجهة لحماية الميت وتدفع عنه الضرر من الأرواح الشريرة، كالرجال الذين يتحركون على الأرض فهم متعرضون إلى الخطر غير أن الأحجبة أو العون الإلهي تستطيع أن تحفظه منها².

* هي إفرازات تستخرج من جذوع النباتات، وتستخدم في أغراض كثيرة خاصة العطور والبخور في الشعائر الدينية والتحنيط.

¹ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 325.

² نفسه، ص 334.

ولقد كان سكان بلاد المغرب القديم يعتقدون أن الموت هو سفر لحياة أخرى، وحتى يسهل أقرباء الميت عنه عناء ذلك السفر، كانوا يزودونه بكل ما يحتاجه من الأثاث الجنائزي الذي غالباً ما كان يتمثل في الفخار المحلي والمستورد، وكذا الأواني الزجاجية والكؤوس، تمثل ذلك في ما اكتشف في قبور سيدي مسيد بقسنطينة، وحفريات القل التي قام بها الجنرال "هيلو" (Hélo) إضافة إلى ذلك هناك الكثير من المجوهرات والمزهريات ثم القطع النقدية، كانت قد اكتشفت في العديد من قبور الكدية بقسنطينة وتيديس ومناطق أخرى التي كانت تؤكد على ظاهرة الاهتمام بالأثاث الجنائزي¹.

وقد أقيمت للعبادة الجنائزية احتفالات دينية وتتمثل في: تنظيم المآدب على شرف الأموات، تقديم القرابين وإقامة التضحيات - سبق التفصيل فيها-، إراقة المشروبات، إضافة إلى التوجيه نحو الشرق والطواف، والنوم بجوار قبر الميت*.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية... ج3، ص 353.

* لمزيد من الاطلاع أكثر على الموضوع ينظر: رابح لحسن، المرجع السابق، ص ص 271-276.

خلاصة الفصل

- في البداية تجدر الإشارة إلى ندرة المادة المعرفية الأثرية التي تتناول الأحداث والوقائع التاريخية لبلاد المغرب القديم بعد تدمير قرطاجة 146 ق.م، وإحراق المؤلفات والكتب، يضاف إلى ذلك التغيرات المناخية، ووضع طبقات أبنية جديدة فوق القديمة تعود إلى فترة الحكم الروماني صعبت على الباحثين التعرف على الفترة السابقة للعهد الروماني، فظهرت دراسات اعتمدت على فرضيات وتخمينات تفنقر للدقة المعرفية.

- ومما يزيد في صعوبة عمل الباحث هو تداخل الأحداث التاريخية لمنطقة بلاد المغرب القديم خلال الفترة المدروسة في هذا الفصل، بداية بوصول الفينيقيين وإلى غاية سقوط قرطاجة، حيث حدث الامتزاج الديني نتيجة علاقة التأثير والتأثر بين السكان الأصليين، والوافدون من فينيقيين ومصريين والإغريق، بالإضافة إلى القرطاجيين والنوميد، وقبائل الجرامنت والمور.

- اختلف المؤرخون في رواية تأسيس قرطاجة، منهم من يرى أنها نتيجة لصراع القصر والمعبد، أما الرأي الثاني فيقر بالطابع الرسمي لها وذلك بقدم الملكة علسا.

- عبد الفينيقيون في الشرق آلهة كثيرة تعددت أسماءها بتعدد مدنهم، وكانت ديانتهم تتسم بالطابع الزراعي، فقد أولو الخصوبة عناية فائقة، وجعلوها محورا أساسيا لديانتهم، ويرجع ذلك إلى ارتباطهم الوثيق بالزراعة على اعتبارها مهنة رئيسية ومصدرا أوليا للعيش، وقد عرف الفينيقيين مجموعة من الآلهة أحاطوها بالقدسية وأولوها بالعناية والاحترام.

- من الملاحظ أن قرطاج قد عملت على احتواء ديانات المناطق المتاخمة لحدودها مما أضفى تعقيدا وتنوعا على الديانة القرطاجية، ويفسر لنا هذا الأمر كذلك مدى الانفتاح الآخر والاقتراس منها، والتأثير عليها والتأثر بها فكانت للتعددية الدينية أثرها الملموس وانعكاساتها الحية على الفكر القرطاجي تلك الفترة، فالآلهة التي تُعبد في مدينة لبدة، قد لا تكون الآلهة نفسها التي تُعبد في مدينة صبراتة، وهكذا في بقية المدن الأخرى، حيث كان لكل مدينة آلهتها الخاصة بها.
- هناك العديد من الأسباب التي أدت إلى التغيير في الآلهة، ومنها: انفصال قرطاج عن الوطن الأم، صراع القرطاجيين مع الإغريق عام 480 ق.م (معركة هميرا) انتشار الأفكار المصرية والليبية القديمة.
- من أهم التأثيرات المصرية على القرطاجيين هي الأساطير التي وصلت إلى بلاد المغرب القديم عن طريق الفينيقيين ومن أهمها: أسطورة بعل.
- نتج عن اندماج القرطاجيين والليبيين في حضارة واحدة إفراز حياة دينية جديدة مستوحاة من تقاليد فكرهما الديني احتلت فيها آلهة الخصوبة بعل حامون وتانيت السيادة الدينية، كما اشتركا في جميع التقاليد الدينية المترتبة بعبادتهما.
- جذب موضوع التوفيت وتقديم الأضاحي البشرية انتباه المؤرخين الإغريق وأنبياء إسرائيل باعتباره شعيرة بربرية يصعب فهم مغزاها أو الهدف منها، ولأزال غير واضح سبب انتشارها في الغرب الفينيقي.

- استمدت الأضرحة الجنائزية طابعها المعماري من عدة حضارات، فيظهر هناك مزج من أشكال إغريقية وشرقية ومصرية، ويستدل في ذلك من خلال الرسومات والنقوش الأثرية التي وجدت بها.
- يستنتج من وجود المعالم الجنائزية في بلاد المغرب القديم التي احتوت بداخلها على الأثاث الجنائزي، وزينت بعضها برموز آخروية، مما يؤكد أن ملوك بلاد المغرب القديم لم يكونوا بمعزل عن ملوك المناطق المجاورة، كما تدل على اعتقاد السكان بالحياة بعد الموت.
- أن طقوس ديانة سكان بلاد المغرب القديم قد كشفت عن العقائد الدينية والقيم الأخلاقية، والعادات والتقاليد الاجتماعية التي ظهر عليها التأثير الفينيقي، إضافة إلى وضعيات الدفن وبناء المعابد والأضرحة التي شيدت للملوك الكبار.
- تمسك الأهالي بمعبودات بونيقية، حتى بعد سقوط مركزها الحضاري المتمثل في قرطاجة (146 ق.م) على يد الرومان، ويظهر ذلك في نصبهم الجنائزية والنذرية من إشارات دينية كالهلال والمثلث، وغيرها من رموز الديانة الشرقية التي حافظوا عليها، يضاف إلى ذلك إخلاص الأهالي لمعتقداتهم التي ورثوها عن قرطاجة بتقديم لها الأضاحي والقربان.
- وفي وقت لاحق أصبحت وظائف الآلهة الرومانية استتساخا للآلهة البونية الإغريقية مع اختلاف في الأسماء لاسيما في مجال الخصب والأمومة، إضافة إلى تقديم النذور والقربان.

الفصل الرابع

الإله آمون والإلهة تانيت في بلاد
المغرب القديم (دراسة مقارنة من
خلال المصادر التاريخية)

الفصل الرابع: الإله آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم (دراسة مقارنة من خلال المصادر التاريخية)

تمهيد

أولاً: الإله آمون

ثانياً: الإلهة تانيت

ثالثاً: دراسة مقارنة بين آمون وتانيت في التأثير الديني

خلاصة الفصل

تمهيد

بحكم جغرافية بلاد المغرب القديم وقربها من العالم القديم تأثرت هذه المنطقة بمعتقدات المناطق المجاورة، وخاصة المصرية والفينيقية، حيث اندمجت فيما بينها وشكلت مجموعة من المعبودات منها ما هو محلي، وآخر أجنبي. وكان من بين هذه المعبودات الإلهين المتميزين الإله آمون والإلهة تانيت، حيث ارتبط هذا الإله في المقام الأول بالديانة المصرية والإلهة بالديانة الفينيقية، ونظراً للتفاعلات التاريخية والتبادلات الثقافية بين هذه الحضارات، هناك بعض أوجه التشابه وأوجه الاختلاف المثيرة للاهتمام التي يجب استكشافها ومقارنة تأثيرها على المنطقة.

أولاً: آمون

عرفت المعبود آمون انتشاراً كبيراً في ضفة غربي البحر الأبيض المتوسط وقد تضاربت الآراء حول أصوله ورموزها وأماكن عبادته. من خلال هذه الدراسة سيتم التطرق لبعض هذه الآراء والإشكاليات المتعلقة به وانتشاره في منطقة بلاد المغرب القديم، حيث أن الجانب الديني لهذه المنطقة كان محل اهتمام من طرف الباحثين بحكم أن المعبودات عرفت تمازج بين المحلي والأجنبي، وقد قدموا عدة أدلة وبراهين معتمدين في ذلك على المصادر الأجنبية والمخلفات الأثرية، ويرجع هذا الاختلاف لأهمية هذا المعبود وانتشارها في المنطقة التي لم تكتمل دراستها التاريخية الأثرية لتبقى الحقيقة معلقة بالاكتشافات الحديثة.

1. أساطير الإله آمون

سبق تعريف الأسطورة أن أصلها يوناني بمعنى القصة، لكن الأساطير كما نعرفها أكثر من مجرد قصص شعبية موروثة¹، فهي قصص لها دلالات خاصة بالحضارة التي أنتجتها، وفي كتاب "الإنجيل والأدب" لـ (نورثروب فرى) يعرف الأسطورة بأنها القصص التي تدل المجتمع إلى ما يجب أن يعلمه سواء عن آلهته، أو تاريخه أو قوانينه أو بنائه الطبقي، وتجدر الإشارة إلى أن الأساطير في عصور قبل الكتابة لم ينظر لها أصلاً، فهي نتاج كتاب القرنين التاسع عشر والعشرين².

وقبل التعرف على أساطير الإله آمون سيوة (الليبي)، نتعرف على قصة نشأة الخلق في طيبة وكيف خلق آمون مجموعة التاسوع*، وكيف كان عضواً في الثالوث** وثامون الأشمونين*.

¹ خيرة عماري، "الأسطورة أو الشذرات الأولى لسؤال الإنسان"، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد 9، العدد 1، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، الجزائر، ص 218.

² روبرت آرموار، آلهة مصر وأساطيرها، تر: مروة الفقى، مر: محمد بكر، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005، ص 12.

* تاسوع "Ennead of Heliopolis": أي تاسوع هليوبوليس العظيم، أتوم الإله الخالق، وابنائه شو وتقنوت ولديهما جب، ونوت ثم مجموعة الإخوة الأربعة أوزيريس وإيزيس، ست ونفتيس. مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 96.

** ثالوث "Triad": هو ظاهرة في الديانة المصرية القديمة، منها استمد المصري القديم روابط الأبوة والبنوة والزواج، وبين أربابه المتقاربين في الصفات وفي أماكن العبادة من حياته، فافترض وجود أسر إلهية ثلاثة تكونت -أغلبها- من أب وأم وابن، وتخيل لهم هياكل إنسانية، ولهم حياة تماثل حياة البشر تزواج فيها وتناسلوا، ووجدت مجموعات عديدة من المعبودات وآمون ضمن ثالوث في عصر الرعامسة ارتبط مع رع وبتاح (آمون، رع، بتاح)، ويستدل في ذلك على أناشيد الإله آمون التي تنتهي بـ: "اسمه خفي بوصفه آمون، وهو رع أمام البشر، وجسده بتاح، تبقى مدنهم الثلاث على الأرض إلى الأبد، طيبة وهيرابوليس ومنف على مر الزمن". لمزيد من الاطلاع على أنواع الثالوث في مصر ينظر: هبة عبد المنصف

وأما الإله آمون سيوة (الليبي) فقد ورد ذكره في قسم أساطير الآلهة الإغريقية*، حيث دارت عدة أساطير حول طبيعة هذا الإله يمكن تلخيصها في قول (البرغوثي عبد اللطيف محمود): [والأساطير التي تدور حول أصل الإله الليبي تقول أنه كان راعياً، وأنه أهدى عدداً كبيراً من المواشي للإله "ديونيسوس" (Dionysos)** فكافأه الأخير بأن أعطاه أرضاً في طيبة ورفعاه إلى مرتبة الآلهة، وتقول أسطورة أخرى أن "ديونيسوس" (Dionysos) أو هراكليس (Héracles) كان يعبر الصحراء الليبية في طريقه إلى الهند فاشتد به العطش مما دعاه إلى الاستغاثة بأبيه الإله زيوس فأرسل إليه كبشاً هو كبش آمون المقدس له على نبع

ناصف، الثالث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير في الآداب، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2000، ص ص 06-09.

* الثامون "Ogdoad": طبقاً لمذهب هرموبوليس حكم ثمانية آلهة قبل خلق العالم، وهؤلاء الآلهة كانوا تجسيدا قبل تكوينه، وهي: "نون" (Nun) و"نونت" (Naunet) زوجته ويرمزان للمياه الأرضية، و"ح" (Heh) و"ححت" (Hehet) ويرمزان إلى الفضاء اللانهائي، و"كك" (Kek) و"ككت" (Keket) ويرمزان للظلام، و"آمون" (Ammon) و"آمونت" (Amaunet) ويرمزان إلى الخفاء. لمزيد من الاطلاع ينظر:

- El Weshahy (Mofida.), and others, "study of the ogdoad scenes in Late period", n°15, EGYPT, 2012, pp. 133-150.

* الأساطير الإغريقية: تنقسم الأساطير الإغريقية إلى ثلاثة أقسام، أساطير سماوية التي تهتم بأعمال الآلهة وخلق الكون والبشر، وقد اتخذت من جبل الأولمبوس مقراً لها، أما القسم الآخر فهي أساطير أنصاف الآلهة، والأبطال وعلاقتهم مع الآلهة بجميع أنواعها كالتزاوج، وتعرف بالحكايات البطولية، أو الخرافات، والقسم الثالث هي الأسطورة التاريخية التي كانت في الأصل حدثاً تاريخياً ثم انتقلت إلى أسطورة بسبب المبالغة في الخيال والطرح القصصي، ولا يزال الجدل قائماً بين العلماء حول إعطاء تفسير مقنع للأساطير لذلك ظهرت عدة نظريات لتفسيرها. لمزيد من الاطلاع ينظر: فوزي عبد الله الكيلاني، المرجع السابق، ص ص 17-25.

** ديونيسوس (Dionysos): معبود إغريقي يحظى بالحب والاحترام داخل في بلاد اليونان وخارجها، وهو إله الخمر والعريضة، إله الأسرار والعالم السفلي. محمد رشدي، "مراكز عبادة ديونيسوس في مصر في العصرين البطلمي والروماني"، أعمال المؤتمر الثاني لاتحاد الأثريين العرب، القاهرة، 1999، ص ص 20-01.

ماء، وفي أسطورة ثالثة أن بعض الرعاة وجدوا في المنطقة بين قرطاجة وقورينا* طفلاً جالساً على الرمل وهو يضع على رأسه قرني كبش ويتفوه بالنبوءات وعندما رفعوه عن الرمل توقف عن الكلام فلما أعادوه إليه استأنف الكلام وهكذا ولما اختفى فجأة عرف الرعاة طبيعته الإلهية وبدوا يعبدونه باسم الإله زيوس آمون، وهناك أسطورة أخرى تشير إلى الإرشاد الإلهي وتتعلق برحلة الإسكندر إلى سيوة فقد وجد نفسه وجيشه بعد أيام من مغادرتهم الساحل وسط متاهة يستحيل عليهم الخروج منها، ولم يلبث مأوهم أن نفذ وكانوا يهلكون لولا أن تدخل عناية آمون الربانية فجعلت السماء تمطر عليهم ما يبيل ظمأهم ثم توجهت خطاهم حتى وصلوا سيوة وعادوا منها، وكان دليلهم في الحالتين زوج من الغربان وقليل من الأفاعي¹.

يضاف لها الأسطورة التي وردت عن "الصقلي ديودور" (Siculus)

(Doidorus) إن آمون كان ملكاً لليبيا أسطورياً وهو بذلك يدعم أصل آمون الليبي².

وجاء في تاريخ سيوة الذي ألفه شخص مجهول باللغة العربية قصة لأحد الحكام الذي فرض عقوبات على بعض أتباعه فهربوا إلى الصحراء وليس معهم إلا الزاد القليل الذي نفذ لهم، فرأوا كبشاً يركض مبتعداً بين التلال فساورا في أثره حتى وصلوا إلى مدينة مأهولة تحف بها البساتين والأشجار وتجري من تحتها

* قورينا: مستعمرة إغريقية تأسست في القرن السابع قبل الميلاد. ينظر: علي فرج علي غميص، قورينا وأثرها على القبائل الليبية (631-332 ق.م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم العلوم الاجتماعية، الأكاديمية الليبية، طرابلس، ليبيا، 2013، ص 45.

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 138-143.

² رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط4، منشورات قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003، ص 84.

الأنهار وكان وعاش هؤلاء غرباء فترة طويلة في تلك المدينة ثم عادوا إلى مصر وحاولوا أن يجدوا تلك الواحة مرة ثانية لكن دون جدوى¹.

فظهر الكش فيها دليلاً للمسافرين إنما هي واحدة من عدة قصص مشابهة لا بد أنها كانت متعددة في وقت قديم، وهي تدل على مدى عناية آمون الليبي إله التنبؤات في سيوة بالمسافرين في الصحراء.

وذكر هيرودوت رواية المصريين بشأن حكاية الكهنة التي جاء فيها أن الفينيقيين خطفوا امرأتين مقدستين من طيبة، وعلموا أن أحدهما بيعت في ليبيا والأخرى في اليونان².

2. التسمية والأصل

1.2. التسمية

ورد اسمه في متون الأهرام (رقم 446) مع زوجته أمونت باعتباره إلهاً أزلياً*، ولكن يبدو أنه ظهر بعد الأسرة الحادية عشرة كإله لمدينة طيبة، وفسر

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 143.

² هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 31.

* متون الأهرام: هي أقدم نص ديني دونه الإنسان على الإطلاق وهو أيضاً النبع الأول الذي فاضت منه كل صور الأدب الجنائزي في مصر القديمة، وكان أول تدوين له في عصر الأسرة الخامسة، ولم يعثر على أثر لها قبلها ومن الثابت أن منشأها هو هيراكليوبوليس بسبب الظلال القوية للعقيدة الشمسية على النصوص، وهي عبارة على مجموعة تعاويذ وصلوات وطقوس دينية مختلفة تم اختيارها بواسطة الكهنة ومن الملاحظ أنها تختلف من هرم إلى آخر، وفي نهاية الدولة القديمة كتبت هذه النصوص على جدران جحرة الدفن لكبار الموظفين، وخلال فترة الدولة الوسطى أضيفت لها فصول تعكس اندماج العقيدة الشمسية مع العقيدة الأوزيرية، والجديد أنها أصبحت تكتب على التوابيت وهو ما يعرف بمتون التوابيت، ومع حلول عصر الدولة الحديثة نسخت بعض هذه النصوص على لفائف البردي وزيدت بعدد من المدائح لتوضع على رأس المتوفي أو تحته لتساعده في رحلته للعالم الآخر، وهو ما يعرف بكتاب الموتى. لمزيد من الاطلاع ينظر:

المصريون اسمه بمعنى "الخفي" لأنه كان القوة المؤثرة في الريح الغير مرئية، حيث عبرت اللغة المصرية عن الفعل "imn" بمعنى (يخفي أو يختفي)، كما تعني كلمة "imn" صفة (الباطن)، (السر) أو (الغيب)¹.

ومما سبق يتضح أن كلمة "imn" قد استخدمت كصفة أيضا لتعطي معاني الخفاء، وبواطن الأشياء بصفة شمولية، وبذلك فقد عبرت عن عدم مادية الإله وعدم إدراك قدراته أو ماهيته الخفية، وتشير بذلك إلى أن المصريين القدماء قد أدركوا ما للإله من مقدرة خفية وما له من إحاطة بالوجود من حولهم دون أن يدركوا هم تلك الخاصية فمنح الإله ذلك الاسم الذي هو صفة له أكثر منه اسم على اعتبار أن تلك الكلمة "imn" ككلمة كانت متواجدة في اللغة المصرية ومستخدمة قبل أن تطلق على الإله (آمون)².

أو ربما أن هذا الاسم مشتق من اللغة البربرية الليبية "أمان" (aman) بمعنى "ماء"، فمن المعتقد أن آمون باعتباره إلها خالقا أزليا كان يعبد أساسا في هيئة إوزة*، كما أخذ شكلا آخر الذي مثل في كبش ذو قرون ملتوية إشارة إلى إله

-Hornung (Erik.), the Egyptian books of the afterlife, translated from the German by David Iorton, Cornell university press, London, 1997, pp. 08-14.

أو أنور محمود الزناتي، موسوعة تاريخ العالم (تاريخ مصر)، ج1، الكتب العربية، مصر، ص 26.

¹ محمد عبد اللطيف محمد علي، آمون في الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1970، ص 10.

² محمد عبد اللطيف محمد علي، المرجع السابق، ص 10.

* ظهر الإله (آمون) في المناظر المصورة فوق جدران المعابد في صورة خفية على هيئة (إوزة)، والتي ظهرت مسجلة فوق جدران المعابد ابتداء من الدولة الوسطى حتى الدولة الحديثة، واعتبرته النصوص هنا متساو مع الإله (جب) الخالق الأول الذي يمثل عنصر الأرض ويبدو أن ربط آمون بالإوزة يرجع في جوهره إلى مذهب طيبة حيث ذكرت متون المذهب أن الإله الخالق خرج من المياه الأزلية أعلى التل

الخصوبة، كما مثل على هيئة شعبان يحمل اسم "كيماتيف" (kimatef) بمعنى "هو الذي أتم وقته" وباعتباره إله العاصمة الطيبية، إضافة إلى الاعتقاد بأن هذا الإله هو الذي يختفي في جميع الأشياء باعتباره الروح (با) الكامنة لجميع الظواهر الطبيعية¹.

كما فسرت هيئة آمون التي اتخذ فيها مظهره رأس شعبان، لأنه يستطيع أن يغير جلده البالي وفي ذلك رمز لتجدد الحياة واستمراريتها وهو ما أدى إلى الربط بين آمون الإله المعبود المانح للحياة والذي يحيا للأبد وبين هيئة الشعبان الرامزة إلى الحياة واستمراريتها².

ومن خلال متن الأهرام (رقم 446) يمكن القول أن آمون قد جسد في عدة أشكال ورموز متعددة لكن الأشهر هو حيوان الكبش، وقد اختلف المؤرخون في أصله إن كان مصرياً أم ليبيا وهو ما سيتم التعرف عليه في دراسة أصله وأماكن عبادته بالاعتماد على الأدلة الأثرية والتاريخية.

2.2. الأصل (أوجه التشابه والاختلاف بين الأصل الليبي والمصري القديم)

سبقت الإشارة إلى أن سكان بلاد المغرب القديم قد عرفوا عبادة الكبش والدليل على ذلك ما خلفته الرسوم الصخرية المتواجدة في المنطقة، وعبادة

الأزلي في هيئة إوزة تصيح، وعند صياحها بدأ خلق العالم، وفيه إشارة إلى عملية خلق الإوزة للبيضة التي تحتوي عنصر الحياة والبعث. إيناس بهي الدين عبد النعيم، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكبش (منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة)، قسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، 2002، ص 131.

¹ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 57.

² إيناس بهي الدين عبد النعيم، المرجع السابق، ص ص 133-134.

المصريين كذلك له الأمر الذي طرح الإشكال حول أصوله هل هي محلية أم أجنبية مصرية جاءت للمنطقة بمجيء المصريين القدماء.

1.2.2. الأصل الليبي القديم

اعتمد مؤيدين رأي الأصل الليبي لآمون على مجموعة من الشواهد اللغوية والأثرية، بداية في معنى هذا الاسم كما سبق ذكره أن آمون اسم مشتق من اللغة البربرية الليبية "أمان" (aman) "ماء"¹.

فمن الناحية اللغوية يرى أصحاب الاختصاص أن حرف الميم هو مصدرياً عند المغاربة، فالماء اسمه "آمان" هذه حجة على الأصل الليبي لآمون².
ويساند هذا الرأي (دراز أحمد عبد الحليم)، بإشارته إلى أن عبادة آمون بهيئته المصرية التي كانت تعتبره إلها للإخصاب، بل واكتسب خصائص جديدة فصار عالماً بالغيب يستشير به التجار ورجال القوافل، هادياً للضالين بالصحراء راشداً إلى ينابيع المياه والآبار، وأصبح حامياً لسكان الواحات من بطش الإمبراطوريات التي تخمت وأصبحت تهدد المجاميع الصغيرة من الإمارات والممالك بالصحراء الكبرى، فكان الإله آمون بما له من قوة سحرية يثير الزوابع والرياح ويهلك الجيوش الجرارة كما فعل بجيش قمبيز الذي أرسله للاستيلاء على سيوة فهلك في الطريق³.

¹ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 57.

² الصالح بن سالم، "عبادة آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي"، كان التاريخية، العدد 30، مصر، ديسمبر 2015، ص 61.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 211.

أما الجرامنت قد انتقلت لهم عن طريق النسمونيين، وأن التحليل اللغوي للاسم (Garaman) يدل على أن جزءاً من ذلك الاسم يحوي اسم الإله أمان أو آمون¹.

حيث يقول هيرودوت: [أن النسمونيين وهم جيران الجرامنت وبنو عمومهم كانوا يعظمون الإله آمون فلا يستبعد أن تكون عبادة هذا الإله قد انتقلت إلى الجرامنت من النسمونيين ما لم يكن الجرامنت أنفسهم من عبده الأول]².

وقد اتخذ صورة برمز الكبش الذي يعلوه قرص الشمس*، ويعتبر القرنان تمثيلاً لعبادة القمر (الهلال)، كما صور آمون على هيئة رجل على رأسه قلنسوة مزينة بريشتين طويلتين وهو شعار عدد من القبائل الليبية القديمة³.

وهو ما يؤكد تمثال آمون الموجود في المتحف البريطاني المصنوع من الفضة والذهب، وهو مرتدياً تاجه المميز الذي يعلوه قرص الشمس وريشتان طويلتان⁴. (الشكل رقم 23 ص 400).

عثر على نقوش ورسومات مختلفة في مناطق متعددة لحيوان الكبش بأشكال عديدة خاصة رسوم الكبش الذي يحمل على رأسه دائرة، بالإضافة إلى زوائد أخرى مثل القلادة في الرقبة، ومثال ذلك الكبش "ذي هالة" (Bélier)

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 181.

² هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص ص 62-63.

* يفسر وجود رمز قرص الشمس بين قرني كبش الإله آمون بأهمية الشمس في حياة سكان الواحات، فقد اتخذوها شارة وضعت بين قرون الكبش. هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 60.

³ عبد المنعم المحجوب، عبدة آمون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات وأبحاث، المغرب، 2015، ص ص 09-10.

⁴ مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 57.

(Sphéroïde) أو كبش "بوعلام زناقة"، كما أنه كان مزود بقلائد وزوائد تضفي عليه هالة تعبدية لدى سكان بلاد المغرب القديم¹.

هذا الكبش الذي يمثل الإله الأكبر في تلك الفترة في زكار وعين الناقة بالجلفة ومنطقة أفلو شمال الأغواط وقرب قسنطينة في تسغنه وخنقة بوحجار، وتعتبر رسوم الجنوب الوهراني التي توجد على مسافة خمسة كيلومترات غرب دائرة بوعالم بالبيض أحسن الرسوم وأكثرها وضوحاً، حيث يظهر الكبش وهو يحمل على ظهره سرج مزين وحلية عريضة على العنق وفوق الرأس قبعة دائرية تمثل قرص الشمس المقدس².

ويقول (هنري باسيه) نقلاً عن (بل الفريد): [إذا كان القرطاجيون الأولون قد وجدوا عند البربر إلهاً محلياً هو الإله آمون، وهو إله كبش...]³. ويستنتج من هذا القول أن القرطاجيون قد وجدوا تشابهاً بين معبودهم ومعبود سكان بلاد المغرب القديم الذي اتخذ هيئة كبش.

كما سبق ذكره قول "الصقلي ديودور" (Siculus Doidorus) في الأساطير أن آمون كان ملكاً ليبياً أسطورياً، إضافة إلى أن عدداً من الكتاب الكلاسيكيين يشيرون بوضوح إلى أصله الليبي⁴.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، ج3، ص 303.

² البشير كيحل، "المقدسات والمعابد الطبيعية لدى الإنسان المغاربي القديم"، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 09، جامعة تيارت، الجزائر، 2016، ص 35.

³ الفريد بل، المرجع السابق، ص 57.

⁴ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 138.

بينما يرى هيرودوت نقلا عن (عولمي الربيع) أن إله سيوة من طيبة بمصر -ويلحظ أن القصة نفسها من طيبة أيضا- وأن موحى هذا الإله في سيوة إنما أسسته امرأة¹.

وعند استيلاء المصريون على واحة سيوة اتخذوا هذه الحقيقة بحماس شديد لأن الحيوان المقدس لإلههم آمون طيبة كان كبشا أيضا، وهذا التوافق يؤدي إلى تعزيز الروابط بين الإلهين الليبي والمصري، كما تشير بعض النصوص القديمة إلى أي حد كان الإله آمون شعبيا فيما بين السرتين (السرت الصغير والسرت الكبير)، حيث أن مناطق كثيرة كانت تحمل اسمه واحتفظت به فيما بعد، فآمون لم يتشخص فيها -على غرار ما حدث في غيرها- في إله بوني ولا في إله لاتيني².

كما أورد "باصي روني" (Basset René) الرسوم التي عثر عليها ببوعالم في الجنوب الوهراني، تمثل خرافا ذوات رؤوس تعلوها تسريحة، على هيئة قرص شمسي الذي يؤكد الخطأ في اعتباره النموذج الأصلي لآمون المصري، بل ويقترّب على الأرجح من الرسوم التي وجدت غرب فزان³.

هذا الرأي الذي يؤيده (عمران عبد الحميد) حيث قدم معطيات قارن فيها النقوش الصخرية لكبش "آمون الليبي" التي تعد أقدم من كبش "آمون المصري" وتتمثل المعطيات في:

¹ الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 112.

² نفسه، ص 113.

³ روني باصي، أبحاث في دين الأمازيغ، تر: حمو بوشخار، ط1، دفاتر وجهة نظر، 2012، ص 41.

- تماثيل الكباش أو التي تنتهي برأس كبش، الموجودة في "تمنيط" (إقليم توات) و"تازروك" (الهقار) تصنف ضمن العبادات الليبية التي يؤرخ لها ما بين 9500 و7500 ق.م.

- أن الكبش المعبود في منطقة الطوارق هو انتقالي بين العنزة والكبش، ويرجع ذلك زمنيا إلى الفترة ما بين 9500-7500 ق.م.¹

إضافة إلى قول (حارش محمد الهادي): [إن خصوبة وادي النيل كانت وراء جذب المغاربة نحو مصر من جهة، كما كان للتصحّر الذي بدأ ينتاب المناطق الجنوبية للمغرب الدور الحاسم في دفع السكان للهجرة ومن بين الهجرات كانت باتجاه مصر وهذا دليل على نقلهم لمعتقداتهم وعباداتهم من بينها عبادة الكباش]². وما يفهم من هذا القول أن التغيرات المناخية كانت سبب في نقل المعتقدات الدينية والمساهمة في الامتزاج الديني بين المنطقتين.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة انتماء رسوم ونقوش المنطقة إلى أوائل العصر الحجري الحديث أي أنها أقدم من انتشار عبادة "آمون" في مصر بحوالي ثلاثة آلاف سنة، كما تم العثور على صلاية تعود إلى فجر التاريخ (3200-3500 ق.م) توضح أن المصريين كانوا يجلبون الثيران والكبش وشجيرات الزيتون من بلاد اللوبيين³.

¹ محمد الهادي حارش، "أصول عبادة آمون في المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية"، العدد 4، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988، ص ص 14-15.

² محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص...، ص ص 25-28.

³ البشير كيحل، الحضور الديني...، ص 66.

وبأن بلاد المغرب القديم كانت معبراً للتجارة والشعوب بين شرق إفريقيا وغربها، وبين شمالها وجنوبها فإنها كانت كذلك معبراً للثقافات الدينية بين البلاد الواقعة حولها، فمن الممكن أن الإله آمون أصله الأول ليبي وصل إلى مصر مع المهاجرين الليبيين الأوائل الذين نزحوا إلى وادي النيل في عهد (ما قبل الأسرات)¹.

وفي الفترة التي سبقت عهد (ما قبل الأسرات) في مصر، عثر على نقوش لتلك الفترة تصور ثوراً يحمل بين قرنيه قرص شمس كما صور قرص الشمس على أحد الأواني من حضارة "جزرة"^{*} التي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ، وما من شك في أن عدداً من الآلهة الليبية تبناها سكان الدلتا الغربية في مصر وصارت آلهة مصرية في عهد ملوك الأسرة الأولى، وإن كانت عبادته لم تظهر أكثر إلا خلال عصر الدولة الوسطى، كما يلاحظ أن عبادة الشمس تميزت بالانتشار عبر كافة بلاد المغرب القديم².

حيث يذهب "ج. جرمان" (G. Germain) إلى أن رسوم الجنوب الوهراني ليست لآمون طيبة لأنه كان في طور الميلاد فهو لم يظهر حسب رأي (فلامان) إلا ابتداء من عهد الدولة الوسطى³، إذ أن كتابات الدولة القديمة لا تشير إليه إلا نادراً، وهو ما يؤكد (ماسبيرو) بأنه لم يجد من كل النصب التذكارية للأسرات الست الأولى اسم آمون إلا مرة واحدة، وفي نفس الاتجاه يرجع كل من (هـ).

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 180.

^{*} حضارة جزرة: تعرف باسم نقادة الثانية.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص ص 65-67.

³ محمد الهادي حارش، أصول عبادة آمون...، ص 16.

بروي) و(هـ. لوت) رسوم الكباش بقرص الشمس في الجنوب الوهراني، وفي الطاسيلي إلى فترة سابقة للإله آمون الذي لم يظهر في مصر إلا في فترة متأخرة فقط¹.

أما (م. لوغلي) فيرى في الآثار التي وجدت في الصحراء أصالة وحضارة قائمة بحد ذاتها مؤثرة ومتأثرة كغيرها من الحضارات الأخرى، وقد ميز بين صنفين من "آلهة الكباش" وجدت في مصر الأولى في عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة الوسطى بمواصفات محددة (ذيل طويل، يكسوها شعر طويل وليس بها صوف، قرونها عمودية مع محور أجسامها، ومعقوفة بشكل حلزوني)، أما مميزات آمون المصري فهي (قرون أكثر سمكا، يكسو أجسامها صوف، ذات ذيل سمين)².

ومن جانب آخر أشارت الأساطير الإغريقية التي تم تعرض لها في ما سبق إلى الأصل الليبي للإله آمون³.

يشير "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) أنه لا يوجد أي دافع يجعلنا نؤكد على أن هناك تشابه بين الكباش الصحراوي وآمون طيبة ولا يمكن أن يكون منحدر منه أو العكس أي أن آمون طيبة منحدر من الكباش الصحراوي⁴.

¹ عبد الرحمن خلفه، المرجع السابق، ص 180.

² محمد الصالح أنور زموشي، المرجع السابق، ص 48.

³ محمد علي أبو شحمة، "المعتقدات الدينية الليبية القديمة"، مجلة كلية الآداب، العدد 1، جامعة مصراته، ليبيا، ص 356.

⁴ Gsell (st.), H.A.A.N. T,6, pp. 127-128.

والمعروف تاريخيا أن الإله "رع" -معتقد الشمس- كان الإله الأعلى في مصر خلال عهد الدولة القديمة*، ونتيجة انتقال مقر الحكم من منف إلى طيبة التي كان "آمون" الإله الإقليمي لها، بحيث حدث امتزاج بين "آمون" إله طيبة الذي دخل إليها من المنطقة الغربية و"رع" إله الدولة القديمة فظهر "آمون-رع"¹، وكان "آمون طيبة" المصرية في الأصل إلها كبشيا أي أنه يجمع بين الكبش والشمس، كما أن طبيعة الرسومات تختلف بين مصر وبلاد المغرب القديم وخاصة كبش "بوعلام زناقة"².

وكان معتقد الشمس في مصر "رع" واضح المعالم في مصر القديمة وهذا لم يمنع من حصول بعض اللبس بينه وبين الإله آمون الذي يرمز إليه بحيوان الكبش (في فترة متأخرة) فاعتقد بعضهم أن "آمون" هو إله الشمس وتوحد بذلك مع الطبيعة المشتركة بين الاثنين واعتبرته النصوص بمعبد الأقصر المعبود الذي تتجسد فيه أرواح الآلهة جميعا ثم توحد مع "آمون سيوة" والذي عبرت النصوص عن هيمنته على مقاليد الخلق، ويقوم بدور منح الحياة للملوك والبشر³.

كما أنه لا يوجد من الأدلة الأثرية المصرية ما يثبت أن الإلهين صار إلها واحدا في وقت من الأوقات خصوصا وأن الإغريق حاولوا ربط الإله آمون بالأساطير

* رع (RE): أهم الأسماء وأكثرها شيوعا لإله الشمس، وقد ضم إلى آلهة كثيرة أخرى، عبد على أنه خالق العالم ويقطع قاربه السماء في النهار والعالم الآخر في الليل، كانت هيراكليوبوليس مركز عبادته منذ أقدم العصور. إريك هورنونج، وادي الملوك أفق الأبدية (العالم الآخر لدى قدماء المصريين)، تر: محمد العزب موسى، مر: محمود ماهر طه، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996، ص 356.

¹ محمد الصالح أنور زموشي، المرجع السابق، ص 49.

² Gsell (st.), H.A.A.N. T, 6, p. 128.

³ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص ص 64-65.

الإغريقية ومقارنته بالإله زيوس، الذي أطلقوا عليه اسم زيوس آمون، أما الإله المصري فيعرفونه باسم آمون طيبة، وهذا ما يذكره هيرودوت في حديثه على الليبيين أن سكان المنطقة الواقعة في الجزء الغربي من الدلتا كانوا غير راضين عن الضرائب المفروضة عليهم ويلجؤوا إلى معبد آمون في واحة سيوة¹، وقد أطلقوا على معابد آمون اسم "الأمونيات" (Ammoniakos)* التي شهدت انتشارا واسعا في القرن الخامس ق.م في معظم مدن الساحل والصحراء وواحاتهما².

ويؤيد هيرودوت في كتاباته الفرق بين الإله الليبي (زيوس آمون)، والإله المصري (زيوس طيبة) حيث يظن أن أتباع زيوس في سيوة سمو إلههم زيوس آمون تأثرا بالتقليد المصري في تسمية إله طيبة زيوس آمون، حيث أن قمباز الثالث الفارسي أرسل حملة ضد زيوس آمون الليبي وأتباعه في سيوة للقضاء عليه بهدم معبده بها واسترقاق أتباعه، بينما لم يتعرض أبدا للإله آمون المصري في طيبة، وهذا التمييز في المعاملة له مغزى في الدلالة على الاختلاف بين الإلهين وإذا صح افتراض المؤرخين أن سيوة لم تتبع لمصر إلا منذ القرن السادس قبل الميلاد فإن من المشكوك فيه أن يصبح إله جديد قدم إليها مع الفاتحين ذا شهرة عظيمة واسعة مثل الشهرة التي كان يتمتع بها الإله زيوس آمون الليبي³.

¹ هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 31.

* الأمونيون: مجموعة بشرية أمازيغية تنسب إلى معبودهم آمون، والمقصود بهم سكان واحة سيوة، أما "الأمونيات" (Ammoniakos) هي التسمية الإغريقية لمعابد آمون. نفسه، ص 60.

² عبد المنعم المحجوب، عبدة آمون...، ص 08.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 139.

إضافة لهذا الطرح فمن الممكن أن تكون عبادة آمون الليبي بمصر تعززت أكثر بعد استيلاء الملك الفارسي قمبيز على معبد آمون طيبة بمصر، إذ لجأ أتباعه إلى واحة سيوة، حيث قام معبد سيوة بالترويج لهزيمة قمبيز ونهايته، فأعد قمبيز جيشاً لأجل الهجوم على الواحة إلى أن هذا الجيش الزوابع الرملية في الطريق قبل وصوله إلى سيوة¹.

نظراً لأحداث أسطورة قمبيز وسقوط طيبة ومعابدها يستنتج أن المصريين ربما تأثروا نتيجة لهذا بآمون أكثر فأكثر، مما ساعد على انتشار عبادته بشدة في القرن الخامس قبل الميلاد بين الشعوب المصرية ككل حتى أن الإغريق قد تبناوا عبادته تحت اسم زيوس - آمون².

عند فتح الإسكندر الأكبر* لمصر عام 332 ق.م، وبعد ثلاثة أشهر من وصوله لمصر زار معبد آمون في واحة سيوة لكي يستشير، ولقد وجد القبول والاعتراف به من جانب المصريين، وأهم من ذلك من جانب الكهنة المصريين باعتباره ابن آمون، وعلى ذلك فقد أصبح الحاكم الحقيقي لمصر، ومنذ ذلك الحين

¹ محمد علي أبوشحمة، المرجع السابق، ص 357.

² عز سعد محمد سلطان، المرجع السابق، ص 63.

* الإسكندر الأكبر: قائداً سياسياً ماهراً بقدر ما نبغ في حسن معاملة الناس وكسب ودهم، زار معبد الإله بتاح وقدم القرابين للآلهة، ويقال أنه نصب فرعوناً حسب التقاليد الدينية المصرية، بعد ذلك أقام مهرجاناً موسيقياً رياضياً حسب التقاليد اليونانية، اشترك فيه عدد من أشهر الفنانين والممثلين في بلاد الإغريق، ولاشك أن مثل هذا المهرجان كان يخدم غرضين في وقت واحد، أولاً هو بمثابة ترفيه كان جنوده بعد تعب المعارك، وثانياً عرض أمام المصريين لجانب من الحضارة اليونانية التي خرج الإسكندر يبشر بها ويقدمها للشرق. مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999، ص 19.

أصبح الإسكندر يصور على العملة المعدنية بشكل خاص مرتدياً قرون الكبش المميزة لآمون¹.

وقدم هيرودوت في هذا الموضوع آراء مجموعة من الباحثين، ومنهم "باتس" (Bates) و"جزال" (Gsell) وغيرهم، وقد توصل من طرحها إلى أن الرب آمون أصله صحراوي قبل أن يكون مصرياً وخاصة أن شارة رأس الكبش التي ترمز للرب آمون توجد في النقوش الصخرية التي تعتبر أقدم من المنحوتات الفرعونية، مما يوحي بأن أصل آمون لبيي صحراوي وبالتالي فإن آمون طيبة فرع منه².

وعلى هذا الأساس فإن آمون الليبي (السيوي) كان يختلف عن آمون المصري (الطيبي) في أن الأول كان إله للنبوات والوحي، بينما كان الثاني إلهاً للإخصاب والحصاد قبل أن يُجعل كبيراً للآلهة باسم (آمون-رع)، والذي تعبر عنهما الشمس معاً، والرياح كذلك، وقد كانت رياح آمون الطيبي جالبة للسحاب وهادية للقوارب والسفن بينما كانت رياح آمون السيوي جافة وحارقة، كما سبق ذكره أن الحديث عن الإلهين بشكل منفصل كان ابتداءً من القرن الخامس قبل الميلاد، وذلك بعد أن تمكن رمسيس الثالث من التحكم في الواحات الغربية³ (الخريطة رقم 06 ص 407)، وبصفة خاصة في واحة سيوة، حيث كانت عبادة إله طيبة آمون منتشرة حتى وصلت تدريجياً إقليم طرابلس على طول البقاع

¹ عز سعد محمد سلطان، المرجع السابق، ص 63.

² هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 60.

³ الواحات الغربية: يقصد بها واحات الرئيسية الخمسة الخارجة والداخلية، البحرية والفرافرة، وسيوة. أحمد فخري، واحات مصر...، ص 27.

الجافة، وما يمكن ملاحظته انتقال صورة آمون من الغرب بشكل جديد تظهر عليها البيئة الصحراوية المختلفة عن بيئة وادي النيل¹.

وقد لخص (محجوب عبد المنعم) العلاقة بينهما من خلال مخطط². (الشكل رقم 24 ص 400).

وفي الحديث عن هيئة الإله الليبي يقول (أوريك بيتس): "من المهم أن نلاحظ حالياً أن هذا الإله لم يكن مشخصاً في أعين أتباعه تشخيصاً بشرياً ولا حيوانياً"، وما يفهم من هذا الحديث أن آمون لم يشخص تشخيصاً بشرياً أو حيوانياً في أعين أتباعه؛ إذ كانت أجوبة آمون تنقل للمستفسرين بطريقة مشابهة للطريقة التي كان الليبيون يتبعونها عند الاستعانة بأسلافهم لاستطلاع المستقبل والأحلام التي كانت تعد وحياً، وقد كانت الاستشارة تتم في سيوة* تتم بحمل رمز الإله في موكب يطوف به حدائق النخيل المجاورة لمعبده، وفي هذا الموكب ثمانون من الكهنة يحملون على أكتافهم مركباً ذا ثلاث صوارٍ، ويزين المركب بصحاف فضية تتدلى من حافة المركب العليا ويزين تمثال الإله بالحجارة الكريمة، ويسير خلف حملة المركب موكب طويل من العذارى والعقائل وهن يرتلن ترانيم غريبة من أجل كسب رضا الإله وإقناعه بإعطاء مستشيريه جواباً مرضياً عن استفساراتهم³.

¹ جيهان ديزانج، "البربر الأصليون"...، ص 441.

² عبد المنعم المحجوب، عبدة آمون...، ص 08.

* تعد واحة سيوة أو واحة الرب آمون مهبط وحي آمون، وما يميزها عن غيرها توفر العديد من الينابيع بعضها دافئ وآخر بارد، هذا فضلاً على توفرها على بحيرات عديدة، أما اسم نبع الشمس فمن الممكن أن هذا الاسم له علاقة بالشمس الموجودة بين قرني كبش الرب آمون. هيروdot، أحاديث هيروdot عن الليبيين...، ص 60.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 140.

ولهذا السبب اشتهر آمون كأسلافه الذين عرف عنهم التطلع إلى المستقبل، فأصبح متخصصا في الوحي هو الآخر.

وحسب رأي (أوريك بيتس) أن آمون الليبي كان كبشاً، وعند استيلاء المصريين على سيوة كان الحيوان المقدس لإلههم آمون طيبة كان كبشاً أيضاً هذا التوافق أدى إلى تعزيز الروابط بين الإلهين، هذا الرأي الذي يؤيده (غانم محمد الصغير) حيث وجدت له صور في الرسوم الصخرية الجزائرية¹.

في المقابل يشكك (البرغوثي عبد اللطيف محمود) في تقديس أتباع آمون الليبي للكبش المقدس لدى المصريين إنما جاء نتيجة للأساليب والمؤثرات المصرية، ولكن بيئة المنطقة تؤدي إلى أن الكبش من الحيوانات المقدسة البارزة لدى الليبيين أي تقديسه نتيجة دوافع أصيلة لا علاقة له بتقديس المصريين للحيوان ذاته، ثم أقر بصعوبة تفسير كيفية ارتباط تقديس هذا الحيوان بآمون سيوة الذي تعتبر عبادته مرحلة من مراحل عبادة الكبش الإله، وما يؤيد وجهة النظر هذه أن عبادته لم تكن شائعة في ليبيا فقط بل في جميع أنحاء الشمال الإفريقي².

ومن المعروف أن الكبش كان من الحيوانات المقدسة البارزة في شمال إفريقيا، ومنها الخروف البري "الودان"، المعروف بقوته ورشاقتة وصعوبة الوصول إلى الأماكن الجبلية التي يرتادها، فكان في نظر السكان المحليين محل تقديس واحترام³.

¹ محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، ج1، ص 408.

² عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 141.

³ محمد علي أبوشحمة، المرجع السابق، ص 359.

وعن شكل إله سيوة، فمن الملاحظ أن هذا الإله لم يحافظ على صورته مع مرور الزمن، فهذا الباحث الفرنسي "دارسي" (Daressy) نقلاً عن (العقون أم الخير) قد تعرف على صورته من ضمن ثلاثة تماثيل عثر عليها في الكرنك، وكان مكتوباً على قاعدتها "آمون الليبي"، وقال بأنه قد كان له شكل خاص غير مميز وغير واضح¹.

وقد اكتشف بمنطقة خروبة نقش بطول متر تقريباً، يصور رجلاً بشعر طويل وتتسدل ضفيرة على ظهره وله لحية، وعلى ذراعه وشم ويرتدي حزام جراب العورة، وظهر خلفه كبش يحمل فوق رأسه ما يشبه القرص، ويحيط بالقرص ما يشبه الشعر أو الريش وعلى رقبة الحيوان شيء يشبه القلادة، كما وجد نقش آخر في منطقة فجة الخيل قرب قسنطينة يمثل كبشاً، غير أن العمل لم ينفذ بشكل دقيق فقد صور الحيوان بشكل هزيل يشبه كلاب الصيد، ويحمل الحيوان فوق رأسه قرصاً مشعاً، كما يظهر ما يشبه القلادة على الرقبة، إن هذه القلادة وجد ما يشبهها في تماثيل "Terracotta" (التراكوتا) التي تعود إلى العصر الكلاسيكي²، وتصور كبش آمون الليبي، ومن مراجعة الانطباع الأول حول القلادة والنظر بدقة إلى الصور المنقوشة يتبين أن الكبش يرتدي ما يشبه زي الحرب الليبي الذي صور على الآثار المصرية³.

¹ أم الخير العقون، المصادر الدينية...، ص ص 169-170.

² زياد سهلوب ورحاب أبو عباس، آثار العصور الكلاسيكية الإغريقية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1997-1998، ص 09.

³ محمد علي أبوشحمة، المرجع السابق، ص 359.

وعرف الإله بألقاب كثيرة: الأب، المعين، نبي الغرامنت، ذو القرنين، عالي المقام، المرعد، سيد الأولمب، وهذا اللقب الأخير أطلقه الشاعر (بنداروس)* في قصيدة أرسلها إلى كهنة آمون في سيوة قائلاً: [أيا آمون يا سيد الأولمب]، وقد وزعت القصيدة على لوحة مثلثة، والتي أهداها (بطليموس) إلى معبد الإله في سيوة ومن الملاحظ أن الشاعر أرسل القصيدة إلى معبد سيوة وليس إلى معبد زيوس في قورينة، وهذا يوضح أن (بنداروس) قد قدس آمون ووضعه في نفس المستوى مع زيوس على جبال الألب، أما قول (ثيودوروس القوريني)**: [يا إلهنا آمون]، يدل ويؤكد أنه هذا الإله أصبح المعبود الرئيسي في المنطقة¹.

أما في مصر فقد نودي نصير الفقراء، وراعي الضعفاء، وحامي العدالة، وملك تاجي الأرضين²، فالمصري القديم -خلال الدولة الحديثة- كان شديد التدين بصورة لم يعرف من قبل، حتى أنه أطلق على العصر المتأخر من الإمبراطورية بعصر التقوى الشخصية، حيث تجلى روح التدين في الدولة الحديثة حتى في أسماء الأشخاص، فقد كانت الأسماء المحببة تلك التي تضم عناصر دينية مثل:

* بنداروس (pindarus): من أكبر شعراء اليونان الغنائيين وتخصص في نظم الأناشيد التي تمجد الفوز في الألعاب الأولمبية، فبعض أشعاره الأناشيد الأولمبية، البيئية والاسمية، وأهم ما تركه: الأناشيد، والمدائح والمراثي، وأغاني المواكب والعداري. مصطفى محمد قنديل زايد، هيراكليس في الأدب والفن اليوناني القديم، رسالة ماجستير في الآداب، كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة طنطا، مصر، 1997، ص ص 108-109.

** ثيودوروس القوريني (Theodore of cyrene): فيلسوف قوريني في القرن الخامس قبل الميلاد، تمتع بشهرة كبيرة في الهندسة والرياضيات الفيثاغورية، من كتبه: الليل والنهار، المساكن، والأكر. عبد المنعم المحجوب، آمون...، ص ص 133-134.

¹ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 211.

² عبد المنعم المحجوب، عبدة آمون...، ص 10.

آمون راضي، موت في القارب، آمون في احتفال، القمر قد ولد، آمون في المقصورة، وقد كانت هذه الظاهرة واضحة خلال الدولتين القديمة والوسطى، وزادت وضوحاً أكثر في الدولة الحديثة¹.

وقد حافظ آمون على مكانته عند النوميديين من خلال سك عملة بوعد من الرومان سنة 49 ق.م، نقش على الوجه الأول صورة للملك (يوبأ الأول) مكافأة لمساعدته قوات (بومبي) ضد قيصر*، والوجه الثاني صورة للإله آمون الكبش وبين قرنيه قرص الشمس، كما أن الإمبراطور (كركلا) قام بتشييد معبد للإلهة (مينيرفا) بتبسة نقش عليه صورة للكبش آمون، وهذه إشارة على وفاء الإمبراطور لديانة أجداده**.

كل هذه المعطيات تجعل الباحث في هذا الموضوع يرجح أصول الإله آمون الليبية، هذا الإله الذي له تأثير قوي حيث استطاع الليبيون من خلاله ترك بصماتهم على ديانات الشعوب المجاورة، كالديانة المصرية والإغريقية والقرطاجية.

2.2.2. الأصل المصري القديم

يعد آمون واحداً من الآلهة العظمى عند قدماء المصريين، ورد اسمه لأول مرة كما سبق ذكره في متون الأهرام، ولكن لم يكن إلا معبوداً مغموراً من بين

¹ بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص ص 22-23.

* الهدف من هذه الإشارة التعرف على مكانة آمون في بلاد المغرب القديم حتى في فترة الاحتلال الروماني-خارج الإطار الزمني لدراسة الموضوع-.

** مينيرفا "Minerve": هي إلهة الحكمة والذاكرة والعقل ثم الصناعات اليدوية. محمد الصغير غانم، الملامح الباكورة...، ص 120.

المعبودات المحلية العديدة التي انتشرت في الأقاليم المختلفة، وأشير إليه كإله خالق ضمن مذهب مدينة الأشمونين كعضو من أعضاء الثامون.

وقد ربط اسمه بأسماء الأعلام، حيث استشهد (الفرجآوي أحمد) بقصة رحلة (آمون المصري) إلى جبيل في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وذلك في اقتران اسمه بأسماء الأعلام في صيدا: عبد آمن، وفي الفنتين*: آل آمن منذ القرن الخامس قبل الميلاد¹.

كما أنه قد وجد اسم فتاة تدعى "أوريليا هامونيلا" (Aureliae Hammoillae)، فاسم هامونيلا تصغير لاسم آمونيا المشتق من اسم آمون، وكذلك اسم "أيدومون" (Aedomon) يبدو أنه مشتق في الآخر من اسم آمون، كما ورد عند كوريوبوس اسم أحد القادة الليبيين باسم "مامون" (Mamon)².

أما هيئة كبش آمون قد صورت بأكثر من صورة كبش، وربما يرجع ذلك إلى أنه قد أضيفت عليه صفات علوية سماوية كإله يمكن أن يتخذ أكثر من هيئة واحدة، وكان من أهمها ثلاثة الهيئات الرئيسية وهي:

- في هيئة بشرية برأس كبش.

- هيئة أسد رابض برأس كبش.

* جزيرة الفنتين: تقع في مواجهة مدينة أسوان، وهي أقصى جزيرة إلى الشمال من الجندل الأول، عرفت في النصوص باسم أبواي (سن الفيل) ثم أصبحت في اليونانية الفنتين، لها أهمية تجارية وعسكرية ودينية منذ الأسرة الأولى وعلى طول العصور المصرية، وترجع أهمية الجزيرة الدينية للاعتقاد بأن الماء البارد ينبع منها حيث ذكر في أحد النصوص "الماء البارد يأتي من الفنتين". هبة عبد المنصف ناصف، المرجع السابق، ص 37.

¹ أحمد الفرجآوي، المرجع السابق، ص 205.

² محمد علي أبوشحمة، المرجع السابق، ص 362.

- في صورة كبش خالصة*.

ومنه فقد اتخذ آمون رمز حيواني والمتمثل في الكبش المقدس، وهو ما ورد في قول (تشرني ياروسلاف): [ومنذ الأسرة الأولى عرفنا وجود عقائد الكباش المقدسة، وفي عهد متأخر عن ذلك عرفنا الإله "خنوم" (Khnum) معبود جزيرة الفنتين في المقاطعة الأولى لمصر العليا ورمزه الحيواني المقدس الكبش، وكذلك كبش "عنبت" (Anpet) وربما أيضا كبش مدينة "منديس" (Mendes) من المقاطعة السادسة عشرة لمصر السفلى وقد توحدوا أو ارتبطا بشكل وثيق على الأقل مع رمز عقيدي ثان لكبش آخر هو "حارشاف" (Harshaf) ومعناه (الذي فوق بحيرته) وظهر في اليونانية باسم "حارسافيس" (Harsaphes) وذلك في مركز له بمدينة "هيراكليوبوليس" (Herakleopolis Magna) وتعني (إناسيا المدينة) بالمقاطعة العشرين من الصعيد، وجميع هذه الكباش تمثل أو تصور حية أو في وضع جالس فيما عدا واحد منها هو "خرتي" (Kherty) فيظهر في شكل كبش محنط وفي وضع الرقود وهو ينتمي إلى مركز ليست له أهمية قرب مدينة "ليتوبوليس" (Letopolis) في المقاطعة الثانية بالدلتا]¹.

* يبدو أن هيئة آمون بصورة بشرية ورأس الكبش كانت معبرة عن المقدرة الخاصة التي ربط بينها المصري القديم صفات الإله في معبوده بصورة بشرية، حيث يؤلف مظهر الإنسان بصورة إله، ولكن يعطيه شكل رأس المعبود وليس شكل رأس الإنسان مثل: خنوم الكبش إله مدينة الفنتين، أما هيئته بصورة أسد رابض ورأس كبش هي الهيئة الغالبة على تماثيله المنحوتة، وهيئة الكبش الخالصة فقد كانت هي الهيئة السائدة في المناظر المصورة فوق السطوح وجدران المعابد والمقابر والنصب. لمزيد من الاطلاع ينظر: إيناس بهي الدين عبد النعيم، المرجع السابق، ص ص 134-140.

¹ ياروسلاف تشرني، المرجع السابق، ص ص 23-24.

ومما سبق ذكره أن عقيدة تقديس الكباش قد ظهرت في مصر منذ الأسرة الأولى* والمتمثلة في: "خنوم" (Khnum) كبش "عنبت" (Anpet) وكبش مدينة "منديس" (Mendes) من المقاطعة السادسة عشرة لمصر السفلى وقد توحدوا أو ارتبطا بشكل وثيق على الأقل مع رمز عقدي ثان لكبش آخر هو "حرف" (Harshaf) وذلك في مركز له بمدينة "هيراكليوبوليس" (Herakleopolis)¹.

وقد انقرضت تلك الأنواع خلال عصر الدولة الوسطى ذات القرون الأفقية والتموجة والمعروفة علميا باسم (Ovis Longiceps Palaeoaegyptiaca)، أما الكبش المقدس الذي كان رمزا للإله آمون فقد عرف فقط منذ الدولة الوسطى وبعدها، وهو من النوع ذي القرون المقوسة والذيل العريض والذي عرف علميا باسم (Ovis Platyura aegyptiaca)².

* حظيت الكباش في مصر القديمة بأهمية وقداسة كبيرة، حيث أدرك المصري القديم ما لحيوان الكبش من مقدرة فائقة، وتتمثل في الخصوبة والتناسل، لذا ربط المصري بينه وبين الخلق والبعث وبسبب تلك القدرات ارتبط بهيئة الكبش معبودات اتخذت تلك الصفات والقدرات، وهي كبش مدينة منديس (بانب جد)، وتوحد أوزير مع تلك الهيئة في مدينة جدو وظهر بتلك الهيئة المعبود الرئيسي في أهناسيا (حرف)، الذي عرف عنه قدرته في الخلق وتفجير المياه العذبة بل اتخذ تلك الهيئة الإله الخالق (خنوم) الذي اعتبر خالق البشر ومفجر منابع النيل العذبة، وظهرت تلك الهيئة في كتب العالم الآخر لما لها من مقدرة فائقة على البعث، حيث كان أمل المصري القديم أن يبعث بعد مماته فاربط المصري بالإله الكبش الذي بيده الخلق الأول والبعث الثاني بعد الميعاد -وهو ما سنتعرف عليه بالتفصيل في هذه الدراسة-. إيناس بهي الدين عبد النعيم، المرجع السابق، ص 12.

¹ Kurt (Sethe.), AMUN UND DIE ACHT URGOTTER VON HERMOPLIS, VERLAG DER AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN, BERLINE, 1929, PP. 18-40.

² ياروسلاف تشرنى، المرجع السابق، ص 24.

فبدخول الديانة المصرية في طور جديد خلال حكم الدولة الوسطى، وذلك بانتقال مركز البلاد السياسي إلى الجنوب حيث أعتبر آمون إله طيبة المحلي إله الشمس وصار اسمه (آمون رع) وأصبحت منزلته فوق كل آلهة واعتبروا أسماء معبوداتهم مرادفة لاسم رع¹.

وقد قدّم (شباحي مسعود) تطور عبادة آمون مع المعابد التي شيدت له خلال حكم الأسرة الوسطى، ففي الأسرة الحادية عشرة كانت طيبة عاصمة لمصر، وشيّد فيها (أمنحتب الثالث) هرمه والمعبد الضخم الذي يحيط به، وخلال العصر الزاهر الذي مرت به الأسرة الثانية عشرة حمل معظم الفراعنة أسماء بداخلها اسم الإله آمون مثل (أمنمحات) أي (آمون الرئيس) وفي هذا الوقت أصبح آمون أهم معبود في مصر كلها، وبالرغم من أنه هو وباقي البلاد قد وقعوا تحت سيطرة الهكسوس* الأمر الذي أنقص من شهرته، إلا أنه قد استعاد مركزه بسرعة عندما طرد أمراء طيبة الغزاة من أرض الوادي ونصبوا أنفسهم سادة مصر

¹ أحمد حسين، المرجع السابق، ص 84.

* تجدر الإشارة إلى أن الديانة المصرية في جوهرها وتعاليمها كانت قد وصلت إلى كمال نضجها واستقرارها حتى قبل الدولة الحديثة، حيث تمثل التغيير الرئيسي فيها على مستوى المظاهر المتصلة بالدين، دون أن يمس جوهره أو تعاليمه، وإذا كانت هذه الدولة حربية في طابعها فقد كانت دينية في اهتماماتها، ولعل "ولسن" (Wilson) نقلا عن (إبراهيم محمود بهاء الدين) كان على حق حين قال أن الضربة التي أصابت المصريين في ثقّتهم بأنفسهم من جراء احتلال الهكسوس لوطنهم كانت سببا في إيجاد حالة من التشكك جعلت مصر تولي وجهها شطر الآلهة ترجو منهم الهداية والرشاد حيث يتساوى في ذلك الشعب والملوك. بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص 22.

كلها¹، ومن ثم قامت في طيبة على ضفتي النهر المعابد الفخمة المخصصة لآمون².

وأطلق كهنة آمون تسمية هذا الإله باسم (ملك الآلهة)، وسعوا جاهدين لإقناع المصريين بذلك وعلى الرغم من السلطة التي كانوا يتمتعون بها أدركوا أنهم غير قادرين على بلوغ هذا الغرض إلا أن يوحدوه بأقدم آلهة البلاد، فأعلنوا أنهم يمثلون القدرة الخفية الغامضة التي خلقت العالم وقامت على حفظه، وأن الشمس ما هي إلا رمز لهذه القدرة، فأضافوا اسم (آمون) إلى (رع) فمن هنا تشكل اسم الإله (آمون رع) وبهذه الصفة أخذ يستولي تدريجيا على الصفات والسلطات التي كان يتمتع بها الآلهة العظام لمصر القديمة³.

وبعد ادعى الكهنة أن الإلهين هما إله واحد، حيث كان آمون بصورة إنسان برأس كبش هي الصورة الغالبة لرع المجسدة في صورة إنسان برأس صقر، واعتبر كهنة آمون في طيبة أن (رع) تجسيد لآمون، وأن سائر الآلهة أوجه لـ (آمون رع)، ومنها بدأ آمون حياة خلقت نسقا جديد بقيادة آمون قطع به شوطا أطول من (رع)، بمعنى أن شهرة (رع) زادت بارتباطه مع آمون⁴.

استمر ارتباط (آمون) بـ (رع) حتى في عهد الأسرة الثامنة عشرة والعشرون، حيث يمكن لآمون أن يحل محل الزوج ويهب الأولاد، ولهذا فقد كان للإله آمون

¹ مسعود شباحي، المرجع السابق، ص ص 79-80.

² روبرت آرموار، المرجع السابق، ص 106.

³ والاس بدج، المرجع السابق، ص 380.

⁴ باسكال قيرنوس وجان يويوت، موسوعة الفراعنة، تر: محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 68.

علاقة بزوجة الملك ويهبها النسل الإلهي، وقد احتفظ بنفس الاسم (أمون رع) حتى خلال الدولة الحديثة¹.

مما سبق ذكره أن العلاقات بين بلاد المغرب القديم ومصر خلال عهد هاتين الأسرتين قد اتسمت بالسلمية ويرجع ذلك إلى انكماش الليبيين داخل حدودهم، وتوقف محاولتهم لغزو الدلتا بسبب تخوفهم من التوسع المصري، والاتجاه إلى التبادل التجاري بين سكان الواحات الليبيين ومصر²، كما كان الليبيون ضمن السفراء الأجانب، وفي مشاهد أخرى ظهروا ضمن الحرس الخاص للملك³.

يضاف إلى ذلك الوضع الديني لمصر خلال عهد الأسرة الثمانية عشرة في فترة حكم (امنحتب الرابع)* الذي أبطل مؤقتاً عبادة آمون لأسباب سياسية ودينية، وجعل السيادة لدين (أتون)**، وبعد ذلك هجر العاصمة طيبة وأسس مدينة أخت

¹ FLINDERS PETRIE (W.M.), THE RELIGION OF ANCIENT EGYPT, PRINTERS TO HIS MAGESTY, LONDON, 1906, pp. 47-48.

² سليمان بن سعدي، المرجع السابق، ص ص 192-193.

³ بيير مونتييه، المرجع السابق، ص 283.

* امنحتب الرابع (أخناتون): أي المخلص لأتون ويلقب بـ "المارق"، وقد لعب دوراً خطيراً في عهد امنحتب الثالث بتقلده الكثير من الوظائف، منها رئيس تشريفات عيد آمون، ورئيس المجندين، وفي آخر أيام حكمه فقد السيطرة على الإمبراطورية فلجاً لكهنة آمون الأقوياء وحاول التقرب منهم لمساعدته، ويعد من الشخصيات البارزة في تاريخ مصر القديمة. كريستيان ديروش، المرجع السابق، ص 324-325.

** آتون "Aten": في البداية يعني الشمس باعتباره كائن سماوي، وأعتبر القرص المرئي للشمس نفسها فيما بعد وكأنه تجسيدا للإله رع، وقد قام امنحتب الرابع -الذي غير اسمه إلى أخناتون (تجسيدا لأتون)- برفع آتون إلى مركز الإله الأوحد. مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص ص 37-38.

أتون (تل العمارنة حالياً)، وأقام الشعائر لأتون في معابد هائلة بنيت على نمط جديد¹.

أما صورته التي وضعها فهي في هيئة أنصاف الآلهة، ففي السنوات الخمس الأولى من حكمه مثل على هيئة كائن بشري برأس صقر²، ليصبح في ما بعد قرص الشمس فقط الذي تنتهي أشعته بأيدي تمسك علامة العنخ*.

وبذلك تعرض آمون للاضطهاد الديني من طرف أتون، حيث وجه كل اهتمامه على محو اسم الإله آمون حتى من الخطابات الموجودة في الأرشيف الدبلوماسي، والجعارين التذكارية، وأيضاً على قمم المسلات والأهرام، ووصل تأثير هذا الاضطهاد إلى المناطق النائية بالنوبة حتى جبل برقل عند الشلال الرابع لنهر النيل³.

بالرجوع إلى نتائج العلاقة بين بلاد المغرب القديم ومصر هو وصول الإله (آمون-رع) إلى بلاد المغرب القديم وهو ما دلت عليه الرسوم الصخرية التي

¹ كريستيان ديروش، المرجع السابق، ص 324.

² مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 38.

* علامة العنخ: هو رمز مصري هيروغليفي يرمز للحياة الأبدية عند قدماء المصريين، وأُصطلح عليه باللاتينية "crux ansata" أي صليب بعروة أو صليب اليد، كما أطلق عليه أيضاً مفتاح الحياة كرمز للألوهية والخلود الأبدي، وقد حمله الآلهة وملوك الفراعنة لاعتقادهم أنهم من خلاله يسيطرون على جوهر هذه الحياة. لمزيد من الاطلاع ينظر:

-VIVIAN (SHAKER.), THE PHARAONIC SIGN "ANKH" BETWEEN HISTORY AND MODERN FASHION, INTERNATIONAL DESIGN JOURNAL, volume 8, issue 4, EGYPT, OKTOBER 2018, PP. 371-385.

³ إريك هورنونج، أخناتون وديانة النور، تر: محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2010، ص 114.

حملت صورة كبش (آمون) يحمل على رأسه رمزا بيضويا والذي يوجد في الجنوب الوهراني وبرقة، وبين الكبش المصري الذي يحمل على رأسه رمز الشمس ويمثل الإله (آمون-رع) في مصر القديمة¹، يضاف لها وصول الليبيين القدماء إلى مصر القديمة كمرتزقة².

وقد رأى بعض المؤرخين أن (آمون) بعد اندماجه مع (رع) قد نجح في السيطرة على المعبودات الليبية، وأصبح المعبود الأكبر لها وبالتالي فإن آمون سيوة الذي عبده سكان بلاد المغرب القديم ليس إلا صورة من معبود طيبة الأكبر في الهيئة الحيوانية³.

لكن مسألة تاريخ دمج الإله (آمون) مع الإله (رع) بحاجة إلى البحث المدقق، فما سلف ذكره عن دمج الإلهين من خلال المراجع التاريخية مثل (شباخي مسعود) والذي أرجعه إلى عهد الدولة الوسطى (الأسرة الحادية عشرة) بنقل عاصمة مصر القديمة إلى طيبة⁴.

وهو ما يؤيده "هورنوج إريك" (Hornung Erik)، حيث أشار في البداية إلى مكانة الإله (رع) وأهميته خلال أواسط الدولة القديمة، ويرجع أقدم دليل له إلى الأسرة الثانية، ثم لتحتوي معظم أسماء ملوك الأسرتين الرابعة والخامسة على عنصر "رع"، وقد ظهر ذلك من خلال تصميم لمعبد أبو الهول مع رحلة إله الشمس خلال ساعات الليل والنهار، كما أن الملوك قد اعتبروا أنفسهم قائمين

¹ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 64.

² حسين عبد العالي مراجع، المرجع السابق، ص 46.

³ محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص 1450.

⁴ مسعود شباحي، المرجع السابق، ص ص 79-80.

بوظيفتهم بصفة الواحد منهم (ابن رع)، وفي الأسرة السادسة كان هو الإله الخالق الحقيقي لدرجة أن الآلهة الأخرى كانت صورة من إله الشمس (رع) وملتحدة معه بطريقة توفيقية، ومنذ الدولة الوسطى وما بعدها أصبحت هذا الروابط أكثر شيوعاً، وأهمها (آمون-رع) وهي الحالة الجديدة التي يأخذ فيها الإله آمون في هيئته الشمسية والخالقة مظهر الإله رع¹.

في حين أن (عمران عبد الحميد) يقر بأن اقتران (آمون) ب (رع) جاء بعد اتخاذ مدينة طيبة مركزاً للعاصمة الموحدة بداية من عهد الأسرة التاسعة، حيث كان الإله (آمون) إلهاً كبشياً أي أنه وحد في كبش وشمس²، وفي ذلك امتزاج للطبيعة الحيوانية بالطبيعة الشمسية.

ويمكن اعتبار رأي (دراز أحمد عبد الحليم)، هو الأرجح وذلك بعد التدقيق والفحص في بعض النقوش والرسوم مثل رسوم الكباش الليبية القديمة التي تحمل فوق رؤوسها رموزاً بيضاوية الشكل، والتي في بعض الأحيان يوجد أمامها رجل يتميز بوجود خصلة من شعر جانبية في رأسه مما يوحي بوجود شبه بين تلك الكباش والكبش المصري في العصر الفرعوني أي أن كل منطقة عبدت كبش خاص بها، وهو ما يدعم وجود اتصال حضاري في الفكر الديني بين بلاد المغرب القديم ومصر القديمة³.

مما سبق ذكره في الفصل الثالث أن الإله (آمون) قد اقترن اسمه أيضاً ب (بعل) وكان الإله آمون يرمز له بالكبش أو برأس الكبش، أو بقرني كبش ويؤكد

¹ أريك هورنوج، ديانة مصر الفرعونية...، ص ص 88-89.

² عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 64.

³ أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق، ص 210.

ذلك رسوم الكباش المصرية المقدسة وهي رمزاً للإله آمون والتي تحمل على رأسها قرص الشمس في أماكن مختلفة من بلاد المغرب القديم، وهي بذلك شبيهة بعبادة (بعل حامون) التي كانت لها صلة بالكباش، إذ عثر في القبور القرطاجية على أثاث جنازي من ضمنها رؤوس وقرون كباش بالإضافة إلى تماثيل عديدة تنسب إلى آمون وهذه الرموز تخص أيضاً (بعل حامون)¹.

3. أماكن عبادته ومعابده

تعددت معابد آمون بانتشار عبادته وتقديس تجلياته، ويمكن العثور على العشرات من المعابد لآمون الطيب في مصر، سواء لك المكرسة له، أو التي أُشرك تقديسه فيها بآلهة أخرى في أرض النوبة وحدها شيد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة في الجنوب (اثنا عشرة معبداً) في عصر الدولة الحديثة، ولعل من أهمها: معبد "سيسيبي" (Sesebi) الذي أقامه (أمنحتب الرابع) لعبادة أتون واستعمل بعد ذلك لعبادة آمون، حيث لعبت المعابد دوراً كبيراً في تأكيد الوجود المصري هناك وذلك بتكوين دولة لآمون في الجنوب أكثر مصرية من المصريين أنفسهم².

فكما سلف ذكره أن مكانة المعبد في الدولة الحديثة كانت ذات أهمية كبيرة مقارنة بمعابد الدولتين القديمة والوسطى، معابد الدولة القديمة التي عثر على آثار لها كانت غالبيتها جنازية بوجه عام، فمعابد الآلهة كانت محارِب تستخدم كأماكن للورع والتقوى، أو كانت مباني كبيرة تهدف إلى تأكيد الولاء نحو معبود معين، وبقيت المعابد متواضعة في مساحتها، محدودة في نشاطها حتى خلال

¹ محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص 1450.

² بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص ص 48-49.

عهد الدولة الوسطى، أما المعبد في الدولة الحديثة عرف نشاط واسع في مختلف مجالات الحياة المصرية القديمة، كما أصبح صورة رائعة للفخامة والضخامة لدرجة أن المصريين كانوا يماثلونه بالقصر السماوي لإله الشمس¹.

حيث أقام المنتحبت الثالث معبد الأقصر ثم أوصله بطريق الكباش معبد الكرنك وقد طرح (صالح عبد العزيز) السؤال الموالي: لماذا وضعت الكباش؟ ثم قدّم إجابة له المتمثلة في: للزينة، ولتحديد الطريق ولإعطائه صفة القداسة بحكم أن الإله آمون يمثل الكباش².

أما في الواحات الغربية في عهد الدولة الحديثة فقد صار آمون الإله الرئيس لجميع المعابد وبقي مقدساً حتى في عهود السيطرة الأجنبية، إذ أقيمت له العديد من المعابد، ففي واحة الخارجة*، أقيم له معبد فخم بقي حتى نهاية مدة الغزو الفارسي³.

وبحكم أن سيوة ظلت ليبية حتى احتلها المصريون في منتصف القرن السادس قبل الميلاد⁴، فقد شيدت له عدة معابد فيها، أربعة منها تقع في الشرق واثنان في الغرب، إلا أنها تعرضت للتلف ولم يبق منها إلا بعض الأجزاء التي

¹ بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص 23.

² عبد العزيز صالح وآخرون، موسوعة تاريخ مصر...، ص ص 224-225.

* واحة الخارجة: من أهم الواحات الغربية التي أقيمت العديد من المعابد وحظيت باهتمام ملوك مصر القديمة، وكان التأثير الليبي فيها واضحاً وذلك لسهولة الاتصال بها وتقع أطلالها الآن ضمن حدود محافظة الوادي الجديد، وقد ذكرت بأكثر من اسم مثل: (وحدات سي) أي الواحة الجنوبية، وكذلك (وحدات ورت) أي الواحة الكبيرة. عباس علي عباس الحسيني، المرجع السابق، ص 209.

³ نفسه.

⁴ رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 82.

تشير إلى وجودها، ففي الشرق: معبد أم عبيدة¹ ومعبد الزيتون، ومعبد أبو شروف ومعبد قصر الغشام، أما الغرب: معبد بلاد الروم ومعبد العمودين².

شاعت عبادة الإله آمون وانتشرت في بلاد المغرب القديم، ولم تنته عبادته حتى في الفترة المسيحية -في وقت لاحق-، وقد أقر (البرغوثي عبد اللطيف محمود) بأن عبادة آمون سيوة قد ظلت محلية ولم تنتشر بشكل واسع في المنطقة إلا بعد اقترانه بآمون طيبة المصري، ومما يدل على شيوعها على ذلك كثرة الأماكن الليبية المسماة باسم هذا الإله³، وهو الرأي الذي يتفق معه (عولمي الربيع)، حيث يرى أن اللوبيون كانوا قد تأثروا بعبادة هذا الإله ولعل أكبر دليل على ذلك هو انتشارها على نطاق واسع⁴.

ويبدو أن عبادته انتشرت في بلاد المغرب القديم، وحظيت معابده بقدسية كبيرة من قبل السكان المحليين وكذلك من قبل المصريين لأنها حافلة بالأسرار، ويمكن الاطلاع على الأمور الغيبية فيها "وحي آمون" في واحة سيوة الذي قدس من قبل سكان المنطقة وانتشرت عبادته إلى أبعد المناطق التي تمكنوا من الوصول إليها⁵.

¹ Colin (Frederic.), Les libyens en Égypte (xv siècle a.c-II siècle p.c.), dissertation docteur en philosophie et lettres, faculté de philosophie et lettres, université de Bruxelles, Belgique, 1995-1996, pp. 141-161.

² لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد الرحمن على عبد الرحمن، معابد سيوة المفقودة (وصفها ومحاولة تخطيطها)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، ص ص 01-25.

³ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 141.

⁴ الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 109.

⁵ ألن جاردنر، المرجع السابق، ص 414.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد قام الإسكندر برحلة إلى واحة سيوة التي تقع بين رمال الصحراء القديمة، وبالتحديد إلى معبد الإله آمون، وقد رحب به الكهنة باعتباره ابنا للإله طبقا للتقاليد المصرية، حيث كانت هذه الواقعة بداية الحقيقية للتحول العميق لمفهوم الإسكندر عن الملكية وعن مصيره هو نفسه، وغزا العالم بناء على وعد حصل عليه منهم¹.

يضاف إلى ذلك اعتقاد الإسكندر منذ نعومة أظفاره من أشد الناس اعتقاد بالقوى الخفية والنبوءات، وقد أوحى إليه أمه بالاعتقاد بأنه ليس كباقي البشر ولكنه من أصل إلهي².

ويرى بعض كتاب السيرة التاريخية المحدثين نقلاً عن (فخري أحمد) أن ادعائه بأنه من نسل إلهي كان مجرد نوع من الدعاية السياسية، لأن رجلاً في مثل ذكاء الإسكندر لم يكن ليؤمن بذلك حقاً، ثم طرح رأيه والمتمثل في أنه ليس من الإنصاف في شيء أن يحكم بمقاييس العصر الحديث وديانته وتفكيره على أحداث وقعت في العصر القديم بين شعب له تقاليده ومعتقداته التي تختلف كثيراً عن تقاليدنا وأفكارنا، ولكن يمكننا القول بثقة أن الإسكندر ذهب إلى سيوة شأنه شأن أي زائر قبله معتقداً في نبوءتها وفي صدق كل كلمة سمعها من كهنتها، وبما في ذلك ما يتعلق بأصله الإلهي وبحقه في أن يعبد الآخرون³.

على أي حال مضى الإسكندر إلى سيوة واستقبله كاهن المعبد على أنه ابن آمون، ولم يُعرف ما حدث بين الإسكندر ووحى الإله آمون ولكن لابد أن

¹ ياروسلاف تشرنى، المرجع السابق، ص 182.

² أحمد فخري، واحات مصر...، ص 185.

³ نفسه.

الإسكندر قد سأل عما يشغل باله ويتمثل ذلك في حملته ومصير جهوده، ولابد أن الرد كان متنبئاً بتحقيق آمال الإسكندر وسيادته على العالم، ولم يفصح عما حدث داخل قدس الأقداس¹.

بعد أن آلت منطقة برقة إلى الإسكندر المقدوني تم تأليهه واعتباره ابن الإله آمون، لكن ظل الإله آمون أكثر شهرة منه².

قد أشار (الحسيني عباس علي عباس) إلى التشابه بين إله مدينة برقة والإله آمون إذ كان يخبر بالغيب بنفس الطريقة التي يخبر بها آمون، وكما قد ذكر أن معابد برقة ومعابد الواحات الغربية كانت تحلى بنقوش على غرار المعابد المصرية لكن مستواها الفني أقل بكثير من التي وجدت في مصر، حيث شغلت العائلة الإلهية لآمون (آمون-مونت-خنوم) أكبر حيز من تلك النقوش³.

وعثر في برقة على قبر لأحد الكهنة تتضمن نقوشه فصولاً من كتاب الموتى، وهو ما يدل على تأثير مصري في المنطقة، فهو نتيجة للحملات المصرية على بلاد المغرب القديم⁴.

كما أقيم له معبد في واحة "أوجلة" (Augila)*، وقد ذكر (ميلا) نقلاً عن (عيسى محمد علي) بأن الأوجلة يعبدون الأرواح، ولا يعرفون الآلهة ويستوحون على

¹ مصطفى العبادي، المرجع السابق، ص 21.

² إبراهيم مفتاح شيره، "الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية في ضوء المصادر الكلاسيكية (دراسة مقارنة)"، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد 4، جامعة مصراته، ليبيا، ص 220.

³ عباس علي عباس الحسيني، المرجع السابق، ص ص 209-210.

⁴ نفسه، ص 210.

* واحة أوجلة (Augila): تقع في الجنوب الشرقي من ليبيا، وتعتبر من المدن القديمة التي ورد اسمها في المصادر المصرية، حيث أشارت النقوش المصرية ومنذ حوالي 1200 ق.م بأن سكان المنطقة الذين من

قبور موتاهم، أي أنهم لا يعرفون تعدد الآلهة وهو إشارة إلى أنهم كانوا على صلة وثيقة بعبادات المصريين القدماء، ويشاطره في الرأي (بروكبيوس القيصري) الذي أشار إلى معابد مكرسة للإله آمون، وتعود الأهالي على تقديم القرابين له*، وكما يشير (بليني الأكبر) إلى أن الأوجليين في عهده لا يعبدون سوى قوى العالم السفلي.¹

وكانت توجد على ساحل السرت الكبير محطة يقال لها آمونكلا، وأخرى تسمى آمونوس أو آمونيس في الخرائط الرومانية، والثالثة في منطقة مذبح الأخوين كان الإغريق يعرفونها باسم "آمونوس هالوس" (Ammonos Halous) والرابعة في جنوب بنغازي تسمى "تل آمون"².

بينهم قبيلة النسامويين التي كانت منتشرة ما بين بنغازي وخليج سرت ويمتدون في الدواخل حتى واحة أوجلة، أما هيرودوت فقد أشار إليها في القرن الخامس قبل الميلاد أن هذه القبيلة كانت تترك قطعانها في الصيف على الساحل وترحل إلى مكان في الدواخل اسمه أوجلة لجني محصول التمر، وهي أول إشارة ترد عن الواحة. صالح المهدي خليفة، واحة أوجلة، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا، 2010، ص ص 01-19. أما هيرودوت فقد ذكرها في الفقرة 182: [بعد الأمونيين بمسافة عشرة أيام من السير على عبر شريط الرمال يوجد تل ملحي آخر شبيه بتل آمون وماء وبشر يسكنون حوله - حول التل- ويكون اسم هذا المكان أوغيلة (أوجلة) ويتردد النسامونيس على هذا المكان ليجمعوا ثمار النخيل]. هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت، تر: محمد المبروك الدويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، 2003، ص ص 124-125.

* بروكبيوس القيصري: عاش هذا المؤرخ حتى 560 ميلادي تقريبا، عاصر عهد الإمبراطور جستنيان، ألف كتاب "العمائر" الذي أشار فيه إلى أن (أوجلة) اسم يقصد به مدينتين (جالو وأجلة) التي وجدت بها معابد مكرسة لآمون والإسكندر المقدوني. لمزيد من الاطلاع ينظر: عبد المنعم المحجوب، آمون...، ص 18.

¹ محمد علي عيسى، "أوجلة لدى الكتاب الكلاسيكيين (الإغريق والرومان والبيزنطيين)"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 02، ليبيا، 2000، ص 37.

² مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص 45.

وأضاف (شيريه إبراهيم مفتاح) معبد له في منطقة حصن جولايا (أبونجيم)، ويدل النقش الذي عثر عليه بمنطقة المحيبيبية بمدينة ترهونة في إقليم المدن الثلاث وآخر بزاوية المحجوب التي تقع غرب مدينة مصراته¹، على مدى الانتشار الواسع لعبادة هذا الإله حيث شكل عبدة آمون قبائل قوية مهيمنة على طريق القوافل في المنطقة، وكان لهم الدور الهام في نقل التجارة من الجنوب إلى الشمال عبر الواحات الغربية².

وقد احصى (فضيل الميار عبد الحفيظ) عدد المواقع التي خصصت لعبادة الإله آمون إضافة إلى معبده الرئيسي في سيوة (اثنا عشر موقعاً) في بلاد المغرب القديم³، وهي كالتالي:

- على الساحل: اد أمونيم وزاوية المحجوب، ومعبد الأخوين فيلاني.
- في الداخل: المحيبيبية (رأس الحداجية)، أبونجيم.
- مواقع غير محددة: أمونس، أمونوكلا.
- في فزان: عثر على معبد في أراضي قبيلة الجرامنت.
- برقة على الساحل: معاطن بشر، طبرق، الجبل الأخضر (شحات).
- الصحراء: أوجلة*

¹ إبراهيم مفتاح شيريه، المرجع السابق، ص 220.

² أحمد حسن غزال، "أضواء جديدة على التمييز بين آمون ليبيا وزيوس قورينة"، تقرير ودراسات ندوة اليونسكو، باريس، 16-18 جانفي 1984، ص 193.

³ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 79.

* وقد أقيمت هذه المواقع على طرق تمر بسيوة، الأول الساحلي وهو الأطول يمر بقوريني (مليته-زاوية المحجوب-معبد فيلاني-قوريني-طبرق)، والثاني أسرع إلى الجنوب ويمر بأوجلة حيث يمر طول الساحل حتى اتومالاكس ثم يعرج إلى الجنوب عبر طريق يمكن قطعه في مدة أربعة أيام سيراً على الأقدام

من الملاحظ أنه نفس العدد الذي عثر عليه في أرض النوبة بتشديد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة في الجنوب (اثنا عشرة معبدا) في عصر الدولة الحديثة¹. وكان من الطبيعي أن يشعر سكان بلاد المغرب القديم وهم يتنقلون من مكان إلى آخر من أجل الصيد أو الرعي بمواشيهم أو التجارة بحاجة إلى طلب الحماية من إله يكون لهم هادياً ومرشداً، يعينهم ببركاته في تنقلاتهم بين الصحراء والواحات ويكشف لهم عما يجهلونه وينبئهم به².

ثانياً: الإلهة تانيت

عرفت المعبودة تانيت انتشاراً كبيراً في ضفة غربي البحر الأبيض المتوسط، وقد تضاربت الآراء حول أصولها ورموزها وأماكن عبادتها، أسباب بروزها خلال القرن الخامس قبل الميلاد.

من خلال هذه الدراسة سيتم التطرق لبعض هذه الآراء والإشكاليات المتعلقة بها وانتشارها في منطقة بلاد المغرب القديم، حيث أن الجانب الديني لهذه المنطقة كان محل اهتمام من طرف الباحثين بحكم أن المعبودات عرفت تمازج بين المحلي والأجنبي، وقد قدموا عدة أدلة وبراهين معتمدين في ذلك على المصادر الأجنبية والمخلفات الأثرية، ويرجع هذا الاختلاف لأهمية هذه المعبودة وانتشارها في

ل للوصول إلى أوجلة، والثالث يربط واحة سيوة ببلاد الجرامنت مارا بأوجلة، حيث يقع أبونجيم في ملتقى الطرق ويتم تقديس الإله في محطات القوافل. للاطلاع أكثر على توزيع هذه المواقع في المنطقة ينظر: عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص ص 79-83.

¹ بهاء الدين إبراهيم محمود، المرجع السابق، ص ص 48-49.

² رجب عبد الحميد الأثرم، المرجع السابق، ص 85.

المنطقة التي لم تكمل دراستها التاريخية الأثرية لتبقى الحقيقة معلقة بالاكشافات الحديثة.

1. أساطير الإلهة تانيت

بما أن الربة تانيت قمرية*، سيتم التعرض أولاً إلى أسطورتين لبيتين لإله القمر التي أشار إليها (البرغوثي عبد اللطيف محمود)، الأولى جاء فيها أن النسامونيين الذين كانوا يعتبرون العقيق حجراً سماوي الأصل كانوا يخرجون للبحث عنه عندما يكون القمر بدرًا، والثانية تقول أن الملح كان يزداد أو ينقص تبعاً لازدياد القمر أو نقصانه¹.

ولأن سكان بلاد المغرب القديم قد عبدوا الشمس والقمر، هذا الأخير كما سبق ذكره تحكم في الملح فهو بذلك متحكم في خصوبة الأرض وازدهار الزراعة، قدمت له القرابين عند باكورة كل محصول²، وأقيمت الاحتفالات بعيد الملح**.

* صفة "ربت" (RBT) أي السيدة ربّة Rabbat، كانت تسبق اسم العديد من الإلهات، واستعملت هذه الصفة في قرطاجة باستمرار على النذور المكرسة لتانيت، وهي على ما يظهر صفة مضمرة في عدّة نقائش، وفي اسم مركب باسم معبود، حيث أن لفظ "ربت" أي (السيدة) مستعمل وحده. اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 183.

¹ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المرجع السابق، ص 137.

² Hérodote, 4, p. 188.

** وقد خصص للملح احتفال أطلق عليه تسمية "الاحتفال بعيد الملح"، والذي بقي سكان المنطقة (غات والبركات) يحتفلون بها إلى غاية القرن 20م بمنعه من طرف سلطات النظام الملكي الليبي، حيث يتم جمع الفتيات وهن يلبسن أجمل الثياب، ويتحلّين بأجمل المجوهرات ليقمن بتمثيل معركة حيث يتمنطقن بأحزمتهم على شكل حزام الرصاص، يتقدمهن الموسيقيون وكل واحدة مسلحة بعصا وسوط وهذا بعد استخراج الملح. ويتقرب الفريقان من بعضهما ويتظاهران بالاشتباك، ثم تشرع اثنتان أو ثلاث من النساء المتقدمات في السن يفحصن عذرية البنات، وهي ما يطلق عليها اسم "معركة العذارى". غابريل كامبس، المرجع السابق، ص ص 32-33.

وعبر القمر للأنثى تانيت عن حبه فمنحها قوته الرهيبة، فأصبحت تتحكم في الملح، ففي رواية لهيرودوت تحدث فيها عن إقامة احتفال سنوي بجوار بحيرة تريتون من طرف "الماشلي" (Machlyes) و"الأوس" (Auses) على شرف الربة أثينا*، حيث تتوزع فيه الفتيات إلى مجموعتين تتصارعان بالحجارة والعصي، ويقولون أنهم ورثوا هذه الممارسات، التي أسسها أجدادهم تكريماً للربة التي ولدت في بلدهم (الربة أثينا) وإذا ماتت متأثرة بجراحها خلال الصراع فذلك دليل على فقدان عذريتها فيتوقف القتال، ويقوم كل فريق باختيار أجمل فتاة فيه ثم يركبونها عربة ويطوفون بها حول البحيرة وهي في كامل زينتها¹.

ثم أضاف أن الليبيون القدماء يقولون أنها بنت بوسيدون** وهو إله البحر التي وجد له وسام فضي وهو يحمل في يده قرص، (الشكل رقم 25 ص 401). بحيرة تريتون، وأنها افتقرت عن أبيها والتجأت إلى زيوس الذي تبناها².

* أثينا: اسم للربة الإغريقية، وهي ربة الحكمة والحرب والزواج والنبات وحامية للدولة وضامنة الإنصاف والعدالة، وهي من الأرباب الاثني عشر في الأولمب، وفي العهد الروماني نقل الرومان خصائصها للربة "مينيرفا" (Minerve). هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 56.

¹ هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 56.

** بوسيدون (Poséidon): إله ليبي قديم، جعل غالباً إلهاً للبحر -واله الأحصنة-، يعرف في الميثولوجيا الرومانية باسم نبتون ورد لدى هيرودوت أن المصريين نقلوا عبادته عن الليبيين قائلاً: [أن المصريين عرفوه من الليبيين والليبيون وحدهم -دون سائر الأمم- هم الذين وجد بينهم اسم بوسيدون منذ البداية، وكانوا دائماً يعظمون هذا الإله]. -لم يتم التطرق له ضمن الآلهة الليبية في مصر لعدم التأكد من أصله الليبي القديم المحض أو أنه قدم مع شعوب البحر- وتروي الأسطورة الإغريقية أن أبناء كرونوس: بوسيدون وهادس وزيوس، تقاسموا العالم فكانت السماء لزيوس والأرض وعالمها السفلي لهادس والبحر لبوسيدون أما سطح الأرض وجبال الأولمب فيشتركون في حكمها. عبد المنعم المحجوب، آمون...، ص 101.

² Hérodote, 4, p. 188.

ومما سبق ذكره من حديث (غابريل كامبس) يمكن تحليل الأساطير المتعلقة بها وعرض التشابه بين الحداثين الرئيسيين وهما: التظاهر بالاشتباك في معركة وفحص عذرية البنات في الفريقين (الماشلي والأوس قديما وأهل غات والبركات حديثا) عموما، أما الاختلاف في التفاصيل ما بين رواية هيرودوت والوضع الذي استمرت عليه إلى غاية منعه من طرف النظام الملكي الليبي بتاريخ 27 رمضان 1957م أمر طبيعي فالفارق الزمني بينهما أربعة وعشرون قرناً¹، كما أن أحداث هذه الطقوس لم يبق الاحتفال بها في نفس المكان التي جرت فيه قديماً، والحال أن رواية هيرودوت تؤكد في قسم كبير المعلومات "الإثنوغرافية الحديثة"².

يمكن اعتبار أن تانيت هي المحاربة ومخرعة العرب والمتحكمة في الملح، وبالتالي فهي حربية ويستنتج ذلك من جزء الاشتباك بين فريقين البنات، والتي ربما اعتبرت مخرعة العرب ذات الخيول الأربعة، ومن المحتمل أن استعمالها في طقوس هذا الاحتفال في بلاد المغرب القديم راجع لكونهم أول من استعمالها هم الغرامنت حيث كانوا يطوفون بها على المسطحات المائية بأرضهم، وفي ذلك ربط بوجود معتقد يربطها بالمياه والمفجرة للعيون، وهي المتحكمة في التجارة والهادية للقوافل في الصحراء³.

أما عن أسطورة فراق تانيت عن أبيها ولجئها إلى زيوس، فتعبر عن علاقة تانيت بالمياه من خلال ارتباطها ببحيرة تريتون، أما عن زواجها بزيوس بعد

¹ Camps (G.), "Ghât (Rhat)", Encyclopédie berbère, 20, (online), 1998, pp. 3101-3107.

² غابريل كامبس، المرجع السابق، ص 33.

³ Hérodote, 4, p. 180.

هروبها عن أبيها بوسيدون، ومن المعتقد أن زوجها المقصود به آمون المعروف بزيوس آمون¹، فبحكم صعوبة فهم هيرودوت في استخدام الأسماء الحقيقية الليبية القديمة فهو كثيراً ما يقرنها بالأسماء الإغريقية، وقد اقترنت تانيت عند سكان بلاد المغرب القديم بآمون وشكل الزواج الإلهي المقدس، وذلك من خلال ما وجد لها من نقوش وصل عددها إلى أزيد من أربعة آلاف نقش مع قرينها آمون²، كما أنه من الممكن أن هذه الأسطورة تروي تحول تانيت من إلهة محاربة بصفتها ابنة لبوسيدون المرتبط بالأحصنة إلى آلهة أم بعد افتراقها عن أبيها والتجائها لزيوس آمون.

سبق التطرق في الفصل الأول لعدم اتفاق كُتاب الأساطير والمؤرخون والجغرافيون القدماء والمحدثين على موقع وأساطير بحيرة تريتون وذلك لغياب الأدلة في المصادر القديمة إلى ما يشير إلى الاشتقاق الذي جاء منه اسم هذه البحيرة، لكن المرجح أن اسمها مشتق من اسم الإله تريتون بن بوسيدون الذي صور على هيئة رجل نصفه سمكة، وربما دمج القرطاجيون أو الليبوفينيقيون بالإله الفينيقي "داغون" (Dagon) وإله السمك ويصور على الهيئة نفسها وهو المؤله الذي عبده سكان المنطقة المجاورة لها، ورويت القصة على أن بحارة سفينة "آرغو" لم يجدوا مخرجاً لها إلا بعد أن قدّم لهم هذا الإله يد المساعدة*، وهو من قام بتربية أثينا وأنه صاحب زيوس³ أو ربما كان مستمد من اسم النهر ذاته الذي

¹ عز سعد محمد سلطان، المرجع السابق، ص 63.

² الصالح بن سالم، المرجع السابق، ص 62.

* للاطلاع أكثر عن هذه القصة ينظر: الفقرة 179، أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص 54.

³ عبد المنعم المحجوب، آمون...، ص 118.

يتفرع منه -شط الجريد التونسي حالياً-¹، أو أنها نسبة إلى تريتونيس إحدى حوريات هذه البحيرة في ليبيا القديمة، وجاء في إحدى الروايات أنها كانت أمّاً لأثينا من بوسيدون وربما عبدت في ليبيا القديمة لارتباط اسمها بالنجم "تريتون" (Triton) الذي يقود السفن في ظلمات الليل²، وفي رواية أخرى بأنها أمّاً للنسامون³.

ما يتوصل له من هذه الأساطير هو قيمة الإله بوسيدون وتريتون عند سكان المنطقة وولادة الإلهة أثينا التي عرفت أنها ابنة لهما، كما أن في هذه الأدلة تناقض فمرة جاء فيها أن تريتون بن بوسيدون، وفي أخرى أن تريتون وبوسيدون هما من أنجبا الربة أثينا -عرفت في الأساطير الإغريقية أسطورتى "بوسيدون وتريتون" -.

وفي هذه الدراسة سيتم التفصيل في أسطورة أثينا التي من المرجح أنها الإلهة تانيت عند سكان بلاد المغرب القديم*، وكيف ارتبطت بأسطورة القمر والأحصنة والنجوم، فبعد زواج النجم "تريتون" (Triton) -أم تانيت- من إله

¹ Hérodote, 4, p. 180.

² فوزي عبد الله الكيلاني، المرجع السابق، ص ص 62-65.

³ نفسه، ص 66.

* طُرِحت عدة تساؤلات عن هذه الربة إن كانت إغريقية أو ليبية قديمة، فإن كانت بالفعل إغريقية فما هو الهدف من الاحتفال بها سنوياً في ليبيا، أم أن هيرودوت كعادته الإغريق يطلقون أسماء أربابهم على أرباب الشعوب الأخرى التي تشبه خصائصها خصائص أربابهم؟ أم أن الأسماء الإغريقية للأرباب الليبية القديمة عبارة عن ترجمة لمعاني أسمائها؟ أم أن صعوبة نقل الأسماء الأصلية جعلت الكتاب الإغريق يكتفون بذكر ما يقابلها عندهم، بما يشبهها في الوظائف والطبائع؟ هذه الإشكالية تواجه الباحثين في المجال الديني في كل المصادر الأجنبية، الإغريقية واللاتينية وغيرها. للاطلاع على فرضيات الإجابة عن هذه التساؤلات ينظر: أحاديث هيرودوت عن الليبيين...، ص ص 56-57.

الأحصنة بوسيدون (Poséidon) -أب تانيت-، وقد عثر على خزفية في مدينة "كورنثية" (Corinthe) التي تعتبر المدينة الثالثة في اليونان بعد أثينا واسبرطة شكل يمثل بوسيدون راكبا جواداً**.

أما عن أسطورة أن تانيت هي زوجة آمون، ولهما ابن يسمى "غورزيل" (Gurzil) *** الذي ذكره "كوريب" (Corippe) **** في الكتاب الثاني (الحروب الليبية) من ملحمة الشعرية (La Johannide) *****، وقد صور هذا الإله على شكل ثوراً يحمل بين قرنيه قرص الشمس -يرمز قرص الشمس إلى ضياؤها-

** جاء في الفقرة 50 من حديث هيرودوت في موضوع الآلهة الإغريقية القادمة من مصر نقلاً عن (خشيم علي فهمي): [الواقع أن كل أسماء الآلهة تقريباً جاءت إلى بلاد الإغريق من مصر... فيما عدا بوسيدون، وهو الذي عرفوه من الليبيين، والليبيون وحدهم -دون سائر الأمم- هم الذين وجد بينهم اسم بوسيدون منذ البداية، وكانوا دائماً يعظمون هذا الإله]. لمزيد من الاطلاع عن نشأة عبادته ينظر: علي فهمي خشيم، نصوص...، ص ص 24-25.

*** غورزيل" (Gurzil): هو إله جبار لدى الليبيين القدماء، وجاء في روايات المنطقة أن أباه آمون وأمه بقرة.

**** كوريب (Corippe): هو (فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس) ولد في حوالي عام 500 ميلادي في نواحي منطقة قرطاج عندما كانت تحت سيطرة الوندال، من أهم مؤلفاته ملحمة يوهانيد (La Johannide). ينظر:

-Charlet (J.-L), "Corippe", Encyclopédie berbère, 14, (on line), 1994, pp. 01-09.

***** يوهانيد (La Johannide): هي ملحمة لاتينية مكونة من ثمانية مقاطع وحوالي 4700 بيت شعري، ألفها (فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس) في منتصف القرن السادس ميلادي في نواحي منطقة قرطاج، مجد فيها (جون تروجليتا) وهو جنرال بيزنطي أرسل إلى إفريقيا لسحق تمرد مغاربي بين 546 و548م، وفي الخلفية الإمبراطور جستنيان المحرض على هذه الحملة، حيث طرح في هذه الملحمة وجهات نظر تاريخية وأيديولوجية وأدبية مختلفة.

-Vincent (Zarini.), "La Préface de la Johannide de Corippe ", revue de études augustinienes, n°32, 1986, pp. 74-91.

ولإيمان الليبيين بمعجزاته وقدرته على جلب الخير لهم وتحقيق النصر على أعدائهم فقد كانوا يحضرون رمزه إلى ميدان المعركة¹، وجاء ذكره أيضا في كتاب (المسالك والممالك) للمؤرخ (البكري)، حيث قال أن سكان بلاد المغرب القديم قد عرفوا على ربوة صنم مصنوع من الحجارة يسمى كرزة (غورزيل)، ويقدمون له القرابين ويعالجون به أمراضهم، ويتبركون به في أموالهم²، وفي ذلك دليل على استمرار عبادته حتى القرن العاشر ميلادي.

2. التسمية والأصل

1.2. التسمية

قُدمت عدة افتراضات لتفسير هذا الاسم، من أهمها ما جاء بها (الفرجّاوي أحمد) رغم عدم اقتناعه بتأويلها وهي أن لفظ "تانيت" مشتق من اسم الآلهة (عنات) مع استبدال حرف العين بالحرف السابق اللّوبي: التاء، ولكن لاحظ أن دخول اسم (عنات) في بنية الأسماء القرطاجية أمر يدل على أنها تعبد في قرطاجة، وتبرهن الاكتشافات الحديثة أن تانيت كانت تقدر في الشرق الفينيقي قبل ظهورها في العالم البوني³.

وقد ورد اسم "ت ن ت" (TNT) على بعض الأنصاب بقسنطينة ويعتبره جل العلماء اسم علم، اتفق على كتابته تانيت (Tanit)، والنطق به مجهول وقد افترض "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) أن هذا الرأي يمكن أن لا يكون له

¹ عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 68.

² عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 660.

³ أحمد الفرّجّاوي، المرجع السابق، ص ص 195-196.

أساس من الصحة¹، أما (غانم محمد الصغير) فيرجع أقدم نقش ورد فيه اسم "تانيت" كان على قطعة من العاج تعود إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد². وفي المقابل أقر (أعشي مصطفى) أن "تانيت" (Tannit) تعني "الباكية" (la plenreureuse)، وقد ظهر المصطلح لأول مرة في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، في نقيشة مكتوبة باللغة الآرامية من موقع (تل بارسيب) "Til Barsip"^{*}، حيث ظهرت كلمة (تا-ني-تي) التي كانت مجهولة والتي تعني "أمة المعبد" الخاصة برب العواصف، واعتمادا على هذه النقيشة وهذه القراءة فيصبح معنى الاسم الكامل لـ: ت ن ت ب ن بعل (Tnt Pn Baal) أي "الباكية المواجهة لبعل"³.

وهو ما أكدته "إدوارد ليبينسكي" (Edward Lipinski) في إشارته إلى أن اسمها مشتق من الفعل (TNY) وهو ما يعني الباكية، كما ترجم الاسم الذي يرادفها "بني بعل" (Pn.B'l) إلى معنى وجه بعل أو رفيقة بعل، ولكنه رجح ترجمة المقابلة أو المواجهة لبعل⁴، بعدما بين أن اللازمة (Pn.B'l) تعني في اتجاه ولا

¹ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 183.

² محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية...، ج3، ص 331.

^{*} تل بارسيب "Til Barsip": عاصمة دولة بيت عديني الآرامية، عثر عليها في موقع تل الأحمر (سوريا العليا)، على الضفة اليسرى لنهر الفرات، تعرف باسم "كار شلمنصر"، استولى عليها الملك (شلمنصر الثالث) في القرن التاسع ق.م وبأشر ببناء قصر لم ينته تشييده إلا في القرن السابع ق.م. ينظر: هنري س. عبّودي، معجم الحضارات السامية، ط2، لبنان، 1991، ص 209.

³ مصطفى أعشي، "الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي"، مجلة المؤرخ الإلكترونية، العدد9، المغرب، 2011، ص 33.

⁴ Le Glay (marcel.), "les religions de l'Afrique romaine au II siècle d'après Apulée et les inscriptions", Atti del i convegno di studio su "l'Afrique romaine", università di Sassari, Italie, 15-17 dicembre 1983, p. 56.

تعني بأي حال من الأحوال وجهه، كان النطق الأول لكلمة (TNT) هو تانيت¹، وهو جذر سامي قديم، ويعني العطاء، ومعناها بالهيريوغليفية الحياة². ويُقر (كنتو جون) أيضاً بأن هناك اختلاف في تفسير وشرح معنى (تانيت بنيبعل)، في أن يكون معناها قرينة بعل، أو المراد منها ذكر اسم مكان فيكون المعنى؛ تانيت ربة بنيه بعل، وحقيقة هذا التفسير لم يتفق عنها بعد³. وفي كل الفرضيات والنتائج التي تم التوصل إليها إلى غاية ظهور شواهد هيكل الحفرة، كان "ر. دوسو" (R. Dussaud) هو الباحث الفرنسي الوحيد الذي قرأ، ومنذ 1907، نصاً يذكر ت ن ت على هذا الشكل "تينت" (Tynt)⁴. كما قرأت أيضاً تانيت، وفي بعض أنصاب الحفرة التي كُتبت بلغة إغريقية نجد اسم الربة قد كتب بطريقتين مختلفتين، ثينيث (THINITH) وثنيث (THENNITH)⁵، وهو ما أشار إليه (فنطر محمد حسين) في قوله: [اسم الربة بلغة إغريقية بأذن أجنبية، ولهذا يجب أن نحذر من الكتابات الأجنبية عندما يتعلق الأمر باسم سامي]⁶.

¹ Lipinski (Edward.), dieux et déesses de l'univers phénicien et punique, Peeters Publisher, paris, 1995, p. 199.

² Harden (d.), the Phoenicians, Thames and Hudson, New York, 1962, p. 88.

³ جون كنتو، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 2011، ص 128.

⁴ مصطفى أعشي، "الربة تانيت..."، ص 33.

⁵ البشير كيحل، الحضور الديني...، ص 111.

⁶ Fantar (M.), Carthage..., P. 254.

فالعديد من هذه الأسماء يتغير معناها إلى درجة أنها أحيانا تفقد شكلها الأصلي*.

كما أطلق عليها الأسماء الموالية: الآلهة الراعية- سيدة القمر- مانحة الخصوبة¹.

2.2. الأصل (أوجه التشابه والاختلاف بين الأصل الليبي والفينيقي القديم)

مما سبق ذكره أن سكان بلاد المغرب القديم قد عبدوا كوكب القمر والتي تجسدت في ما بعد بعبادة الإلهة (تانيت)، وعند البحث عن أصل الإلهة تانيت بعد التطرق لآراء الباحثين، يمكن طرح إجابة لمجموعة من التساؤلات حول أصولها، هل هي محلية أم أجنبية فينيقية جاءت للمنطقة بمجيء الفينيقيين؟

1.2.2. الأصل الليبي القديم

في البداية نتعرف على معنى تانيت لدى سكان المنطقة، حيث استخدم (أعشي مصطفى) لفظة الأمازيغية بدل الليبية القديمة، وذلك نسبة لسكان المنطقة (الأمازيغ)، فالعديد من الكلمات التي لها علاقة ب: ت ن ت، منها تانيت في حد ذاتها التي تعني الحنايا، تانايت أو تنيت، يعني قلت، أمرت أو أوحيت، تانيت: شفته، اطلعت عليه، تعرفت عليه، أما تانت (Tant) فتعني أيضا: ينظر، يصون، يحفظ. ومن الناحية اللغوية فتعني النظرة الثاقبة والوضوح والحماية العلوية².

* حيث ورد ذكرها بعد الترجمة للغة العربية دون تغيير بهذا الشكل: "كانت تصور هذه الإلهة الأم غالبا بأذان الحبوب أو التفاح، أو العنب، فلا يمكننا فهم المقصود من هذه الجملة". ينظر:

-Walzik (Günther.), op-cit., p. 62.

¹ Ibid.

² مصطفى أعشي، "الربة تانيت..."، ص 34.

ثم أضاف أنه من الممكن أن تكون تانيت اختصاراً لكلمة ثاذ أنيث، التي تعني هذه العظيمة، والتي أصبحت تانيت مع مرور الزمن بعد تآكل حرف "ذ"، ومما يرجح كفة هذا الافتراض وأنها ذات أصل أمازيغي، أن تانيت تتضمن بعض خصائص اللغة الأمازيغية المتمثل في أن الأسماء المؤنثة الأمازيغية تبدأ بحرف التاء وتنتهي أيضاً به مثل: (تامغرات = المرأة)¹، فبالرجوع إلى قواعد النحو الليبي القديم حيث تحمل الأسماء المؤنثة في آخر الكلمة حرف (التاء)، كما يبدو أنها نتاج اندماج المعبودات الفينيقية إلات وعشترت².

حسب رأي المتخصصين في اللغات فإن اللغة الأمازيغية هي الوحيدة التي تفتح اسم المؤنث بحرف (التاء)، وتختتم بنفس الحرف (تانيت)³.

ويمكن إضافة إلى ما ذكر أن روني دوسو (Dussaud) نقلاً عن (أعشي مصطفى) سبق له أن أشار إلى الأصل الأمازيغي للربة في مقال نشر سنة 1907م في مجلة (Le journal les Savants) حيث نقرأ في صفحة 43: « لأن اسم تانيت أو تانيت المنطوقة تينت (tent) ليس فينيقياً ولكن إفريقياً (أمازيغياً) »⁴.

وكما ساند "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) الرأي الذي يؤكد أن الكثير من أسماء الأشخاص والأماكن تبدأ بحرف (التاء) وتختتم بتاء التأنيث الزائدة⁵.

¹ مصطفى أعشي، "الربة تانيت..."، ص 34.

² فتحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 303.

³ الصالح بن سالم، المرجع السابق، ص 62.

⁴ مصطفى أعشي، "الربة تانيت..."، ص 34.

⁵ Gsell (st.), H.A.A.N.T, 6, pp. 247-249.

أما (أيوب محمد سليمان) فقد أشار إلى أن القرطاجيون قد وجدوا فيها صورة من الإلهة (عشترت) الفينيقية فاتخذوها زوجة لإلههم (حامون)، وقد حافظت هذه الإلهة على أصلها الليبي القديم ولم تتمكن الأساطير الفينيقية من أن تغير صورتها فظلت الزوجة الليبية لقرينها الفينيقي¹.

لكن في المقابل طرح (عصفور محمد أبو المحاسن) مشكلة تمثيل تانيت الغرب بتانيت المدن الفينيقية الشرقية ومبرر ذلك لعدم وجود آلهة تشبهها شأنًا إلا (عشترت) عند بعض الباحثين وفي هذا التشبيه تصادم، خاصة بعد العثور على شاهد في القرن الثاني قبل الميلاد في قرطاجة أقيم تحية للإلهة (عشترت) يضاف إلى ذلك الاختلاف في رمزية الإلهتين، لأن (عشترت) رمزا للخصب ومرتبطة بالأرض، بينما تانيت بعل ربة سماوية مرتبطة أساسا بالقمر².

ويدعم هذا الرأي "هاردن" (Harden)، في قوله: [لكن هذا غير مقبول لأننا مازلنا بعيدين عن معرفة لماذا أصبحت عشترت في الشرق تانيت في الغرب لغياب الأدلة الشرقية عليها]³.

ونفس طرح (الجربي فيصل علي أسعد) الذي يقول أن بوصول الفينيقيون إلى بلاد المغرب القديم وجدوا تشابه بين إلهتهم عشترت وإلهة المنطقة تانيت فقاموا بعبادتها⁴، يضاف إلى ذلك أنها مماثلة للإلهة (اسطرطه) وهي إلهة القمر بمدينة صور، وعرفت عند الإغريق باسم (هيرا) زوجة (زيوس)، و(جونو)

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة...، ص 187.

² محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 147.

³ Harden (d.), op-cit., p. 88.

⁴ فيصل علي أسعد الجربي، المرجع السابق، ص 66.

سيليتيس) زوجة (جوبتر) عند الرومان¹، وقد استمرت عبادتها في ظل الحضارة النوميديّة تحت اسم الإلهة "كايلستيس" (caelestis)².

وكما سبق ذكره -الفصل الثاني- أن اسم تانيت قد اقترن باسم الإلهة (انيت) في مصر، وهي معبودة مدينة سايس (صا الحجر) في غرب الدلتا وكانت إلهة الصيد، وقد ورد ذكرها منذ عصر ما قبل الأسرات على فخار نقادة، ولعبت دوراً مهماً في المعتقدات الجنائزية منذ متون الأهرام بصورتها على هيئة سيدة تلبس تاج مصر السفلى الأحمر وتمسك بيدها قوساً وسهمين³.

وقد عرض (أعشي مصطفى) مجموعة من آراء الباحثين حول هذا الموضوع والمتمثلة في أن هناك من الباحثين من يعتقد أن الربّة تانيت أصلها مصري ويعتمدون في ذلك على مجموعة من العناصر منها:

- التقارب الموجود في الاسم بين تانيت الأمازيغية وانيت التي كان يعتقد أنها مصرية.

- التشابه بين رمز تانيت ورمز غنخ المصري*.

¹ أحمد صفر، المرجع السابق، ص 116.

² Bosco (j.), le temple de Tanit-caelestis de Cirta, R.N.M.S.A.H.G.D.C, Constantine, 1923-1924, p. 285.

³ خزل الماجدي، الدين المصري...، ص 81.

* للاطلاع أكثر عن الموضوع ينظر: مصطفى أعشي، "الربّة تانيت..."، ص ص 37-38. أو محمد فتحي عبد الغني محمد، المرجع السابق، ص ص 1451-1452.

أما (عقون محمد العربي) فبرّر رأيه في الأصل الليبي القديم باستمرار تجسيد رمزها ليومنا هذا، فهي مجسدة في الإبزيم الفضي الذي تمسك به المرأة لباسها وفي الوشم خاصة على جبهة المرأة¹.

وما يمكننا التوصل إليه من عرض الآراء التي تؤكد الأصل الليبي للإلهة تانيت أنها ولدت في بلاد المغرب القديم، ثم انتشرت وغزت الحوض الغربي للبحر المتوسط حتى وصلت المدن الفينيقية في الشرق.

2.2.2. الأصل الفينيقي

من الناحية اللغوية فإن علماء اللغة يعتبرون أن اسم تانيت مشتق من الكلمة الفينيقية "ايتن" (itin) أي يعطي وكانت مختصة لمنح الذرية والغنى². وقد اهتم أغلب الباحثين بموضوع أصل تانيت، حيث يميلون إلى ربط أصلها الفينيقي وذلك باعتبار أن مؤسسي قرطاج ذوي أصول فينيقية من مدينة صور وأنهم نقلوا معهم أربابهم وعقائدهم، بالرغم من أن اسم تانيت لم يظهر إلا نادرا في لبنان والشرق، بالمقارنة مع آلاف الشواهد المستخرجة في بلاد المغرب القديم³.

¹ محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع...، ص 215.

² الصالح بن سالم، المرجع السابق، ص 62.

³ مصطفى أعشي، "الربة تانيت..."، ص 36.

ومع التوسع الفينيقي ونشاط التجارة تزايد النفوذ الديني الفينيقي وزاد تأثير بعض الآلهة التي حظيت الآلهة بشعبية كبيرة، مثل تانيت وحامون¹، وما يفهم من هذا الرأي أن الإلهين قدما إلى المنطقة منذ بداية العلاقة التجارية مع فينيقيا. وإذا اعتمدنا على الأساطير في حقيقة عشتارت -البقرة السماوية- التي تعتبر الإلهة القمرية حسب قول (السواح فراس): [منذ أن رأى الإنسان في القمر تجسيدا لعشتار ربط في ذهنه رمزيا بين قرون البقر وقرني الهلال، وصور في خياله الأم الكبرى على هيئة بقرة سماوية يرسم قرناها هلالا في السماء وقد استمرت هذه الصورة الباليوتية والنيوليتية مرتبطة بالأم الكبرى في عصور الكتابة]²، فمن خلال هذه الأسطورة نتوصل إلى عبادة الإلهة عشتارت سبقت عبادة الإلهة تانيت بوقت طويل.

أما بالاعتماد عن الأبحاث الأثرية التي كشفت عنها حفريات قرطاجة، لا يمكن اعتبار هذا الرأي الذي يدمج بين تانيت وعشتارت صحيحا، خاصة تلك النقيشة البونية التي عثر عليها الأب "ديلاتر" (Delattre) بـ"سانت مونيك" (saint-Monique) في قرطاجة عام 1898م، تتضمن نصب بوني طويل نقش فوق قطعة من الكلس الأبيض مؤرخة إلى القرن الرابع قبل الميلاد³.

¹ Aubet (Maria E.), the phoenicians and the west, Cambridge University, Britain, 1993, P. 127.

² فراس السواح، لغز عشتار...، ص 70.

³ Delattre (R.p.), Nécropole punique de la colline de Sainte-Monique, op-cit., P. 12.

وحسب "فيرون" (Ferron) نقلا عن (السواح فراس) الذي حاول ترجمة، وملاً بعض النقائص التي ميزت هذه النقيشة، فإن السطر الأول من النص يكون كالتالي: [السيدتين، لعشتارت ولتانيت لبنان معبدتين جديدين وكل ما يتضمن بناء "هذين المعبدتين"]¹.

كما أن الحفريات الأثرية التي أجرت في برّسا (Byrsa)* قد عثر فيها على عدد كبير من اللوحات النذرية المخصصة للإلهة تانيت والإله بعل حمون، وقطعة من نقش لاتيني تحطم جزء منه يحتوي على مجموعة من الجعارين والتمايم في مقابر المنطقة ووجدت من ضمنها رمز تانيت².

ولعل هذا الربط لتانيت بجبل لبنان، بدل من ربطها بالمنطقة التي اكتشفت بها القطعة غير كافي خاصة وأنها من الآثار المنقولة، فكيف يؤكد الأصل الفينيقي لها بالاعتماد على نقيشة واحدة، ضف على ذلك فمن الممكن أن تكون قد قدمت على شكل هدية بين سكان بلاد المغرب القديم وفينيقياً.

يضاف لها الاكتشافات الأثرية المتعلقة بـ: تانيت في لبنان، والتي تشير إلى وجود عبادة أو عباد هذه الربّة، نقيشة فينيقية تعود على ما يظهر للقرن السابع قبل الميلاد، عبارة عن صفيحة عاجية استخرجت من هيكل فينيقي في

¹ فراس السواح، لغز عشتار...، ص 115.

* جاء في قول فلوبيير غوستاف: [...]وهناك في أسفل حي برسا بدت كتلة من البناء طويلة سوداء: ذاك معبد تانيت به مجموعة من المباني والحدائق...]. غوستاف فلوبيير، سلامبو، ط1، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، 2010، ص92.

² Delattre (R.p.), Nécropole punique de la colline de Saint-Louis, imprimerie Mougin-rusand, Lyon, France, 1896, P. 13.

موقع سريبتا* مهداة إلى تانيت-أسطارتي (عشتار) بجانب رمز تانيت مطبوع على قرص زجاجي صغير قطره 01سم¹.

تتضمن النقيشة ما يلي:

h s m / 'z Q/l s/m bn m/p'al Bn 'zy l/tnt 'strt

ح س م / ' ز ق/ل ش ل م ب ن م/ب عل ب ن ع ز ي ل /
ت ن ت ع ش ر ت

وترجمها العالم بريتشارد إلى اللغة الإنجليزية على الشكل التالي²:

«The Statue which Shillem, son of Mapa' al, son of 'Izai made for Tanit Ashtart ».

معناها باللغة العربية: «التمثال الذي (تقدم به) شليم، ابن ماباعل، ابن عزي صنع من أجل تانيت عشتارت³».

فالنقيشة تتحدث عن شخص يسمى شليم صنع تمثالا وقدمه إلى تانيت عشتارت في معبد فينيقي، ربما عبارة عن معبد الربة تانيت عشتارت.

كما عثر في فلسطين بموقع (تل عكو) وفي (شافى زيون) على الشكل المعروف برمز تانيت وفي صيدون (Sidon) عثر على قطعة فخارية منقوش

* تقع على بعد 13 كلم جنوب صيدا (لبنان) ينظر:

– Lipinski (Edward.), op-cit., p. 202.

¹ Tejera (Antonio.), Chavez (Esther.), "el signo de Tanit y la religion de los libios: una hipotesis interpretativa", colloque international organisé à Siliana et Tunis, Tunis, 10-13 mars 2004, P. 298.

² مصطفى أعشي، "الربة تانيت...", ص 36.

³ Tejera (Antonio.), Chavez (Esther.), op-cit., p. 298.

عليها: ج ر ت ن ت (GRTNT) التي تعني المخلص لتانيت، تعود للقرن الرابع قبل الميلاد، لشخص صيدوني يحمل اسم ب د ت ن ت (TNT Bd) عبد تانيت منقوش باللغتين الفينيقية والإغريقية¹، إضافة إلى العثور على أكثر من مائتين وخمسين (250) تمثالا نسائيا مصنوعا من الطين الذي من الممكن أن تكون تمثيلا للإلهة تانيت².

ووجد صفة بيني بعل Pène Ba بمفرده على العملات النقدية من "عسقلان" (Ascalon) تعود للقرن الثاني الميلادي³.

والرأي الذي يمكن ترجيحه هو رأي (عمران عبد الحميد)، حيث أكد فيه غياب عبادة تانيت في بعض المدن النوميديّة لعدم ذكرها في النقوش التي تم التقاطها، وأن عبادة هذه الآلهة كان لها حضور في قرطاجة وتسربت عبادتها إلى باقي المدن البونية، لكنها لم تسجل فيها التفوق نفسه الذي شهدته في قرطاجة، خاصة في المدن النوميديّة⁴.

فباستثناء سيرتا فإن عبادتها كانت قليلة جدا، ومن مظاهر العلاقات الدينية الفينيقية مع بلاد المغرب القديم، وجود هدايا جنائزية في الكثير من المقابر المنتشرة في المنطقة⁵.

¹ Delattre (R.p.), Nécropole punique de la colline de Sainte-Monique, op-cit., P. 11.

² Tejera (Antonio.), Chavez (Esther.), op-cit., p. 298.

³ Lipinski (Edward.), op-cit., p. 201.

⁴ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 61.

⁵ للاطلاع أكثر عن المدن الفينيقية والبونيقية ينظر:

وتجدر الإشارة إلى أن تعرض معابد تانيت في قرطاجة للتدمير من قبل الرومان¹، جعل الوصول إلى حقيقة هذه الإلهة أمر صعب.

3. رموزها ومدلولاتها*

من المعروف أن الإنسان يعيش في عالم من الرموز، فهو من أنشأها أول مرة بشكل عفوي حتى يفهم وجوده على مر التاريخ، لتصبح فيما بعد جزءا من كيانه وتتلبس به تلبساً بل بات يشعر أن وجود عالم بلا رموز معناه، الموت الروحي للإنسان فالعلاقة بينهما علاقة متلازمة، والرموز الدينية تعبر بصدق عند عقيدة سكان بلاد المغرب القديم.

ويبدو أن الرمز يطمح دائماً إلى ما هو قدسي وما هو إلهي، ولذلك فقد زرع الإنسان الطبيعة بالعديد من الآلهة من أجل إيجاد تفسير للألغاز والخفايا وأعطى لهذه الآلهة صفات بشرية أو حيوانية، وقد أكثر منها لتغطية حاجاته الدينية وشملت هذه الآلهة الظواهر العامة، فجاءت السماء رمزا للقوة التي تفوق العقل والشمس رمز الدفء أو الحقيقة المشعة، والنجوم رمز المثل الإنسانية

– Crayon (Nicolas.), les ports phéniciens et puniques, these de doctorat en sciences de l'antiquité- archeology, universite Strasbourg, France, 2008, pp. 482-510.

¹ D. Shaw (Brent.), sacred violence, Cambridge, Bretagne, 2011, P. 234.

* الرمز (symbole): كلمة مأخوذة من اليونانية (sun-bolan)، وله قيمة تطهيرية تتجدد به القوة.

– chevalier (Jean.), Dictionnaire des symboles, robert laffiront, paris, 1982, pp. 913-914.

والجبال بقممها رمز السمو، والصواعق رمز العقاب، لذلك فالرمز مظهر المحاولة البشرية لإدراك العالم الإلهي¹.

وقد ظهرت الرموز الدينية على الأنصاب والحلي، والتماثيل في مقابر المنطقة ومن ضمنها رمز الإلهة تانيت²، كما وجدت في العديد من شواهد القبور وحجارة التكريس³.

ونظرا لكون أن لها صفات سماوية وأخرى أرضية ومن ضمن صفاتها السماوية علاقتها بالقمر، أما الأرضية علاقتها بالخصب لأنها ذات صفات مرتبطة بالخصوبة كما يظهر من الرموز التي صاحبت اللوحات المقدمة إليها (حمام - نخيل - رمان...).

فكانت تسهر على راحة المدينة وعلى رزق سكانها، وخصب أراضيها ونمو أنعامها، إضافة إلى لمنحها كل الخير لسكانها لكونها الأم الحنون، فوجب عليهم التقرب إليها ابتغاء مرضاتها⁴، لذلك تعددت رموزها بين الرموز الحيوانية والنباتية، بالإضافة إلى الرموز الكونية والبشرية، فكل رمز وصورة عنده تفسير، ويمكن حصرها كالآتي:

¹ أحمد أبو زيد، "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي"، مجلة عالم الفكر، المجلد 16، العدد 3، الكويت، 1985، ص ص 01-26.

² Delattre (R-p.), Nécropole punique de la colline de Saint-Louis, op-cit., P. 13.

³ Walzik (Günther.), op-cit., p. 61.

⁴ محمد فنطر، قرطاج لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس، 1963، ص 46.

أ- الرموز الحيوانية

في الفصل الأول تطرقت لمكانة عبادة الحيوانات لدى سكان بلاد المغرب القديم منذ فترة ما قبل التاريخ وهو ما تؤكد الرسوم الصخرية في المناطق الصحراوية والأطلس الوهراني، إضافة إلى العثور على صورها على النصب الجنائزية، والعملات النقدية في عدة مناطق من بلاد المغرب القديم ومنها:

رمز البقرة، لكن لا تظهر على هيئة البقرة الكاملة بل تظهر برأس البقرة أو بقرون أو تشير إليها النصوص الميثولوجية والطقسية بلقب البقرة¹.

أما رمز الحمامة فهو للسلام والبشارة²، ولقد زينت رسومات الحمامة على النصب الجنائزية أثناء الفترة الفينيقية- البونية، فنجد هذا الطائر دائماً يصاحب معبودة "تانيت" بزوجين واحد على اليمين والآخر على اليسار، مثل ما نجده في موقع مكثر ومغراوة بتونس، وقد استعملها البونيين كرمز للمعتقد الديني وسلامة الروح نحو العالم الآخر، ورمزاً لمعبودة الأم³.

وتشير السمكة إلى علاقتها بالبحر والخصوبة، وصفة الأمومة⁴، ففي بلاد المغرب القديم كانت مقدسة باعتبارها وسيلة لاتقاء شر العين والحسد، وحتى اليوم مازال رمزها العلاجي مقبول عند سكان المنطقة خاصة في تونس⁵.

¹ فراس السواح، لغز عشتار...، ص 70.

² فليب سيرنج، المرجع السابق، ص 191.

³ شريف قوعيش، المرجع السابق، ص 311.

⁴ خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية...، ص 84.

⁵ فليب سيرنج، المرجع السابق، ص 210.

ب- الرموز النباتية

تتمثل رمزية شجرة النخيل على المستوى الأنثروبولوجي في العديد من الصور، في أنها رمز الحياة عند الإنسان القديم، ونجد لها حضوراً رمزياً قوياً في الشعائر والطقوس الجنائزية، فالى جانب سكب الماء وتقديم الطعام والذبائح كقرايين جنائزية على روح الميت، فإنه يعتقد أن وضع أوراق هذه الشجرة في قبر الميت أنها ترطب جو القبر، إضافة إلى أن رمزية اللون الأخضر للخصب والحياة، والربيع¹.

كما أن شجرة النخيل مرتبطة بالخصوبة، حيث عثر في كل من قرطاج ومعبد الحفرة على لوحات مخصصة للإلهة تانيت تحمل شعارات الخصوبة بما في ذلك شجرة النخيل، لاسيما النخلة الحاملة للتمر، (الشكل رقم 26 ص 401). وفي ذلك إشارة واضحة إلى طابع الخصوبة المنسوب إلى الإلهة تانيت، يضاف إليها وجودها على العملات المعدنية سواء الفضية أو المعدنية².

والأمر المثير إلى الاهتمام في ما وجد بقرطاج هو أنه نادراً ما تكون شجرة النخيل في الأعلى، ولكنها غالباً ما توجد في وسط الشاهدة بمفردها أو محاطة بعمودين أو علامتي تانيت أو صولجان أو زهرتي اللوتس، وفي بعض الأحيان يحدث العكس وهو أن النخيل يحيط باليد أو المبخرة، وعلى شاهدة أخرى تحتل

¹ السعيد تريعة، "شجرة النخيل في الشواهد الأثرية بنوميديا خلال الفترة القديمة"، مجلة آثار، المجلد 15، العدد 1، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016، ص 203.

² لمزيد من الاطلاع على مكانة ورمزية شجرة النخيل في عبادة الإلهة تانيت ينظر: -benseddik (N.), "un nouveau témoignage du culte de tanit-caelestis à cherchel?", antiquités africaines, T20, 1984, pp. 175-181.

اليد المباركة للألوهية مركز الجذع، مما يشير إلى العلاقة الوثيقة القائمة بين شجرة النخيل والألوهية¹.

وكما وجد لها نصب يحمل رمانة، هي بهذا المكان الشرفي رمز إلهي، فالرمانة تحتوي بداخلها العديد من الحبات وفي ذلك إشارة للخصب².

ج- الرموز الكونية

اتخذت الإلهة تانيت رمز الهلال والقرص، فالحلال يشير إلى القمر والقرص إلى الشمس، ووجد هذان الرمزتان مترادفان ولا يمكن الفصل بينهما، حيث كشف (سيرنج فليب) أن الشمس عند الشعوب البدائية من جنس ذكوري والقمر من جنس أنثوي³، وقد وجد صور الهلال والقرص بعدة وضعيات، منها صورة الهلال تقترب من قرص الشمس حتى تلامسه في الوسط، وفي أخرى أسفل الهلال وهو مقلوباً⁴، وأحياناً يعوض بنجمة كرمز سامي قديم⁵.

كما عثر رمزها على الحجارة المنقوشة وقد اتخذ شكل مثلث فوقه دائرة وهلال وفسر على أنه أنثى ذات طابع قمري⁶، وفي شواهد القبور وحجارة التكريس، اتخذت شكل أنثى، وفي الجزء العلوي شكل هلال وشمس¹.

¹ Ibid.

² اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 188.

³ فليب سيرنج، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1992، ص 384.

⁴ Foucher (Lois.), Hadrumetum, presses universitaires de France, paris, 1964, P. 44.

⁵ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 60.

⁶ Roschinski (Hans p.), Die Numider, "Die punischen Inschriften"..., p. 109.

وفي المقابل شكّك "ستيفان جزال" (Stéphane Gsell) في الطبيعة القمرية لتانيت وأن هذا الموضوع بحاجة إلى البحث فيه، مستندا في ذلك على رمز القرص الذي يمثل قمر التمام (البدر)، ومن غير المؤكد أن هذا الرسم لدلالة عن هذه الإلهة، فلربما أن الرسم كان مجرد إشارة للسماء وإلى أن تانيت ومعها بعل حامون يقيمان بها، ومن الممكن أنه مجرد شعار غامض يرمي صدفة على الآثار الدينية ولا معنى له².

ويستدل من ذلك أهمية القمر في الديانة القرطاجية، والشعارات المقدسة المعروفة باسم "الكادوسي" (Caducées)* وأن رمزي الهلال والقرص لم يمكثا رمزين لتانيت بني بعل الذي تحول في وقت لاحق إلى صورة إنسان يحمل أحيانا هلالا بيديه المرفوعتين³.

د- الرموز البشرية

مما سبق ذكره أنه تم العثور على أكثر من مائتين وخمسين (250) تمثالا نسائيا من الطين بالقرب من شافي زيون (حيفا) على الساحل الشمالي

¹ Walzik (Günther.), op-cit., p. 61.

² اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص 189.

* الكادوسي (Caducées): أصل كلمة يونانية من لفظة (Kérukeion)، والتي تعني شارة المبشر، والذي أتخذ رمزاً للطب، للاطلاع أكثر ينظر:

-Rousseau (marie.), histoire d'un symbole le Caducée, thèse pour le diplom d'etat de docteur en médecine, université de limoges, France, 1997, pp. 12-14.

³ اصطيفان اكصيل، ج4، المرجع السابق، ص ص 190-191.

لفلسطين، حيث يظهر فيها تمثيلاً لامرأة واقفة ترتدي سترة طويلة ويدها اليمنى مرفوعة وفي ذلك رمز للمباركة والحماية¹.

أما في بلاد المغرب القديم ففي القرن الرابع قبل الميلاد، تم العثور على نصبين منحوتين كشف عنهما في معبد حضرموت، يمثل النصب الأول نصف تمثال لإلهة جالسة فوق مقعد فردي في وضعية جانبية ترتدي ثوبا طويلا، يدها مرفوعة للمباركة واليسرى تمسك كرة²، فاليد المرتفعة تمثل المباركة والحماية والدعاء، وعلامة للقوة والحضور الإلهي³.

وقد عثر على رمز الإلهة تانيت في العديد من شواهد القبور وحجارة التكريس، حيث اتخذت شكل أنثى ترفع ذراعيها في الدعاء والصلاة، وفي الجزء العلوي شكل هلال وشمس⁴. (الشكل رقم 27 ص 402).

أما باعتبارها الآلهة الأم فقد عثر عليها في بعض النقوش اللاتينية تحت اسم الأم: (matri magnae faciei baalis)⁵، وعند ترجمة العبارة للعربية نجدها بهذا الشكل "أم البعل ذو الوجه العظيم".

وفي قرطاجة على تمثال لإلهة جالسة فوق عرش محاطة بتمثال لأبي الهول، ترتدي ثيابا فضفاضا يغطي كل جسمها، ويؤرخ هذا التمثال إلى أواخر

¹ Tejera (Antonio.), Chavez (Esther.), op-cit., p. 298.

² Cintas (p.), "le sanctuaire punique de Sousse", r.afr,n°91, Alger, 1947, p. 21.

³ Roschinski (Hans p.), Die Numider, "Die punischen Inschriften"..., p. 109.

⁴ Walzik (Günther.), op-cit., p. 61.

⁵ Roschinski (Hans. p.), Die Numider, "Die punischen Inschriften"..., p. 109.

القرن الثالث قبل الميلاد أو بداية القرن الثاني قبل الميلاد، ومن المحتمل أنه يمثل "تانيت"¹.

كما اتخذت رموز أخرى مثل: الصولجان حيث يتألف من عصا متوج بهلال يعلوه قرصا، ثم يخرج شريطان جانبيان من العصا، ويرمز الشكل عموما إلى جسد امرأة²، كما وجد على شكل الصولجان تلتف حوله حيتان وفي أعلاه جناحان³.

وفي القرن العشرين أثناء عمليات التنقيب بقسنطينة تم العثور على قطعة من شاهدة بعرض 20سم تحمل علامة تانيت، وفي 20 جانفي 1924م، على جزء مماثل له مصنوع من الحجر الجيري ذو اللون الأزرق الداكن يبلغ طوله 23سم وسمكه 08سم، أما عرضه 20سم، وقد برزت فيه ألوهية تانيت وهي تمسك الصولجان بيدها اليمنى، وقد تم نقلها إلى متحف اللوفر بباريس⁴.
أما في معبد الحفرة، فعثر لها على عدة نصب تحمل نقائش نذرية لتانيت وهي تحمل الصولجان. (الشكل رقم 28 ص 402).

إضافة إلى رموزها بالأشكال الهندسية فتكون من ثلاثة عناصر أساسية الموائية، والتي ستكون دراسة لنصب الإلهة تانيت في المتحف الوطني بسيرتا:
- القاعدة المكونة من مثلث أو شبه منحرف.

¹ عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص 64.

² خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية ...، ص 82.

³ Harden (d.), op-cit., p. 88.

⁴ Bosco (j.), op-cit., p. 285.

– الخط الأفقي الذي يفصل المثلث عن القرص أو الدائرة، أو الرأس تتجه نهايته إلى أعلى على شكل يدين ممدوتين.

– الدائرة أو القرص أو الرأس الموجود في أعلى المثلث الموضوع على الخط الأفقي الذي يفصل أو يربط بين المثلث والدائرة* . (الشكل رقم 29 ص 403).

ووجد هذا الشكل منقوشا ليس فقط على النذور والنصب والشواهد، ولكن على عدد كبير من المنتوجات الأخرى، كالفخار والحلي والنقود، وينقش الرمز إما بخط بسيط أو مزدوج، أو عبارة عن نحت غائر أو بارز، وبعد تدمير قرطاج. أصبح الرمز مشخصا في سيرتا (قسنطينة) بنوميديا¹.

تساءل (أعشي مصطفى) عن قيمة هذا الرمز هو بدون شك رمز إلهي سواء بتكراره أو بموقعه على النذور ذات الطابع الديني، وقد امتزج واختلط رمز تانيت مع عدد آخر من الرموز كالنجوم والكاديكيوس واليد والمذبح، إلا أنه يحتل دائما موقعا متميزا في الشواهد والنذور والنصب، سواء في أعلاها أو في أسفلها أو في وسطها².

* اختلف الباحثين في تفسير رمزية تانيت، وقد جمعت "دوفريس إيزابيل" (Isabelle Dufresene) هذه الفرضيات، وطرحت وجهات النظر المختلفة لهذا الموضوع.

–Dufresene (Isabelle.), le symbole de Tanit. Étude d'iconographie phénico-punique: bilan et perspectives, mémoire présenté à la faculté des études supérieures, université de Montréal, canada, décembre 2004, pp. 06–19.

¹ Tejera (Antonio.), Chavez (Esther.), op-cit., p. 309.

² مصطفى أعشي، "الربة تانيت..."، ص 34.

4. أماكن عبادتها ومعابدها

أقيمت للإلهة تانيت العديد من المعابد في بلاد المغرب القديم، (الخريطة رقم 10 ص 410) منها ما هو مخصص لها لوحدها، ومنها ما ارتبطت فيه مع الإله بعل حامون، ففي متحف سيرتا عثر على نصب نذري يحمل نقيشة نذرية تقدم للآلهة اعترافا لها بفضلها على ناذريها. (الشكل رقم 30 ص 403).

فبتاريخ نوفمبر 2007، افتتح في معهد العالم العربي مع قسم الآثار الشرقية بمتحف اللوفر معرضاً حول "البحر الأبيض المتوسط للفينيقيين من صور إلى قرطاج"، وبعد عرض مجموعة من المصادر الأرشيفية تم التوصل إلى أن قرطاج لم يكن الموقع الأثري الواحد، بل تنتشر آثارها في عدة أماكن لكن أهم معلم أثري لها موجود في "سلامبو" (salammbo)*، فمنذ اكتشافه عام 1921م لغاية اليوم هو من يفسر الممارسات الدينية القرطاجية، ففي إحدى القصص التي رويت لـ"الصقلي ديودور" (Siculus Doidorus): [أنه الليل، لكن ليلة ليست مظلمة بلا شك، لأننا في قرطاج... يبدو أن المشهد مضاء فقط بالموقد المضاء في الحفرة المقدسة التوفه، نرى الانعكاسات بدل التوهج، لكن التمثال البرونزي الكبير لبعل

* سلامبو (salammbo): أخذ هذا الموقع اسمه من اسم بطلة "رواية سلامبو" للمؤلف الفرنسي جوستاف فلوبير (1821-1880م)، والتي ترجمت إلى عدة لغات لاعتبارها أهم مرجع يتناول الأحداث التاريخية التي شهدتها قرطاج، أما من الناحية الأركولوجية فيتميز هذا الموقع بتراكم طبقات أثرية مختلفة، تحتوي كل منها على مجموعة محددة من اللوحات النذرية التي وضعت على عظام بشرية أو حيوانية مكلسة، وبعض المجوهرات أو التماثيل، وقد وصف هذا الموقع على أنه ملاذ أو مقدس المنطقة. للاطلاع عن هذه الرواية ينظر:

– Flaubert (Gustavo.), salammbo, Tr. Bayo (ciro.), sucesores de rivadeneyra, Madrid, pp. 87-139.

حامون، المنصوب على حافة الحفرة المقدسة... يقف أمامه عازفوا الدف، الذي يصدرون ضجيجاً يصم الآذان، الأب والأم حاضرين، يجب على أن لا تبكي ولا تتأوه، إنهم يسلمون الطفل إلى الكاهن، يتقدم به إلى طول الحفرة، ويقطع حلق الطفل بطريقة غامضة أو وفقاً لطقوس خاصة... ثم يضع الضحية الصغيرة على يدي التمثال الإلهي الممدودتين، ومن هنا يتدحرج إلى اللهب¹.

لكن ما عثر عليه من شواهد مادية في هياكل التضحية بقرطاجة لا تقدم الدليل القاطع على روايات الكتاب الكلاسيكيين، خاصة (الصقلي ديودور) الذي عرف عنه أنه لم يكن يراجع ما يقال له، حيث يكتب كل ما يسمعه بل يجعل على العكس من ذلك التشكيك في هذه الروايات من المحتمل أن النص الكلاسيكي يعكس حالة من عدم الفهم لظاهرة "التضحية بالأطفال"، فمن المحتمل أن تكون التوفه مجرد مقبرة للأطفال الذين ولدوا ميتين أو المشوهين.

سبق الذكر-الفصل الثاني- أن القرطاجيون يعتبرون "التوفيت" (Tophet) مكان مقدس، تحفظ فيه الأواني الفخارية، التي تحتوي على عظام الأطفال أو الحيوانات الصغيرة المحروقة بعد تقديمهم قرابين للإلهين بعل حمون وتانيت وفي ذلك دليل على أن "التوفيت" (Tophet) لم تكن مكاناً خاصة بقرابين الأطفال لوحدهم.

كما كانت تانيت حاضرة مع بعل حامون في التوفه بحضرموت (سوسة)، حيث تم اكتشاف هذا الحرم بالصدفة عام 1863م، والذي تم التنقيب فيه بعد

¹ Gutron (clémentin.), "les fouilles du tophet salammbo et la question des sacrifices d'enfant " l'année du Maghreb, n°4, paris, 2008, pp. 45-65.

الحرب العالمية الثانية التي اعتقد فيها المتخصصين في الآثار أن التضحية لم تكن موجودة على الإطلاق، وأن العظام التي وجدت بالمنطقة لذرية ميتة¹. وفي هذا الاعتقاد مساندة لما ذكر أن وجود البقايا الأثرية لتوفيت ليست بالضرورة لظاهرة التضحية بالأطفال، وأن هذه المواقع ليست بالضرورة مخصصة لعبادة الربّة تانيت.

وفي المقابل تشير الدراسات إلى أن قرطاجة تميزت في النصف الثاني من القرن السادس إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ببسط نفوذها على حوض البحر الأبيض المتوسط بما في ذلك المستعمرات الفينيقية مثل سردينيا وصقلية خلال (500-550 ق.م) التي كانت خالية من التوفيات، لكن في وقت لاحق عثر بها على 220 جرة، و157 شاهدة، ويظهر فيها الإهداء لتانيت على الفخار المكسور ومن علاماتها: اليد، النخلة، وغيرها²، التي يستدل بها على أن تأثير الإلهة لم يقتصر على بلاد المغرب القديم، بل على كل مناطق حوضي البحر الأبيض المتوسط.

كما وجد في أحد المواقع جنوب مدينة الخمس على عارضة حجرية مستطيلة الشكل، نحت عليها في الوسط عضو الذكورة رمزاً للخصوبة، وعلى يمينه رمز تانيت، وعلى يساره صولجان، مما يعتقد أنه معبد ديني في هذا الموقع

¹ Ben Abid (Lamia.), "les scènes de sacrifice sur les stèles du tophet de Sousse", sagvntvm (P.L.A.V), n°46, España, 2014, pp. 69-78.

² d'Andrea (Bruno.), Giardino (Sara.), "le tophet", actes du VIIème congrès international des études phéniciennes et puniques, vol iii, institut national patrimoine, Tunis, 2019, pp. 1519-1551

وكذلك وجد رمز تانيت على أحد أحجار الملعب المدرج بمدينة لبدة الكبرى، وعلى مقبرة بقصر الجلدة¹.

وفي مدينة أويا وجد لها رموز في مقبرة قرقارش، وفي مقبرة رأس الغيران والتي تؤرخ بالقرن الثالث قبل الميلاد، وكُشف على عدة رسوم تخص تانيت في مدينة زليتن -تقع على الساحل الغربي لليبيا حالياً-².

أما بالاعتماد على الآثار النقائشية، قدمت (يفصح نادية) مجموعة من الأمثلة على ذلك والتي توصلت من خلالها إلى أن عبادة الإلهة تانيت لم تنحصر عبادتها في قرطاجة فحسب بل انتشرت عبادتها إلى باقي المدن البونية، لكنها لم تعرف التفوق الذي شهدته في قرطاجة، حيث كانت شبه غائبة في بعض المدن النوميديّة، ورغم ذلك عثر على آثار لها بالمنطقة وشيّدت لها معابد خاصة³. يستنتج مما سبق أن عبادة الإلهة تانيت كان لها حضوراً مميزاً في قرطاجة ثم تسربت عبادتها إلى باقي المدن البونية، لكنها لم تسجل فيها نفس الحضور الذي عرف في باقي المدن، باستثناء سيرتا، فإن عبادتها كانت قليلة جداً، ففي الوقت الذي كان فيه بعل حمون الإله الرئيسي وبدون منازع في أغلبية المدن النوميديّة كانت عبادة تانيت غائبة تماماً.

¹ Dvita (A.), "Archaeological News 1963 -1964", Libya Antiqua, n°2, Libya, 1965, p. 135.

² طه باقر، "أخبار أثرية"، مجلة ليبيا القديمة، العدد الخامس، ليبيا، 1968، ص 63.

³ نادية يفصح، المرجع السابق، ص 133.

ثالثاً: دراسة مقارنة بين آمون وتانيت في التأثير الديني

شهدت بلاد المغرب القديم، وخاصة المناطق الساحلية، ممارسات دينية متشابهة بسبب موقعها كمفترق طرق للحضارات، من الممكن أن تكون هناك حالات من التوفيق بين المعتقدات حيث اندمجت جوانب من الديانتين المصرية والفينيقية أو أثرت على بعضها البعض، ويرجع سبب ذلك إلى التشابه بين الآلهة. ونظراً للتفاعلات التاريخية والتبادلات الثقافية بين مصر وفينيقيًا مع بلاد المغرب القديم، هناك بعض أوجه التشابه والاختلاف المثيرة للاهتمام التي يجب استكشافها في أدوارها وصفاتها وعبادتها، لا سيما في سياق المغرب القديم.

1. أوجه التشابه

يتفق الإله آمون مع الإلهة تانيت في الصفات الكونية والحيوانية والإنسانية، وقد تقرب لها الإنسان في بلاد المغرب القديم من خلال تقديم الهدايا والقربان لإرضائها، وعمل على إيجاد سلسلة من العبادات ليؤثر فيها حسب اعتقادهم، فقدم لها الأضاحي البشرية والحيوانية، وما يمكن ملاحظته أن مصدر ديانة سكان المنطقة منبثق من طابع حياتهم الزراعية واعتمادهم في معيشتهم عن الفلاحة وتعد النخلة كمثل عن الإلهة تانيت¹.

2. أوجه الاختلاف

أشرنا سابقاً إلى رأي (سيرنج فليب) أن الشمس عند الشعوب البدائية من جنس ذكوري (آمون) والقمر من جنس أنثوي (تانيت)².

¹ benseddik (N.), op-cit., pp. 175-181.

² فليب سيرنج، المرجع السابق، ص 384.

وأن أسبقية الديانات القمرية على الديانات الشمسية، ففي جميع الثقافات كانت الميثولوجيا القمرية سابقة على الميثولوجيا الشمسية، وفي ذلك أولوية الليل على النهار، والقمر على الشمس¹.

حيث صور آمون على هيئة رجل على رأسه قلنسوة مزينة بريشتين طويلتين وهو شعار عدد من القبائل الليبية القديمة².

وتانيت صورت على هيئة امرأة³، عثر لها سنة 1940م على حوالي 158 قطعة نقود من الرصاص والبرونز تعود إلى القرنين الأول والثاني قبل الميلاد تحمل على وجهها صورة لامرأة على رأسها تاج وأمامها رمز النصر هي الإلهة تانيت⁴.

والاختلاف في السمات والوظائف، فإذا كان ارتباط آمون بالخلق وبمفهوم الخفية والسرية، فإن تانيت مرتبطة بالخصوبة والأمومة، وغالبا ما تتضمن عبادتها طقوساً تتعلق بالخصوبة والولادة ورعاية جوانب الحياة. (الشكل رقم 31 ص 404).

3. التكامل والتداخل

يشارك الإله آمون مع الإلهة تانيت في الرمزية الدينية، شكل هلال وشمس⁵، حيث نجد هذا الرمزان مترادفان ولا يمكن الفصل بينهما، فيرمز للشمس بالذكرورة والقمر بالأنوثة فهما يباركان لسكان المنطقة سواء الأحياء منهم أو الأموات.

¹ فراس السواح، لغز عشتار...، ص 79.

² عبد المنعم المحجوب، عبدة آمون...، ص ص 09-10.

³ d'Andrea (Bruno.), Giardino (Sara.), op-cit., p. 1531.

⁴ الصالح بن سالم، المرجع السابق، ص 61.

⁵ Walzik (Günther.), op-cit., p. 61.

4. التأثير الديني في بعض المظاهر الحضارية

للدين تأثير كبير في المجالات الحضارية القديمة، لأنه يشكل الجزء الأساسي من الحياة اليومية للفرد في بلاد المغرب القديم، ولهذا يعتبر فهم الأديان وتأثيرها أمراً هاماً لدراسة وفهم تلك الحضارات في جوانبها المختلفة، منها: الوضع السياسي، التجاري والصناعي، إضافة إلى الرقص الاحتفالات الدينية.

أ- الوضع السياسي

عندما حاصر الإسكندر مدينة صور 333 ق.م طرحت مسألة العودة إلى تقديم الأضاحي، إلا أن مجلس الشيوخ رفض ذلك ما يدعو موقفه إلى التساؤل عما إذا كان اضمحلال هذه العادة نابع من قرار سياسي وإلا من تطور طبيعي، هذا مع العلم أن هذه العادة لم تندثر تماماً ذلك أن البعض من أبناء صور وصيدا المقيمين بقرطاجة قد حافظوا على هذا الطقس¹

أما تانيت فيمكن الرجوع لرواية موت ابنة هملكار* (سلامبو) وكاهنة معبد تانيت (الخريطة رقم 08 ص 408)، بعد الحرب البونية الأولى (241-264 ق.م) لأنها لمست وشاح تانيت** في الفصل خمسة عشر².

¹ أحمد الفرجاوي، المرجع السابق، ص 209.

* هملكار (Hamilcar): قائد عسكري من أسرة آل برقة، برز في مسرح الأحداث السياسية بعد الحرب البونية الأولى. لمزيد من الاطلاع ينظر:

– westermann (William.), the story of the ancient nations, Appleton and company, New York, 1912, p. 366.

** وشاح تانيت المقدس: هو خمار مزين بالجواهر الثمينة تتشح به الإلهة تانيت في قدس أقداس معبدها، وهو حارس المدينة ومجرد ملامسته تجلب الموت المحتم لكل من يمد يده لسرقته.

² غوستاف فلوبير، المرجع السابق، ص ص 228-336.

وما يمكن التوصل إليه من هذا الطرح هو أن الإلهة سوف تغضب على شعبها في حالة ما إذا توقفوا عن تقديم الأضاحي لها مقابل تقديم الحماية لهم، أو التعدي عليها.

ب- التجارة

إن أتباع الإله آمون كانوا من أقوى القبائل الليبية والقديمة، لذلك سيطروا على طرق القوافل من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب¹.

أما تانيت فقد كان لها حضور قوي في صادرات بلاد المغرب القديم، وذلك لإقبال التجار الفينيقيين والمهاجرين من المناطق المجاورة على أخذ الدمى الجميلة التي تعد رمزاً مقدساً للمعبودة تانيت².

ج- صناعة الحلي وأدوات الزينة

مثل موقع بلاد المغرب القديم جسراً بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي، هذا ما جعل المنطقة ملتقى للتيارات الثقافية المتعددة، المتأثرة بالعديد المعتقدات المصرية والفينيقية، فأنج صانع الحلي عناصر مختلفة سواء من المعتقدات المصرية أو الشرقية، جعلاً منها إنتاجاً متميزاً يحمل بصماته وسمات حضارته المحلية.

استعملت المرأة في بلاد المغرب القديم الحلي مثل نظيراتها في الحضارات المجاورة، فازدانت بدبابيس أو حلقات لشد الشعر كما تحلت بأقراط المصنوعة على نمط سلة حبوب أو ثمرة البلوط والأخرى ملفوفة الطرفين أو مبطنة بالبرونز

¹ أحمد حسن غزال، المرجع السابق، ص 193.

² عبد العزيز الثعالبي، مقالات في التاريخ القديم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 17.

متخذة أشكال الحياة الملكية إلى جانب رمز الحياة المصري، أما صدرها فزينته بقلادات متعددة اختلط في تكوينها الذهب والفضة مع الحجارة الثمينة من العقيق والفيروز، تتوسطها في غالب الأحيان علب مستديرة الشكل المزخرف برموز دينية أو بعلب مستطيلة الشكل ذات رؤوس حيوانات ترمز إلى آلهة مصر القديمة، وفي داخلها نصوصاً ورموزاً سحرية مستوحات من النسيج المتوسطي¹.

إضافة إلى بعض الصور الأخرى للآلهة مثل صورة الإله (باس) سيد الحيوانات وواقي النساء الحوامل والأطفال، وعين الإله (حورس) الواقية من الأرواح الشريرة*.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد عرف الحلي تغيير في الأذواق حيث انتشرت الخواتم مع أساور الذهب، على حساب القلادات مع تغيير في الصور المنقوشة، والتي أصبحت تحمل صور الآلهة مثل: إيزيس، وتانيت التي أصبحت في تلك الفترة أهم إلهة معبودة عند سكان بلاد المغرب القديم²، ليتخذ رمز تانيت (المثلث)** حلي للزينة وكتعويذة من الحسد والشر، والذي لازال يستعمل ليومنا هذا.

¹ الحبيب بن يونس، "ملاحم عن المصوغ البوني"، تونس أعلام ومعالم، المعهد الوطني للتراث، تونس، مارس 1997، ص 98.

* للاطلاع عن الموضوع أكثر ينظر: زينب قندوز، "ثلاثية الاعتقاد المقدس"، مجلة الليبي، العدد 09، مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب الليبي، ليبيا، سبتمبر 2019، ص ص 40-43.

² الحبيب بن يونس، المرجع السابق، ص 98.

** الإبزيم (bzaim): هو عبارة عن دبوس كبير يتكون من مثلث وشوكة، وفي قمته حلقة على شكل هلال، يصنع غالبا من الفضة. لمزيد من الاطلاع ينظر:

فالحلي عند استعماله في المناسبات والأعياد الدينية ليس الهدف منه الزينة فقط، بل له أيضا الدور الوقائي من كل الأشرار.

د - سك العملة

سك الإسكندر العملة المعدنية ووضع عليها صورته مرتديا قرون الكبش المميزة لآمون¹.

وذلك عندما رأى المكانة المميزة لآمون الليبي عند المصريين أين فاقت قيمته قيمة آلهة مصر عندهم بما فيهم آمون طيبة، فعرف بأن استرضاءه يسهل عليه حكم مصر ويجلب له رضا الشعب المصري وكهنتهم.

ووجدت صفة بيني بعل Pène Ba على العملات النقدية من "عسقلان" (Ascalon) تعود للقرن الثاني الميلادي².

وكما سبق ذكره آمون على مكانته عند النوميدي من خلال سك عملة بوعد من الرومان سنة 49 ق.م، نقش على الوجه الأول صورة للملك (يوبأ الأول) مكافأة لمساعدته قوات (بومبي) ضد قيصر، والوجه الثاني صورة للإله آمون الكبش وبين قرنيه قرص الشمس³.

-Eudel (paul.), de bijoux de L'afrique du nord, Ernest Leroux éditeur, paris, 1906, pp. 26-30.

¹ عز سعد محمد سلطان، المرجع السابق، ص 63.

² Lipinski (Edward.), op-cit., p. 201.

³ محمد الصغير غانم، "علاقة نوميديا بالرومان"، مجلة التراث، العدد 03، مطبعة الشهاب، الجزائر، 1997، ص 24.

هـ- الرقص والاحتفالات الدينية

لقد كان الرقص عند سكان بلاد المغرب القديم وسيلة تعبيرية معروفة ليس في الحرب والقتال، بل في المناسبات الدينية أيضاً، فالى جانب رقصة البحيرة -معركة العذارى-* والتي كانت احتفالاً سنوياً منظماً يذكر المؤرخون (رقصة أمون)، حيث تدخل الفتيات المعبد وهن يغنين ويرقصن باحترام لصاحب المعبد وربّه، وتجدر الإشارة إلى أن الرقص هو عبارة عن فن تعبيرى معروف في بلاد المغرب القديم، له أصوله وطقوسه وحركاته، إيقاعه ونظمه، وأساليبه باعتباره فناً وعبادة¹.

وفي الأخير يمكن التوصل إلى أن عبادة الإلهة تانيت قد تركت بصمة أكثر ديمومة من الإله آمون في ممارسات الدينية بغرب البحر الأبيض المتوسط خاصة بلاد المغرب القديم إلى يومنا هذا.

* تم التطرق لهذه الاحتفال الديني في عنصر أساطير الإلهة تانيت.

¹ علي فهمي خشيم، "نظرة عابرة على الفنون في ليبيا القديمة"، مجلة الفصول الأربعة، العدد 22، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا، 1983، ص 281.

خلاصة الفصل

- نتج عن اتساع النفوذ السياسي وعلاقة التأثير والتأثر بين بلاد المغرب القديم ومصر وفينيقياً فرض معتقداتهما حيثما وصل نفوذهما، فلذلك ليس من الغريب أن توجد لدى مجتمع بلاد المغرب القديم صورة لإله على هيئة كبش يحمل القرص المقدس، وأن يكون الكبش أيضاً رمزاً لأكثر من إله في مصر القديمة.
- شكل اتحاد الإله المصري آمون مع الإله الفينيقي بعل ظهور الإله بعل حامون الذي يحمل الصفتين المصرية والفينيقية.
- يهدف الإسكندر من زيارته لمعبد آمون سيوة توطيد حكمه هذا من الجانب السياسي.
- نتج عن معركة هميرا 480 ق.م تغيير النشاط البحري والتجاري إلى النشاط الزراعي، جعل سكان بلاد المغرب القديم يغفلون عن تقديم القرابين لإله البحار والتجار.
- يمكن الحديث عن لجوء البونيين إلى حرق أطفالهم الذين توفوا في سن مبكرة لاعتبارهم النار مبدأً تخلصياً تطهيرياً، ولتكريس من أحرقوه من أطفالهم الأموات للآلهة لأنهم كانوا ينتظروا منهم تعويض الآباء عن موتاهم من الأطفال بأطفال أصحاء يشدون من أزر الدولة ويدرؤون عنها الخطر الداهم، فنتج عن الخوف من الأخطار الخارجية العودة إلى تقديم القرابين البشرية.
- ليس المستغرب أن البونيين اضطروا أكثر لحرق موتاهم من الأطفال حينما أصبحوا متورطين في حروب طاحنة مع جيرانهم في عرض البحر المتوسط، حصل ذلك خلال القرن الخامس ق.م، وما بعده، وهي الفترة ذاتها التي شهدت

فيها قرطاجة جملة من التحولات الشاملة التي تستحق أن تكون عنواناً إلى ثورة لأن تقديم كل ضحية جديدة سيزيد من تدمير السكان.

- يعد تعليق رمز تانيت كتميمة أو صنم له قيمة ذات طبيعة وقائية واسترضائية، حيث أنها رمز محمل بقوة نافعة كان دورها تحييد الجوانب السلبية والتغلب على شرور الموت، ويظهر طابع الحماية على الجدران وعلى عتبات المقابر والمنازل.
- من الملاحظ أن الإلهة تانيت كانت أكثر تأثيراً من الإله آمون في بلاد المغرب القديم لعدة أسباب لعل من أهمها، أخذ المهاجرين والتجار أدوات الزينة وأثاث المنزل من النحاس والقصدير، والتحف النادرة ومنها الدمى الجميلة التي كانوا يجعلونها رمزا للمعبودة تانيت عوض عن الكبش الذي كان هو من يعرف أنه رمز القوة، فكان الجمال أفتن للأبصار من القوة، فأقبل السكان على اقتنائها بلهفة شديدة وأعرضوا عن صورة الكبش، والنفوس مفتونة بالجديد الظريف حتى الرموز.

خاتمة

انطلاقاً مما تم التعرض إليه في فصول الدراسة يتضح أن موضوع تأثير المعبودات المصرية والفينيقية في بلاد المغرب القديم -دراسة مقارنة بين الإله آمون والإلهة تانيت- فيما يلي:

يشمل الدين العقائد والطقوس، وهو متكون من جانبين الأول روعي قائم على العقائد، والثاني مادي مكون من الطقوس، بمعنى أن هناك فرق جوهري بين الدين والفكر والمعتقد، فإذا كان الفكر اجتهاد إنساني عقلي قد يصيب ويخطأ، فإن الدين منسوب إلى الإله الذي يجب إتباعه وتطبيق شرائعه من دون البحث عن مدى صحته وخطأه، أما المعتقد فيعد مجموعة من الأفكار التي تشكل منهجاً معيناً يتبناه مجموعة من البشر ويسعون إلى تطبيقه عن طريق مجموعة من الطقوس وهو جزء من الدين.

وقد ربط الإنسان في بلاد المغرب القديم بين الظواهر السماوية المجهولة والظواهر الأرضية المعلومة مثل ربطه لقرص الشمس بقرون الحيوانات، حيث اتجه إلى الرمزية ذات العلاقة وذلك بلبس أقنعة الحيوانات ووضع القرون وريش الطيور على الرأس وربما الهدف منها تخويف الحيوانات المفترسة أو بهدف دفع القوى الشريرة، لتعرف تطوراً فكرياً جعله يبحث عن المعبود الحقيقي الخالق لهذا الكون.

وهذا يعني أن سكان المنطقة قد عرفوا التدرج في العقيدة من تقديس الجماد والحيوان إلى تقديس البشر، لكن في شكل حيواني أو مشبه بالحيوان، ربما بهدف إبرازه بهيئة قوية وذلك كما سبق ذكره بوضع القرون والذيل والريش، إضافة إلى الأقنعة الحيوانية.

ليصل لمرحلة تقديس البشر وتأليه الأجداد حتى بعد الموت بالنوم والقسم على قبورهم ثم انتظار التنبؤات من خلال الأحلام.

إن معتقدات سكان بلاد المغرب القديم إذا جردت مما يغلفها من طقوس ومظاهر عبادات، فإنه يمكن ملاحظة أن الظواهر الكونية كالشمس والقمر والماء، والهواء والأرض، قوة الإخصاب ومجاري المياه العذبة كانت تقديس، ويقام لها العبادات المباشرة أو عن طريق رموز تتخير لها تحل فيها، وذلك لأنها قوى تحيط بالإنسان وهي التي تكفل وجوده وتضمن له الحياة.

يعتبر تقديس بعض الظواهر الكونية أو الحيوانات كالكبش والثيران، الثعابين والأسماك تجسيدا لرغبة الإنسان في التقرب من القوى المحيطة به والمهيمنة على حياته مدفوعا بالخشية والرغبة، هذا بالفعل ما يلاحظ على ظاهرة الدين لدى سكان بلاد المغرب القديم.

نتج عن احتكاك مجتمع بلاد المغرب القديم بالمجتمعات الأخرى التعرف على عدة عبادات وتأثر بها بدمجها مع العبادات المحلية المنتشرة في المنطقة، فيجب الأخذ بعين الاعتبار الحدث البيئي الكبير والمتمثل في فترة الجفاف التي اجتاحت المنطقة واضطرار الجماعات البشرية التي كانت تعيش في الصحراء إلى الهجرة نحو مصادر المياه الدائمة حاملة معها معتقداتها وبتوالي الحقب وطول بعدها عن أصولها حدث أن انحرفت هذه العبادات أو دخلت عليها إضافات مستحدثة، لكن الصفة الغالبة لآلهة المنطقة على سبيل المثال يكون غالبا من الحيوانات الثديية تحمل فوق رأسها بين قرنيه قرصا مستديرا يؤخذ في العادة على أنه رمز لقرص شمس، مثل البقرة والكبش، والصقر التي قدست لدى أكثر من مجتمع.

أن تدوين الآلهة من طرف الإغريق والرومان جعل التمييز بين المحلي والدخيل أمر صعب، خاصة بعد تغلغل ديانة المنتصر في صفوف الأهالي وحتى أن صمدت لا تجد مكاناً إلا على شكل بقايا بجانب آلهة المنتصر.

ظهر سكان بلاد المغرب القديم في صور الآثار المصرية حفاة الأقدام بالرغم أن الأدلة التاريخية أكدت أنهم قد لبسوا الأحذية، وقد أرجع بعض الباحثين ذلك إلى إهمال الفنانين المصريين، أو أنهم اتخذوا ذلك أسلوباً فنياً بطريقتهم في الرسم أو المبالغة في إظهار الليبيين بمظهر الذل والخضوع، وذلك بالاعتماد على نصوص معبد الكرنك من عهد مرنبتاح بأنهم قد تركوا ملابسهم ومتاعهم وأحذيتهم أيضاً.

أن التأثير الثقافي المتبادل بين مصر وبلاد المغرب القديم كان واضحاً في مجالات الحياة كافة، وبخاصة في مجال المعتقدات الدينية فقد اتصلت مصر بجيرانها منذ بدايات التشكيل الحضاري مؤثرة ومتأثرة.

احتفظت قرطاجة في بداية تأسيسها بالكثير من المظاهر الأصلية للديانة الفينيقية في البداية ولكن في القرن الخامس قبل الميلاد اتخذت لنفسها منحى مستقلاً إذ طرأ على الديانة السامية في قرطاجة تغيير كبير خلال هذه الفترة، حيث أصبحت مكانة آمون وتانيت مرموقة لدى سكان بلاد المغرب القديم خاصة بعد انقطاع الصلات الدينية بين قرطاجة والمدينة الأم صور.

أن مبدا المقارنة والمقاربة في جميع مجالات الحياة خاصة الدينية منها بين مجتمعات العالم القديم، هي الوسيلة الممكنة لمعرفة بعض القضايا الخاصة بالمجتمع المغربي القديم.

تميزت بلاد المغرب القديم بطابع ديني متميز، استمدت هذه الصفة من دافع تعدد الآلهة فيها، وهي آلهة ترمز إلى مظاهر الحياة، كالموت والبعث والخلود وتعبّر عن ما يدور في تلك الطبيعة من أحداث وتناقضات جمة وقد تشبع الفكر الديني بالأساطير وهي سمة نجدها غالباً في الأديان الأخرى، هذه الأساطير كانت محور التلاقي بين الإنسان والطبيعة وبين قدرات محدودة بسيطة وقدرات خارقة عظيمة، فقد خلق الدين وحدة حضارية بين سكان المنطقة وبين الأمم المجاورة لهم، تبلورت هذه الوحدة خلال عهدها الطويل وأثمرت نتاجاً ثقافياً حضارياً راقياً. الكثير من الممارسات الدينية الوثنية لم تترك أي بقايا أثرية لها، لكنها بقيت تمارس تلقائياً في مجتمعات بلاد المغرب القديم إلى عصور متأخرة جداً، آخذة شكل طقوس تأبى الزوال.

في دراستي المقارنة للتأثيرات الدينية في بلاد المغرب القديم، بحثت في معتقدات وطقوس السكان الأصليين، وكانت عبادة القوى الطبيعية والحيوانات والقوى الخفية والكواكب والبشر واضحة، مما يعكس مشهداً روحياً متنوعاً، بالإضافة إلى ذلك لعب الإيمان بالحياة الأخرى دوراً مهماً في تشكيل طقوس الجنائزية وطرق الدفن والأثاث الجنائزي، وكشفت المقابر وممارسات الدفن المتنوعة عن تعبيرات دينية معقدة.

ومن خلال دراسة العلاقات بين بلاد المغرب القديم ومصر على مدى فترات تاريخية مختلفة، ظهر تفاعلاً معقداً من التأثيرات، وجدت الآلهة المصرية طريقها إلى المغرب القديم، والعكس صحيح، مما يعكس التبادل الديناميكي للأفكار الدينية وترك مفهوم الحياة الأخرى، الذي كان محورياً في المعتقدات المصرية، وظهرت

بصماته في الممارسات الدينية المغربية القديمة، ويشير وجود موائد القرابين وطقوس الدفن المتميزة إلى عمق النفوذ المصري.

كشف بحثي في التأثير الفينيقي عن دور العلاقات الحضارية في تشكيل الممارسات الدينية، حيث تركت الآلهة الفينيقية انطباعًا دائمًا في الثقافة بلاد المغرب القديم، وتجلّى من خلال عناصر دينية مختلفة، حيث تم إنشاء المعابد والمجتمعات الكهنوتية، وأظهرت الاحتفالات والتضحيات والهندسة المعمارية الدينية عمق التأثير الفينيقي.

سلّطت الدراسة المقارنة بين الإله آمون والإلهة تانيت الضوء على أساطير كل منهما وأسمائه وأصوله وأماكن عبادته، في حين أن كلا الإلهين كانا موجودين منذ البداية، إلا أن تطورهما كان متشابكًا مع مصر وفينيقيا، مما أدى إلى ظهور طقوس ومعتقدات متداخلة، يعكس تعايش هذه الآلهة النسيج المعقد للممارسات الدينية في بلاد المغرب القديم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

I - الكتب المقدسة:

- 1) التوراة سفر التكوين (الإصحاح العاشر).
- 2) التوراة سفر دانيال (الإصحاح الحادي عشر).
- 3) الكتاب المقدس، إرميا ، 7 : 18 ؛ 44 : 17 ، 18 ، 19 ، 25.

II - باللغة العربية:

- 1) سترابون، الجغرافيا، تر: محمد مبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 2006.
- 2) شيشرون، علم الغيب في العالم القديم، تر: توفيق الطويل، مكتبة الآداب، مصر.
- 3) الصقلي ديودوروس، نصوص ليبية، تر: علي فهمي خشم، ط2، دار مكتبة الفكر، ليبيا، 1975.
- 4) فرجيل، الإنياذة، تر: عميرة سلام خالدي، دار الملايين، بيروت، 1995.
- 5) هيرودوت، أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، تر: مصطفى الأعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2008.
- 6) هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت، تر: محمد المبروك الدويب، ط1، منشورات جامعة قاريونس، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا، 2003.

III - باللغة الأجنبية:

- 1) (Gustavo.) Flaubert, salambô, Tr. Bayo (ciro.), sucesores de rivadeneyra, Madrid.
- 2) (st.) Augustin, cite de dieu, trad. Gabriel videl, T.1, libraire, Bruhet, Alger, 1930.
- 3) Doidore de Sicile, bibliothèque historique, trad., (AF), Miot, Paris, 1934.
- 4) Hérodote, histoire les belles letters, 4, Paris, 1982.
- 5) Pline L'ancien, Histoire Naturelle, T. 6 (belles lettres), paris, 1980.
- 6) Tite live, histoire romaine collection des auteure latins, direction M. Nisard, Dubochet et compagnie éditeurs, paris, 1839.

ثانيا: المراجع

1- باللغة العربية:

- 1) إبراهيم محمود بهاء الدين، المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2001.
- 2) ابن خلدون عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، بيروت، 1979.
- 3) الأثرم رجب عبد الحميد، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط4، منشورات قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2003.
- 4) أحمد علي عبد اللطيف، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970.
- 5) الأحمدى مصطفى، العمارة المعبدية في مصر الفرعونية، دار الوفاء للنشر والتوزيع، مصر.
- 6) إرمان أدولف، ديانة مصر القديمة (نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة)، تر: عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ملتزم للطبع والنشر، مصر، (د.س).
- 7) أرموار روبرت، آلهة مصر وأساطيرها، تر: مروة الفقى، مر: محمد بكر، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2005.
- 8) أعشي مصطفى، جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية من خلال عصور ما قبل التاريخ، مركز طارق بن زياد، الرباط، 2002.
- 9) اكصيل اصطيغان، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التازي سعود، ج6، المعارف الجديدة، الرباط، 2007.
- 10) ام هرو برت، كتاب الموتى الفرعوني، تر: واس بدج، تع، فليب عطية، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- 11) أمين سليم أحمد، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2008.

- (12) أندري جوليان شارل، تاريخ شمال إفريقيا الشمالية، ج1، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969.
- (13) الأنصاري ناصر، المجلد في تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية، ط2، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1997.
- (14) إيمار أندريه وأوبوايه جانين، تاريخ الحضارات العام، مج1 (الشرق واليونان القديمة)، تر: فريد م. داغر وفؤاد ج أبو ربحان، منشورات عويدات، بيروت، 2006.
- (15) إيمار أندريه وأوبوايه جانين، تاريخ الحضارات العام، مج1 (الشرق واليونان القديمة)، تر: فريد م. داغر وفؤاد ج أبو ربحان، منشورات عويدات، بيروت، 1981.
- (16) بازامه محمد مصطفى، تأثير الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية وتأثرهم بها، الجامعة الليبية، بنغازي، ليبيا، 1965.
- (17) باصي روني، أبحاث في دين الأمازيغ، تر: حمو بوشخار، ط1، دفاتر وجهة نظر، 2012.
- (18) بدج والاس، آلهة المصريين، تر: محمد حسين يونس، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.
- (19) بدوي أحمد، هيرودوت يتحدث عن مصر، دار القلم، القاهرة، 1966.
- (20) بدوي إسكندر، تاريخ العمارة المصرية، ج1، تر: محمود عبد الرزاق وصالح الدين رمضان، هيئة الآثار المصرية، مصر، 1954.
- (21) البربري أحمد محمد، عواصم مصر القديمة، الإسكندرية، مصر، 2008.
- (22) البرغوثي عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم (من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي)، ج1، مكتبة النور، تامنغت، الجزائر.
- (23) بل الفريد، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.
- (24) بن بوزيد لخضر، الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ (المعتقدات والفن الصخري)، دار المجدد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017.
- (25) بن عبد العزيز البكري عبد الله، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

- (26) بورؤنيّة الشاذلي والطاهر محمد، قرطاج البونيّة تاريخ وحضارة، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1999.
- (27) بيومي مهران محمد، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1990.
- (28) تشرني ياروسلاف، الديانة المصرية القديمة، تر: أحمد قدرى، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1996.
- (29) توينبي أرنولد، مختصر دراسة التاريخ، ج1، تر: فؤاد محمد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
- (30) الثعالبي عبد العزيز، مقالات في التاريخ القديم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986.
- (31) جاردنر ألن، مصر الفراعنة، تر: نجيب مخايل، مر: عبد المنعم أبو بكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
- (32) جراية محمد رشدي، حضارات بلاد المغرب خلال العصر الحجري القديم، ط1، دار هوم، الجزائر، 2017.
- (33) جريمال نيقولا، تاريخ مصر القديمة، تر: ماهر جويحاتي، ط2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993.
- (34) جمال عبد الله أحمد، معبد موت بالكرك، جامعة القاهرة، مصر.
- (35) حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، ط3، دار هوم، الجزائر.
- (36) خشيم فهمي، آلهة مصر القديمة، مج1، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا، 1990.
- (37) دانيلز تشارلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تع: أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1991.
- (38) دراز أحمد عبد الحليم، مصر وليبيا (فيما بين القرن السابع والقرن الرابع)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

- (39) دومينيك قابيل، علم المصريات، تر: لويس بقطر، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.
- (40) ديروش نوبلكور كريستيان، توت عنخ آمون، تر: أحمد رضا ومحمود خليل النحاس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974.
- (41) ديزانج جيهان، "البربر الأصليون"، تاريخ إفريقيا العام، مج2، تر: جمال مختار، اليونسكو.
- (42) ديكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994.
- (43) ديكريه فرانسوا، قرطاجة أو امبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، ط1، دار الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1996.
- (44) روبين دانيال، أصول التراث المسيحي في شمال إفريقيا، تر: سمير مالك، مكتبة النور، تامنغست، الجزائر.
- (45) الزاكي عمر حاج، مملكة موري التاريخ والحضارة، ط1، سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السود إصدار 7، الخرطوم، السودان، 2006.
- (46) سحنوني محمد، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- (47) سعد الله محمد علي، الدهور الحجرية القديمة في مصر والعراق وسورية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2004.
- (48) سعد الله محمد علي، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم (في تاريخ مصر القديمة)، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001.
- (49) سعد محمد سلطان عز، من ديانة قدماء المصريين (أهم آلهة غرب الدلتا وآثارها في المتحف المصري)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2007.
- (50) سليمان أيوب محمد، جريمة من تاريخ الحضارة الليبية، ط1، دار المصراطي، طرابلس، 1969.
- (51) سهلوب زياد وأبو عباس رحاب، آثار العصور الكلاسيكية الإغريقية، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 1997-1998.

- (52) السواح فراس، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط1، دار علاء الدين، سوريا.
- (53) سيرنج فليب، الرموز في الفن-الأديان-الحياة، تر: عبد الهادي عباس، ط1، دار دمشق، سوريا، 1992.
- (54) سيريل ألدريد، الحضارة المصرية (من عصور ما التاريخ حتى نهاية الدولة القديمة)، تر: مختار السويفي، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996.
- (55) الشيخ حسين، العصر الهلنستي (مصر)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993.
- (56) صالح أحمد، التحنيط فلسفة الخلود في مصر القديمة، ط1، مصر، 2000.
- (57) صالح عبد العزيز، الشرق الأدنى (مصر والعراق)، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2012.
- (58) صالح عبد العزيز، حضارة مصر القديمة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1962.
- (59) صفر أحمد، مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، دار النشر، تونس، 1959.
- (60) الصويحي عبد العزيز، تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2013.
- (61) الطويل توفيق، قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1936.
- (62) العبادي مصطفى، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999.
- (63) عباس الحسيني عباس علي، مجتمع الآلهة في الديانة المصرية القديمة (دراسة مقارنة)، ط1، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2012.
- (64) عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي (دراسات اجتماعية أنثروبولوجية)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1969.

- (65) عصفور محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- (66) عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- (67) على عبد الرحمن عبد الرحمن، معابد سيوة المفقودة (وصفها ومحاولة تخطيطها)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر.
- (68) عمران عبد الحميد، الرومنة والتدين في شمال إفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018.
- (69) عيسى محمد علي، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2012.
- (70) عيسى محمد علي، مدينة صبراته منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر، مصلحة الآثار، الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوفات التاريخية، ليبيا، 1978.
- (71) غانم محمد الصغير وآخرون، المعالم الحضارية في الشرق الجزائري (فترة فجر التاريخ)، د.ط، دار الهدى، الجزائر، 2006.
- (72) غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، 1982.
- (73) غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2021.
- (74) غانم محمد الصغير، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- (75) غانم محمد الصغير، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، 2005.

- (76) غانم محمد الصغير، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012.
- (77) غانم محمد الصغير، سيرتا النوميديّة (النشأة والتطور)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
- (78) غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- (79) غانم محمد الصغير، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2010.
- (80) غانم محمد الصغير، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- (81) فخري أحمد، الأهرامات المصرية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1963.
- (82) فخري أحمد، مصر الفرعونية، (موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام 332 ق.م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2012.
- (83) فخري أحمد، واحات مصر، مج1 (واحة سيوة)، تر: جاب الله على جاب الله، مر: محمد جمال مختار، القاهرة.
- (84) الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، بيت الحكمة، تونس، 1993.
- (85) فرح نعيم، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1973.
- (86) فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك جايا إلى الاحتلال الروماني، منشورات أرابيك، الجزائر، ماي 2007.
- (87) فضيل الميار عبد الحفيظ، الحضارة الفينيقية في ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا.
- (88) فلووير غوستاف، سلامبو، ط1، دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، 2010.

- (89) فنطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاجة، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس، 1999.
- (90) فنطر محمد، قرطاج لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس، 1963.
- (91) فيركوتير جان، مصر القديمة، تر: ماهر جويجاتي، ط1، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.
- (92) كامبس غابريل، في أصول بلاد البربر (ماسينيسا أو بدايات التاريخ)، تر وتحر: محمد العربي عقون، ط2، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012.
- (93) كمال عبد العليم مصطفى، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا، 1966.
- (94) كنتو جون، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 2011.
- (95) لحسن رابح، أضرحة الملوك النوميد والمور، دار هوم، الجزائر، 2007.
- (96) م دالي سيتيفاني، أساطير من بلاد النهرين، تر: نجوى نصر، ط1، بيان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، 1997.
- (97) الماجدي خزعل، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1997.
- (98) الماجدي خزعل، الآلهة الكنعانية، ط1، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
- (99) الماجدي خزعل، الدين المصري، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1999.
- (100) المحجوب عبد المنعم، عبدة آمون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات وأبحاث، المغرب، 2015.
- (101) محمد أنديشة أحمد، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية الغربية وظهرها في ظل السيطرة الروماني، جامعة التحدي، سرت، ليبيا، 2008.

- (102) منجتون ب.هـ. وار، تاريخ إفريقيا العام (العصر القرطاجي)، المجلد 2، (د.ط)، إتش: جمال مختار، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، 1985.
- (103) مونتيه ببير، الحياة اليومية في مصر (في عهد الرعامسة)، تر: عزيز مرقس منصور، الدار المصرية، القاهرة، 1965.
- (104) ميخائيل نجيب، مصر من قيام الدولة الحديثة إلى دخول الإسكندر، ط2، دار المعارف، مصر، 1962.
- (105) ميكس ديمتری وفافار ميكس كريستين، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، تر: فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000.
- (106) الناضوري رشيد، المغرب الكبير، ج1، العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- (107) هورس ميادان مادلين، تاريخ قرطاج، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1981.
- (108) هورنونج إريك، أخناتون وديانة النور، تر: محمود ماهر طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2010.
- (109) هورنونج إريك، ديانة مصر الفرعونية الوجدانية والتعددية، تر: محمود ماهر طه ومصطفى أبو الخير، مطبعة مدبولي، مصر، 1995.
- (110) هورنونج إريك، وادي الملوك أفق الأبدية (العالم الآخر لدى قدماء المصريين)، تر: محمد العزب موسى، مر: محمود ماهر طه، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1996.
- (111) يوري ديمتريف، الإنسان والحيوان عبر التاريخ، تر: محمد سليمان عبود، ط1، دار النمر، دمشق، 1993.

II - باللغة الأجنبية:

- 1) (HENRY.) H. GORRINGE, EGYPTIAN OBELISKS, PUBLISHED BY THE AUTOR, WAVERLEY PLACE, NEW YORK.

- 2) (R.) Dussaud, Les religions des Hittites, des Hourrites, des phéniciens et des syriens, (Mana T.II), Paris, 1949.
- 3) (Brent.) D. Shaw, sacred violence, Cambridge, Bretagne, 2011.
- 4) (d.) Harden, the Phoenicians, Thames and Hudson, New York, 1962.
- 5) (Edward.) Lipinski, dieux et déesses de l'univers phénicien et punique, Peeters Publisher, paris, 1995.
- 6) -(G. Ch.) Picard, les religions de l'Afrique antique.
- 7) (G.) Camps, les berbères aux marges de l'histoire, éd. Errance, paris, 1987.
- 8) (G.) Camps, mouvements et rites funéraires, protohistoriques, paris, 1961.
- 9) (G.) Camps, Nouvelles observations sur l'architecture et l'âge du Medracen, mausolée royal de Numidie, C.R. A. i, 1973.
- 10) (G.) Jéouier, d'archéologie égyptienne, auguste picard, Paris, 1924.
- 11) (Hédi.) Slim, L'antiquité, Tome 01, sud éditions, Tunis, 2010.
- 12) (Henri.) Bassét, recherches sur la religion des berbères, éd, Ernest Leroux, paris, 1910.
- 13) (Henri.) Lhote, Tassili Frescoes, central archaeological Library, New Delhi.
- 14) (J,e.) Quibell, Hierakonpolis, part 1, Egyptien Research Account, London, 1900.
- 15) (M.) Fantar, Carthage approche d'une civilisation, T, 2, Tunisie, 1992.
- 16) (M.) Leglay, les religions orientales dans l'Afrique ancien, officielles, Alger, 1966.
- 17) (Picard.) CH, ciuites Mactaritana, Paris, 1957.
- 18) (Picard.) CH, les représentations du sacrifice molt sur le ex votos de Carthage, kartago XVII, paris, 1976.
- 19) (R.p.) Delattre, Nécropole punique de la colline de Sainte-Monique, imprimerie E. petithenry, paris, 1899.
- 20) (R.p.) Delattre, Nécropole punique de la colline de Saint-Louis, imprimerie Mougin-rusand, Lyon, France, 1896.
- 21) (st.) Gsell, T.1, (Esclaves ruraux dans l'Afrique romaine), paris, 1932.

- 22) (W.M.) FLINDERS PETRIE, THE RELIGION OF ANCIENT EGYPT, PRINTERS TO HIS MAGESTY, LONDON, 1906.
- 23) (William.) westermann, the story of the ancient nations, Appleton and company, New York, 1912.
- 24) - (Gardiner.) A.H, Ancient Egyptian, Onomastica, Oxford, 1927.
- 25) (Frédéric.) Colin, le libyen en Égypte (XV siècle a.c-II
- 26) (Erik.) Hornung, the Egyptian books of the afterlife, translated from the German by David Iorton, Cornell university press, London, 1997.
- 27) (Sethe.) Kurt, AMUN UND DIE ACHT URGOTTER VON HERMOPLIS, VERLAG DER AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN, BERLINE, 1929.
- 28) Al Bakiri, Description de l' Afrique septentrionale, Alger, 1913.
- 29) Bleicher, Recherches d'archéologie préhistoriques dans la province d'Oran et la partie occidentale du Maroc, T.11, 1875. a. siècle p.c), 1995-1996.
- 30) Stéphane Gsell, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T. 6, (Les Royaumes indigènes vie Matérielle, intellectuelle et morale), Librairie Hachette, paris, 1927.

ثالثا: الدوريات والمقالات:

أ- باللغة العربية:

- 1) خليل سيد أحمد عبد الحكيم، "التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية"، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012.
- 2) شهره خالد وبشاري محمد الحبيب، "دور العرافين والأوراكل في توجيه الهجرات الإغريقية نحو إيطاليا خلال القرن الثامن قبل الميلاد"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 1، العدد 2، جامعة المسيلة، الجزائر، 2021.
- 3) أبو زيد أحمد، "الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي"، مجلة عالم الفكر، المجلد 16، العدد 3، الكويت، 1985.

- (4) اعبليكة عياد مصطفى محمد، "دور مدن السرتين والمملكة الجرمنتية في التبادل التجاري بين أواسط إفريقيا ومناطق البحر المتوسط (47 ق.م - 305م)"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، قسم التاريخ، جامعة المرقب، ليبيا، مارس 2020.
- (5) أعشي مصطفى، "الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي"، مجلة المؤرخ الإلكترونية، العدد 9، المغرب، 2011.
- (6) أنور محمد، "أهرامات وآثار مملكة مروى السودانية"، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد 19، الهيئة العامة للاستعلامات، مصر، جانفي 2016.
- (7) باقر طه، "أخبار أثرية"، مجلة ليبيا القديمة، العدد الخامس، ليبيا، 1968.
- (8) بن سالم الصالح، "عبادة آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم بين الأصل المحلي والاحتواء الأجنبي"، كان التاريخية، العدد 30، مصر، ديسمبر 2015.
- (9) بن صغير نوال، "الحفظ الوقائي لمحطات الفن الصخري بالأطلس الصحراوي واجراءات الحماية"، مجلة أفاق علمية، المجلد 15، العدد 02، جامعة تمناست، 2023.
- (10) بن عبد المؤمن محمد، "تطلعات سكان بلاد المغرب القديم لما بعد الموت من خلال النقوش الجنائزية"، جامعة وهران، باقي المعلومات غير موجودة.
- (11) بن عبد المؤمن محمد، "مفهوم العالم الآخر عند سكان بلاد المغرب القديم من خلال الطقوس الجنائزية والتصوير الجداري"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، العدد 8، وهران، 2018.
- (12) بن يونس الحبيب، "ملاح عن المصوغ البوني"، تونس أعلام ومعالم، المعهد الوطني للتراث، تونس، مارس 1997.
- (13) بوذراع سفيان، "دراسة معمارية فنية مقارنة بين ضريح مدغاسن والضريح الملكي بتيبازة"، دفاثر البحوث العلمية، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.
- (14) بوشناقي منير، "الضريح الملكي الموريتاني"، تر: عبد الحميد حاجيات مديرية المتاحف والآثار والمباني التاريخية، الجزائر، 1979.
- (15) بومريش ليلي، "التحنيط في مصر القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 15-16، الجزائر 2، جامعة الجزائر، 2013.

- (16) بيجي فرانسيسكا وآخرون، "ضريح قصر دوغه"، تر: مفتاح أحمد الحداد، مجلة روافد المعرفة، العدد5، جامعة زيتونة، ترهونة، ليبيا، ماي 2019.
- (17) بيومي مهران محمد، "دور الحكام ذوي الأصول الليبية في مصر أيام الأسرة الثانية والعشرين رؤية لمدى تأثيرهم على السياسة الخارجية والفن"، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 12، مصر.
- (18) تريعة السعيد، "شجرة النخيل في الشواهد الأثرية بنوميديا خلال الفترة القديمة"، مجلة آثار، المجلد15، العدد1، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2016.
- (19) التوهامي اندش لطفية ومصطفى تيكة خديجة، "الحياة الدينية في إقليم تريبوليتانيا من خلال النقوش الفينيقية"، مجلة الباحث، العدد19، كلية الآداب، جامعة سرت، ليبيا، مارس 2022.
- (20) حارش محمد الهادي، "أصول عبادة آمون في المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية"، العدد4، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1988.
- (21) حسن المسلمي عبد الله، "العلاقات الليبية-البربرية مع مصر القديمة (التحنو في المصادر المصرية)".
- (22) حسن غزال أحمد، "أضواء جديدة على التمييز بين آمون ليبيا وزيوس قورينة"، تقرير ودراسات ندوة اليونسكو، باريس، 16-18 جانفي 1984.
- (23) ريغي مراد، "معركة هيميرا 480 ق.م وبداية الصراع القرطاجي مع إغريق صقلية"، جامعة المسيلة، الجزائر.
- (24) زموشي محمد الصالح أنور، "من مظاهر الديانة النوميديية (عبادة الإله آمون)"، مجلة دراسات إفريقية بالجزائر، المجلد 2، العدد 3، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ماي 2016.
- (25) سعيدي سليم، "الثعبان ودلالاته في المغرب القديم"، المجلد2، العدد4، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، ديسمبر 2020.
- (26) شاحوت علي مفتاح عبد السلام، "طقوس الديانة الكنعانية (الفينيقية) ودلالاتها الرمزية من خلال نصوص أوغاريت (رأس شمرا)"، مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد34، العدد1، زليتن، ليبيا، مارس 2021.

- (27) شارن شافية، "العلاقات الليبية المصرية في العصور القديمة"، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد 04، عدم وجود باقي المعلومات.
- (28) شيحي حكيمة ومياطه التجاني، "طقس استدرار المطر عند مجتمع بلاد المغرب القديم"، مجلة قبس، المجلد 7، العدد 2، منشورات جامعة الشهيد حمّـه لخضر، الوادي، الجزائر، ماي 2023.
- (29) الصفدي هشام، "أضواء جديدة على تاريخ المغرب"، مجلة الأصالة، العدد 14-15، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الجزائر، 1973.
- (30) عبد التواب رياض خميس زينب، "الطوطمية بين السحر والدين" في عصور ما قبل التاريخ بإفريقيا، المجلد 7، العدد 14، مجلة العلوم الاجتماعية الإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018.
- (31) عبد التواب رياض خميس زينب، "الوشم في عصور ما قبل التاريخ في مصر"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 3، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، جانفي 2018.
- (32) عبد التواب رياض خميس زينب، "قرايين الأضاحي البشرية في بعض المجتمعات البدائية بإفريقيا"، العبر للدراسات التاريخية الأثرية، المجلد 1، العدد 2، مصر، سبتمبر 2018.
- (33) عبد العال علي أسامة، "دراسة عن نص على قاعدة كرسي لأحد التماثيل الملكية"، مجلة المجمع العلمي المصري، مصر.
- (34) عبد الفتاح إسماعيل، "الجزيرية من خلال مناظر ونصوص قاعة حورسماتاوي في معبد دندرة (دراسة تاريخية حضارية)"، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، العدد 13، مصر، 2012.
- (35) عبود سمار سعد وجبار جاني علاء، "آلهة الخصب في المعتقدات السورية القديمة"، مجلة كلية التربية، العدد 39، ج 1، جامعة واسط، العراق، 2020.
- (36) عبود سمار سعد، "تقديس الحيوان وعبادته عند العرب قبل الإسلام"، مجلة كلية التربية، ج 1، العدد 36، جامعة واسط، العراق، 2019.

- (37) عفراء علي الخطيب، "التفاعل الثقافي بين المغرب والصحراء الكبرى وجنوب الجزيرة العربية خلال العصور القديمة (المعتقد الديني نموذجاً)"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 2001.
- (38) العقون أم الخير، "إطلالة على الصلات بين مصر وشمال غرب إفريقيا"، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 8، العدد 8، مصر، 2005.
- (39) العقون أم الخير، "المصادر الدينية المشتركة بين مصر والمغرب القديمين"، ج2، عصور، العدد3، مخبر البحث التاريخي، وهران، 2003.
- (40) على محمد المنقوش وريدة، السحر في مصر القديمة، المجلد1، العدد14، جامعة مصراته، ليبيا، سبتمبر 2019.
- (41) علي أبو شحمة محمد، "المعتقدات الدينية الليبية القديمة"، مجلة كلية الآداب، العدد1، جامعة مصراته، ليبيا.
- (42) علي عيسى محمد، "أوجلة لدى الكتاب الكلاسيكيين (الإغريق والرومان والبيزنطيين)"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 02، ليبيا، 2000.
- (43) عماري خيرة، "الأسطورة أو الشذرات الأولى لسؤال الإنسان"، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد9، العدد1، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، الجزائر.
- (44) العيداني سمير، "المصادر المادية والأدبية لدراسة التاريخ المصري القديم"، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد03، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، جوان 2017.
- (45) غانم محمد الصغير، "بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب"، مجلة الحوار الفكري، العدد2، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001.
- (46) غانم محمد الصغير، "علاقة نوميديا بالرومان"، مجلة التراث، العدد03، مطبعة الشهاب، الجزائر، 1997.
- (47) غانم محمد الصغير، نقيشة دوقة الأثرية "دراسة لغوية-تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد9، العدد10، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1998.
- (48) فهمي خشيم علي، "نظرة عابرة على الفنون في ليبيا القديمة"، مجلة الفصول الأربعة، العدد22، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا، 1983.

- (49) قلواز خالد وآخرون، "دراسة أثرية للأضرحة المورية في شمال إفريقيا (أضرحة جبل لخضر بالجدار - تيارت)"، مجلة تاريخ العلوم، العدد 7، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، مارس 2017.
- (50) قندوز زينب، "ثلاثية الاعتقاد المقدس"، مجلة الليبي، العدد 09، مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب الليبي، ليبيا، سبتمبر 2019.
- (51) قوعيش شريف، "الرموز الدينية في بلاد المغرب القديم (من فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة النوميدية - الموريتانية)"، مجلة المعيار، المجلد 25، العدد 62، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2021.
- (52) كيجل البشير، "المقدسات والمعابد الطبيعية لدى الإنسان المغربي القديم"، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 9، جامعة تيارت، الجزائر، 2016.
- (53) لواتي وردة وبن قيطه مراد، "عبادة الأسلاف في إفريقيا جنوب الصحراء (الجنور والطقوس)"، عدم وجود باقي المعلومات.
- (54) محمد سعيد الفاخري مبروكة، "الفرعون الليبي الأول شيشنق (950-929 ق.م)"، مجلة كلية الآداب، العدد 26، ج 1، مصر، 2018.
- (55) محمد عبد الغني محمد فتحي، "العلاقات الدينية بين مصر وقرطاج (332-146 ق.م)"، مجلة كلية اللغة العربية، العدد 35، المنصورة، مصر، 2016.
- (56) محمود نجيب إبراهيم عبد العليم آية، "موائد القرابين في مصر في العصرين البطلمي والروماني"، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 19، مصر، 2016.
- (57) مصباح نصرات عادل، "المعتقدات الدينية الفينيقية وظاهرة التضحية بالأطفال قرطاج نموذجاً"، جامعة الزاوية، ليبيا.
- (58) مفتاح شيره إبراهيم، "الآلهة الليبية والآلهة الفينيقية في ضوء المصادر الكلاسيكية (دراسة مقارنة)"، المجلة العلمية لكلية التربية، العدد 4، جامعة مصراته، ليبيا.
- (59) نور الدين عبد الحليم، "محاضرة المسلات في مصر القديمة"، الموسم الأثري الأول، مكتبة الإسكندرية، مصر، 13 فيفري 2008.

-II باللغة الأجنبية:

- 1) (A.) Dvita, "Archaeological News 1963-1964", Libya Antiqua, n°2, Libya, 1965.
- 2) (Abd-el-Hamid.) N, Large Mud Brick Enclosures of Égyptien Temples.
- 3) (Bruno.) d'Andrea, (Sara.) Giardino, "le tophet", actes du VIIème congrès international des études phéniciennes et puniques, vol iii, institut national patrimoine, Tunis, 2019.
- 4) (clémentin.) Gutron, "les fouilles du tophet salammbô et la question des sacrifices d'enfant " l'année du Maghreb, n°4, Paris, 2008.
- 5) (G.) Camps, "Ghât (Rhat)", Encyclopédie berbère, 20, (online), 1998.
- 6) (Hans.) Georg pflaum "castellum Dimmidi", journal des savants, N°1, 1949.
- 7) (J.-L) Charlet, "Corippe", Encyclopédie berbère, 14, (on line), 1994.
- 8) (Lamia.) Ben Abid, "les scènes de sacrifice sur les stèles du tophet de Sousse", sagvntvm (P.L.A.V), n°46, España, 2014.
- 9) (Mofida.) El Weshahy, (Rasha.) M. Omran, Hyocephalus in Ancient Egyptian Religion, journal of Arab Universiades Hospitality Spécial, part01, 2014.
- 10) (Mofida.) El Weshahy, and others, "study of the ogdoad scenes in Late period", n°15, EGYPT, 2012.
- 11) (N.) benseddik, "un nouveau témoignage du culte de tanit-caelestis à cherchel?", antiquités africaines, T. 20, 1984.
- 12) (p.) Cintas, "le sanctuaire punique de Sousse", r.afr, n°91, Alger, 1947.
- 13) (SHAKER.)VIVIAN, THE PHARAONIC SIGN "ANKH" BETWEEN HISTORY AND MODERN FASHION, INTERNATIONAL DESIGN JOURNAL, volume 8, issue 4, EGYPT, OKTOBER 2018.
- 14) (Zarini.) Vincent, "La Préface de la Johannide de Corippe ", revue de études augustinienes, n°32, 1986.

رابعاً: الرسائل والدراسات الجامعية:

1- باللغة العربية:

- (1) فرج علي غميص علي، قورينا وأثرها على القبائل الليبية (631-332 ق.م)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم العلوم الاجتماعية، الأكاديمية الليبية، طرابلس، ليبيا، 2013.
- (2) أسعد الجربي فيصل علي، الفينيقيون في ليبيا من 1100 ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، 1989.
- (3) باحمان حسيبة، سكان بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي (814-146 ق.م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2015-2016.
- (4) بلعابد زينب، المقدس والرمز من خلال نصب معبد الحفرة بقسنطينة رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.
- (5) بن سعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2008-2009.
- (6) بن عبد المؤمن محمد، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة وهران، الجزائر، 2011-2012.
- (7) بهي الدين عبد النعيم إيناس، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة الكباش (منذ بداية العصور التاريخية وحتى نهاية الدولة الحديثة)، قسم الآثار المصرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر، 2002.
- (8) بوغرارة وفاء، العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب القديم وشعوب البحر الأبيض المتوسط (من الألف الأولى قبل الميلاد إلى 431م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2015-2016.

- (9) سالم ضو بن رمضان ضو، الديانة الليبية القديمة وتأثرها بالديانات الأخرى (من القرن الخامس قبل الميلاد حتى بداية القرن الأول الميلادي)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، كلية الآداب والتربية، جامعة سرت، ليبيا، 2009.
- (10) عبد الرحمن خلفه، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة إلى سقوط قرطاجة 146 ق.م)، ماجستير في التاريخ القديم، قسنطينة، الجزائر، 2008.
- (11) عبد اللطيف محمد علي محمد، آمون في الدولة الحديثة، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1970.
- (12) عبد الله الزدام نجلاء، الأحوال الحضارية للقبائل الليبية في المدن الثلاث خلال العصر الروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه (في التاريخ اليوناني الروماني)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة قناة السويس، مصر.
- (13) عبد الله الكيلاني فوزي، ليبيا القديمة (إفريقيا) في الأساطير الإغريقية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، 2011.
- (14) عبد المنصف ناصف هبة، الثالوث في مصر القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير في الآداب، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2000.
- (15) عثمان ليندة، العادات الدينية والطقوس والشعائر الجنائزية في بلاد المغرب القديم (الفترة الليبية البونية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013-2014.
- (16) عزوز فاطمة الزهراء، الروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية (المعتقدات الدينية الآداب الفنون)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006.
- (17) العقون أم الخير، الليبيون وتأسيسهم للدولة في مصر الفرعونية، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ القديم، جامعة وهران، 2003/2004.
- (18) عولمي الربيع، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في التاريخ القديم، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2015-2016.

- (19) عيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم (من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.
- (20) لكيحل البشير، الحضور الديني البوني في نوميديا 814ق.م/146ق.م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2، 2011/2012م.
- (21) محمد قنديل زايد مصطفى، هيراكليس في الأدب والفن اليوناني القديم، رسالة ماجستير في الآداب، كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة طنطا، مصر، 1997.
- (22) مراجع حسين عبد العالي، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة قاريونس، ليبيا.
- (23) يفصح نادية، آلهة الخصب البونية النوميديّة، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر، الجزائر، 2003-2004.
- II - باللغة الأجنبية:

- 1) (ANTHONY.) LEAHY, LIBYA AND EGYPT (1300-750 BC), SCHOOL OF ORIENTAL AND AFRICAN STUDIES, UNIVERSITY OF LONDON, LONDON, 1990.
- 2) (Maria E.) Aubet, the phoenicians and the west, Cambridge University, Britain, 1993.
- 3) (Frederic.) Colin, Les libyens en Égypte (xv siècle a.c-II siècle p.c.), dissertation docteur en philosophie et lettres, faculté de philosophie et lettres, université de Bruxelles, Belgique, 1995-1996.
- 4) (Isabelle.) Dufresene, le symbole de Tanit. Étude d'iconographie phénico-punique: bilan et perspectives, mémoire présenté à la faculté des études supérieures, université de Montréal, canada, décembre 2004.
- 5) (Lois.) Foucher, Hadrumetum, presses universitaires de France, paris, 1964.

- 6) (M.) González Rodriguez, Death is another country: Mortuary rituals and identity in Fazzan (Libya), thesis submitted for the degree of doctor of philosophy, university Leicester, England, 2014.
- 7) (marie.) Rousseau, histoire d'un symbole le Caducée, thèse pour le diplom d'etat de docteur en médecine, université de limoges, France, 1997.
- 8) (Nicolas.) Crayon, les ports phéniciens et puniques, these de doctorat en sciences de l'antiquite- archeology, universite Strasbourg, France, 2008.

خامسا: القواميس والمعاجم

I - باللغة العربية:

- 1) لوركر مانفرد، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ط1، تر: صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، مصر، 2000.
- 2) المحجوب عبد المنعم، آمون (معجم في تاريخ ليبيا القديمة والحضارة الليبوفينيقية في شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط)، دار الكتب، لبنان.
- 3) المحجوب عبد المنعم، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، لبنان، 2012.
- 4) عبّودي هنري س.، معجم الحضارات السامية، ط2، لبنان، 1991.

II - باللغة الأجنبية:

- 1) (Jean.) chevalier, Dictionnaire des symboles, robert laffiront, paris, 1982.
- 2) (paul.) Eudel, de bijoux de L'afrique du nord, Ernest Leroux éditeur, paris, 1906.

سادسا: المؤتمرات والملتقيات:

I - باللغة العربية:

- 1) الراشدي فرج، "عادات الدفن عند الجرامنت وعلاقتها بعادات الدفن عند شعوب أخرى في شمالي إفريقيا"، تاريخ إفريقيا العام، دراسات ووثائق، ندوة اليونسكو، 1914.
- 2) رشدي محمد، "مراكز عبادة ديونيسوس في مصر في العصرين البطلمي والروماني"، أعمال المؤتمر الثاني لاتحاد الأثريين العرب، القاهرة، 1999.

- (3) زرارة مراد، "الأضرحة النوميديّة ضمن المقابر الميغاليثيّة"، الملتقى الدولي (نوميديا، ماسينيسا والتاريخ)، العدد 02، قسنطينة، 14-15-16 ماي 2016.
- (4) فنطر محمد حسين، (المدافن في المغرب الكبير قبل الغزو الروماني)، دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، أشغال المؤتمر العاشر للآثار في الوطن العربي، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، 1987.

II - باللغة الأجنبية:

- 1) (Antonio.) Tejera, (Esther.) Chavez, "el signo de Tanit y la religion de los libios: una hipotesis interpretativa", colloque international organisé à Siliana et Tunis, Tunis, 10-13 mars 2004.
- 2) (Günther.) Walzik, Die Numider, Rheinland- Verlag Gmbh, Bonn, 1979-1980.
- 3) (j.) Bosco, le temple de Tanit-caelestis de Cirta, R.N.M.S.A.H.G.D.C, Constantine, 1923-1924.
- 4) (marcel.) Le Glay, "les religions de l'Afrique romaine au II siècle d'après Apulée et les inscriptions", Atti del i convegno di studio su "l'Afrique romaine", università di Sassari, Italie, 15-17 dicembre 1983.

سابعاً: الموسوعات

I - باللغة العربية:

- 1) كوتويل ليونارد وآخرون، الموسوعة الأثرية العالمية، تر: محمد عبد القادر محمد، زكي إسكندر، مر: عبد المنعم أبوبكر، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1997.
- 2) حسين أحمد، موسوعة تاريخ مصر، ج1، مؤسسة دار الشعب، مصر، 1940.
- 3) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة (السيادة العالمية والتوحيد)، ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992.
- 4) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة (عصر رمسيس الثاني وقيام الإمبراطورية الثانية)، ج6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993.

- (5) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة (عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية)، ج7، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000.
 - (6) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة (في عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية العصر الإهناسي)، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2000.
 - (7) صالح عبد العزيز وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997.
 - (8) قيرنوس باسكال ويويوت جان، موسوعة الفراعنة، تر: محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1990.
 - (9) محمود الزناتي أنور، موسوعة تاريخ العالم (تاريخ مصر)، ج1، الكتب العربية، مصر.
- الموقع الإلكتروني:

– <https://www.alaraby.co.uk/culture/2019/9/27>.

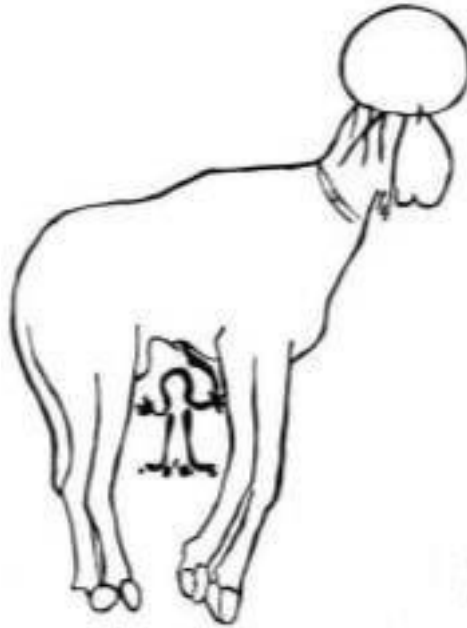
الملاحق

الشكل رقم 01: تاغنجة أو بوغنجة، دمية مكونة من ملاعق تلبس ثوبا يتم الطواف بها للحصول على المطر



المرجع: حكيمة شيحي والتجاني مياطه، المرجع السابق، ص 496.

الشكل رقم 02: صورة كبش يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس



المرجع: نوال بن صغير، "الحفظ الوقائي لمحطات الفن الصخري بالأطلس الصحراوي واجراءات الحماية"، مجلة أفاق علمية، المجلد 15، العدد 02، جامعة تمناست، 2023، ص 93.

الشكل رقم 03: نصب يرمز إلى عبادة الشمس والقمر

(أ)

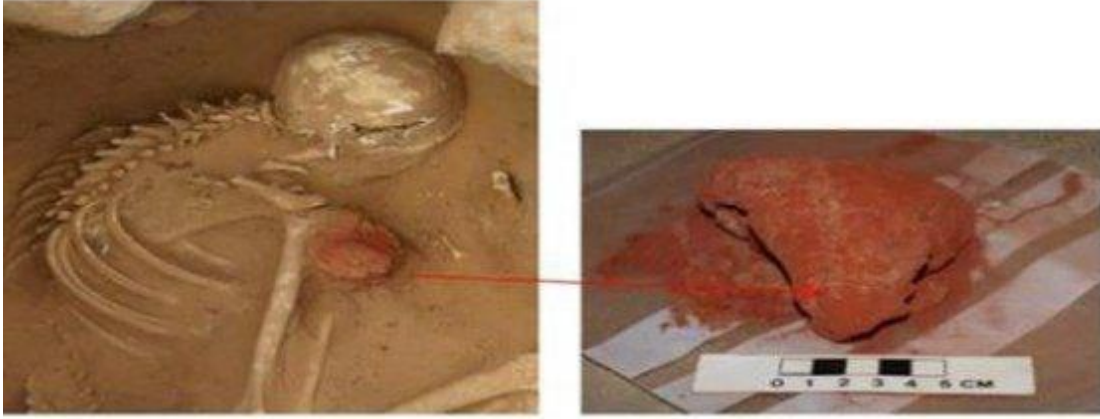


(ب)



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سیرتا قسنطينة، 06 /12 /2023.

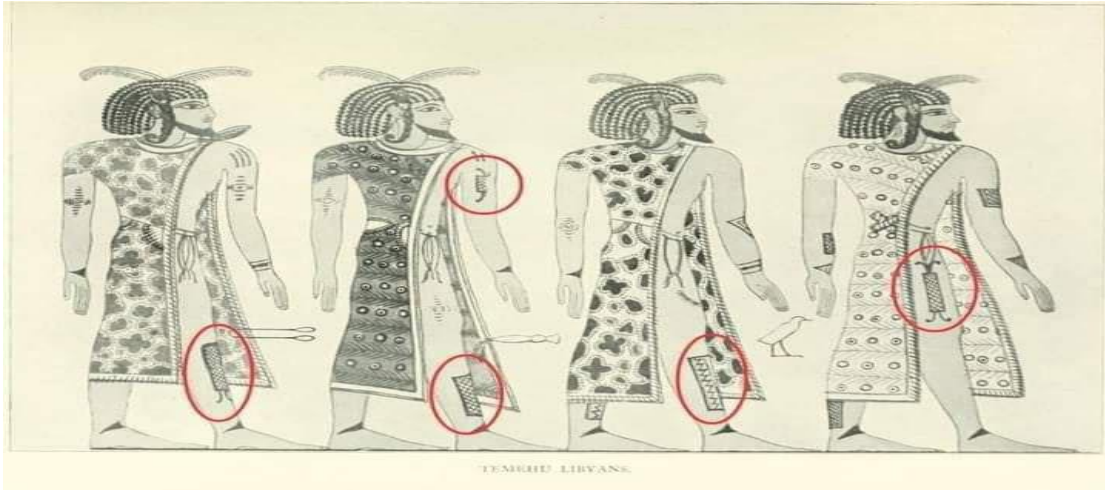
الشكل رقم 04: صورة هيكل عظمي لأنثى وبجانبتها المغرة الحمراء



المرجع:

- González Rodriguez (M.), Death is another country: Mortuary rituals and identity in Fazzan (Libya), thesis submitted for the degree of doctor of philosophy, university Leicester, England, 2014, p. 307.

الشكل رقم 05: الوشم



المرجع: شافية شارن، العلاقات الليبية المصرية في العصور القديمة، دراسات في آثار الوطن العربي، 04، ص 144.

الشكل رقم 06: صورة توضح الوضعيات المختلفة في دفن الجثة

(أ) الوضعية الجنينية



(ب) الوضعية الممددة



(ج) توجيه الجثة نحو الشرق أو الغرب



المرجع:

- González Rodriguez (M.), op-cit., pp. 176-297.

الشكل رقم 07:

(أ) إعادة تشكيل لقبر يحتوي على أثاث جنازي



(ب) صورة لأثاث جنازي يوجد فيها مقص



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرا قسنطينة، 06 /12 /2023.

الشكل رقم 08: صورة توضح جثة أنثى بجانبها قلادة مصنوعة من العقيق



المرجع:

– González Rodriguez (M.), op-cit., p. 299.

الشكل رقم 09:

(أ) رؤوس رماح كانت العديد منها مغروسة في البلاطات التي تغطي القبر



(ب) نصب نذري به زخرفة بارزة لمجموعة من الأسلحة
(درع بيضوي، خوذة سيف، رمحين، غمد السيف)



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرتا قسنطينة، 06 /12 /2023.

الشكل رقم 10: الشواهد العمودية



الشكل رقم 11: الشواهد القرنية



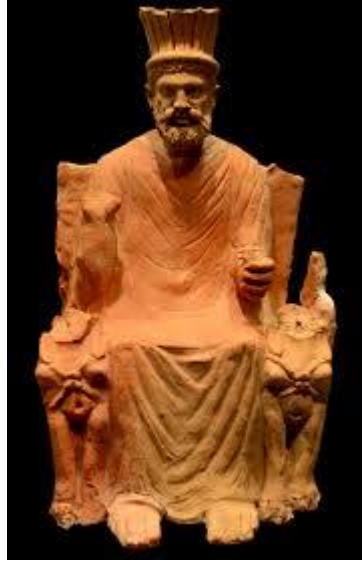
الشكل رقم 12: الشواهد على شكل كف اليد



المرجع:

- González Rodriguez (M.), op-cit., pp. 101-164-166.

الشكل رقم 13: تمثال بعل حامون المحفوظ في متحف باردو -حاليا-



المرجع:

- Slim (Hédi.), L'antiquité, Tome 01, sud éditions, Tunis, 2010, p. 99.

الشكل رقم 14: الأقنعة الطينية التي تم اكتشافها

(أ)



(ب)



المرجع:

<https://www.alaraby.co.uk/culture/2019/9/27>.

الشكل رقم 15: التوفيت، حرم تانيت وبعيل حامون



المرجع:

- Slim (Hédi.), op-cit., p. 107.

الشكل رقم 16: شاهدة بونيقية مع فيل

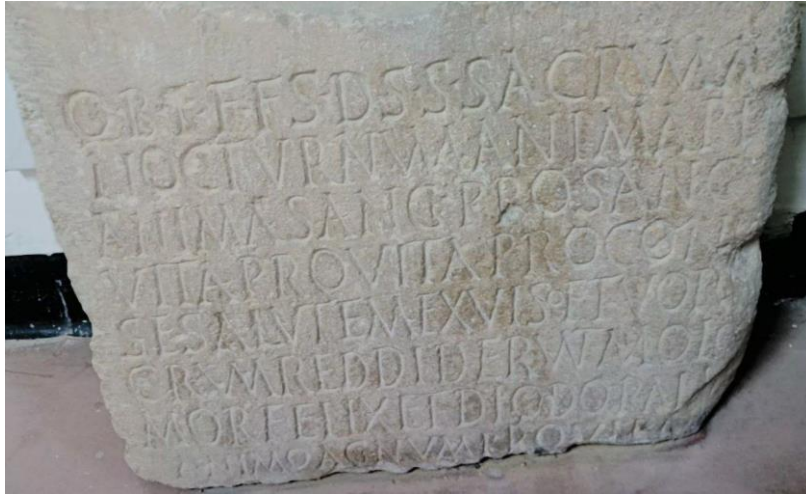


المرجع:

- Slim (Hédi.), op-cit., p. 69.

الشكل رقم 17: نحت يوضح استبدال الأضحية الآدمية بالحيوانية





ترجمة النص: (دم بدم، حياة بحياة، روح بروح)

المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرتا قسنطينة، 06 / 12 / 2023.

الشكل رقم 18: شاهدة توضح التكوين الهرمي للكون المحفوظة في متحف باردو

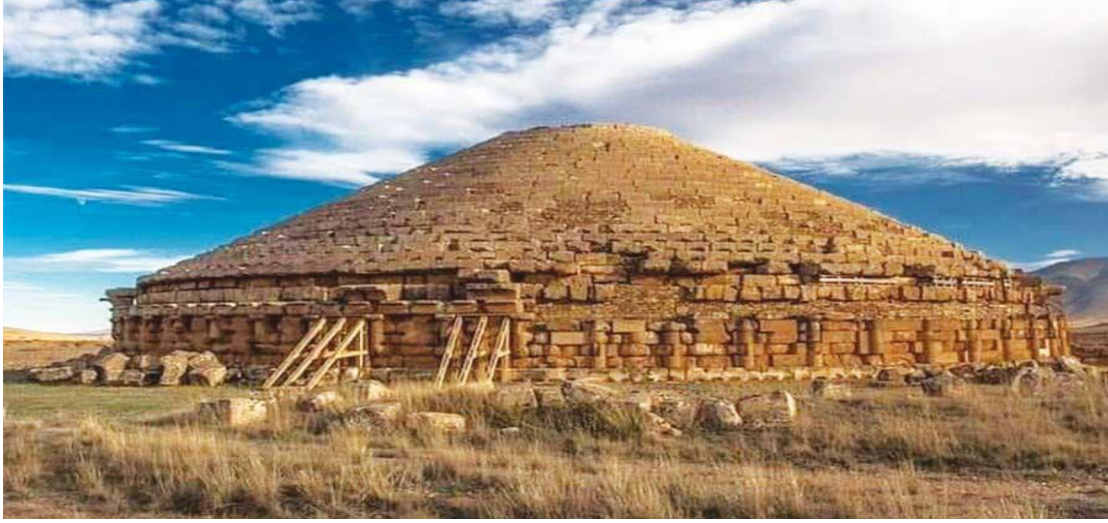
-حاليا-



المرجع:

- Slim (Hédi.), op-cit., p. 139.

الشكل رقم 19: ضريح مدغاسن بباتنة



المرجع: سفيان بوذراع، المرجع السابق، ص 145.

الشكل رقم 20: ضريح دوقة بمدينة دوقة -ليبيا حاليا-



المرجع:

- Slim (Hédi.), op-cit., p. 127.

الشكل رقم 21: صومعة الخروب بمدينة قسنطينة



المرجع: غابرييل كامبس، في أصول بلاد البربر...، ص 240.

الشكل رقم 22: ضريح صبراتة بمدينة صبراتة -ليبيا حاليا-



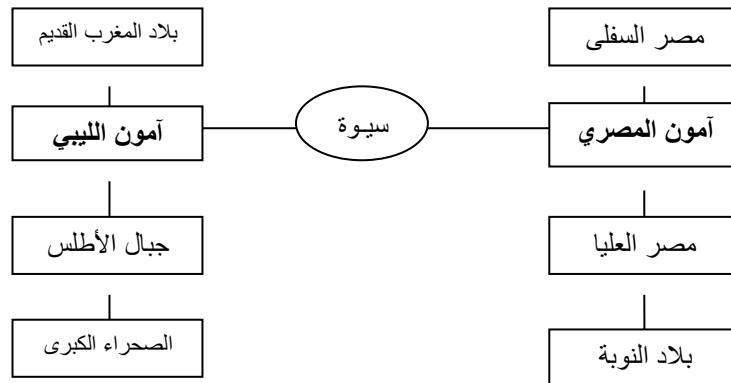
المرجع: محمد علي عيسى، مدينة صبراتة...، ص 27.

الشكل رقم 23: تمثال آمون المحفوظ في المتحف البريطاني -حاليا-



المرجع: مانفرد لوركر، المرجع السابق، ص 57.

الشكل رقم 24: مخطط مقارنة بين آمون المصري وآمون الليبي



المرجع: عبد المنعم المحجوب، عبدة آمون...، ص 08.

الشكل رقم 25: وسام فضي يظهر الإله "بوسيدون" إله البحر



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرا قسنطينة، 06 /12 /2023.

الشكل رقم 26: نصب يوضح رمز النخيل والعنب



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرا قسنطينة، 06 /12 /2023.

الشكل رقم 27: شكل أنثى ترفع ذراعيها في الدعاء والصلاة، وفي الجزء العلوي شكل هلال

وشمس



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرتا قسنطينة، 06 /12 /2023.

الشكل رقم 28: شكل أنثى رافعة يد، وتحمل في الأخرى الصولجان



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سيرتا قسنطينة، 06 /12 /2023.

الشكل رقم 29: نصب يوضح رموز الأشكال الهندسية للإلهة تانيت، ووجود اليد
يرمز للرعاية الإلهية



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سیرتا قسنطينة، 06 / 12 / 2023.

الشكل رقم 30: نصب يحمل صورة الإله بعل حمون يعلوه هلال منصوب على
القرص



المصدر: تصوير الباحثة المتحف العمومي الوطني سیرتا قسنطينة، 06 / 12 / 2023.

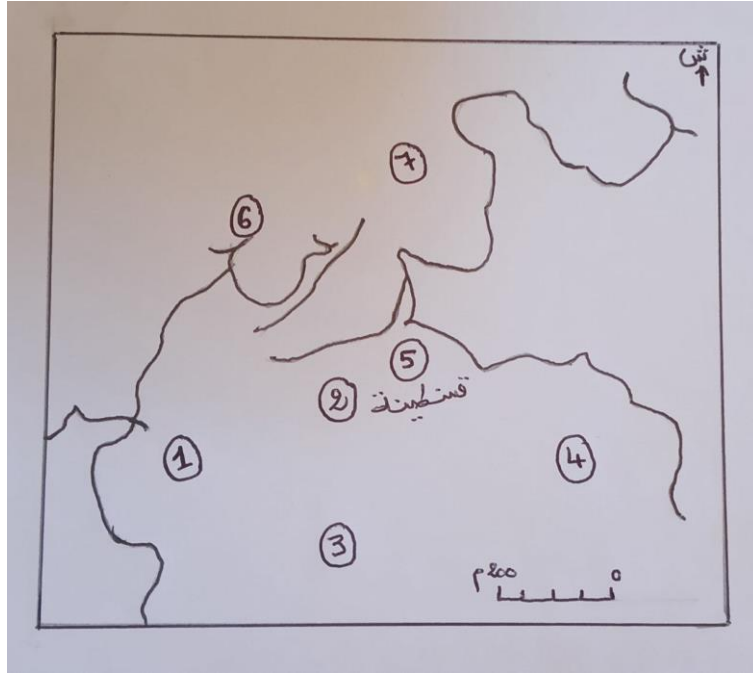
الشكل رقم 31: تمثال رعاية الآلهة المحفوظ في متحف باردو -حاليا-



المرجع:

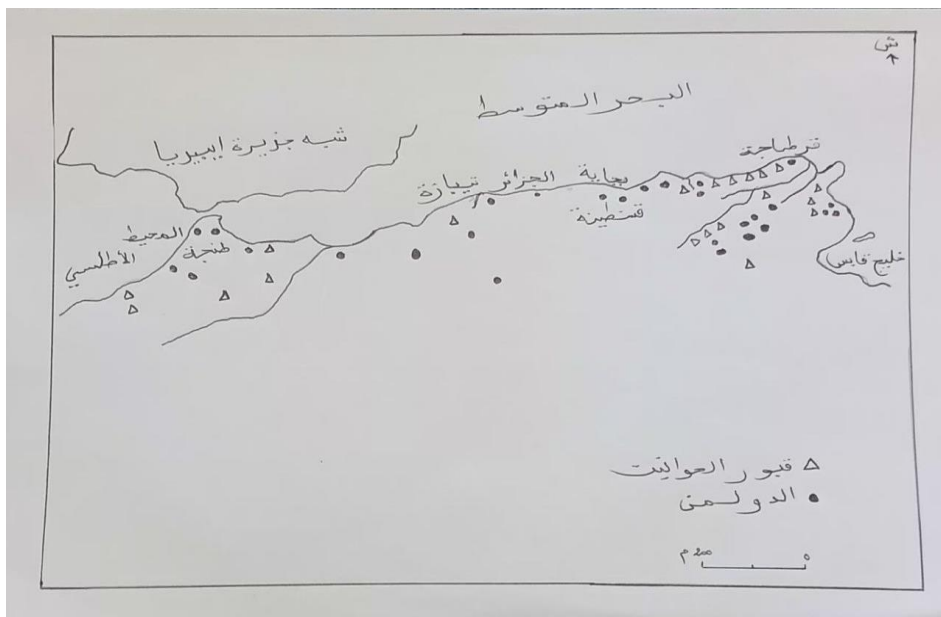
- Slim (Hédi.), op-cit., p. 101.

الخريطة رقم 03: مخطط المواقع الأثرية لمدينة سيرتا القديمة



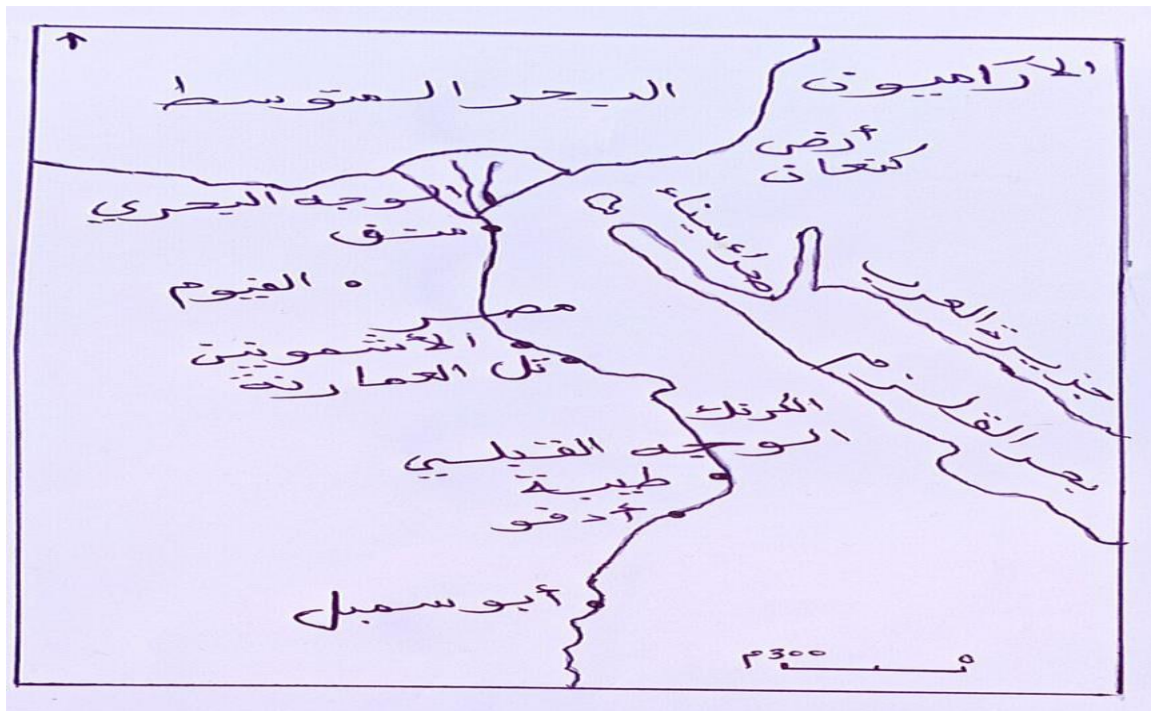
- 1- سيدي مسيد (موقع الصخر) 2- كدية عاتي 3- حي أمزيان (المقبرة المسيحية) 4- المنظر الجميل 5- معبد الحفرة 6- المنصورة 7- سيدي مبروك
- المصدر: إنجاز الباحثة نقلا عن محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 228.

الخريطة رقم 04: توضيح توزيع الحوانيت والدولمن في بلاد المغرب القديم



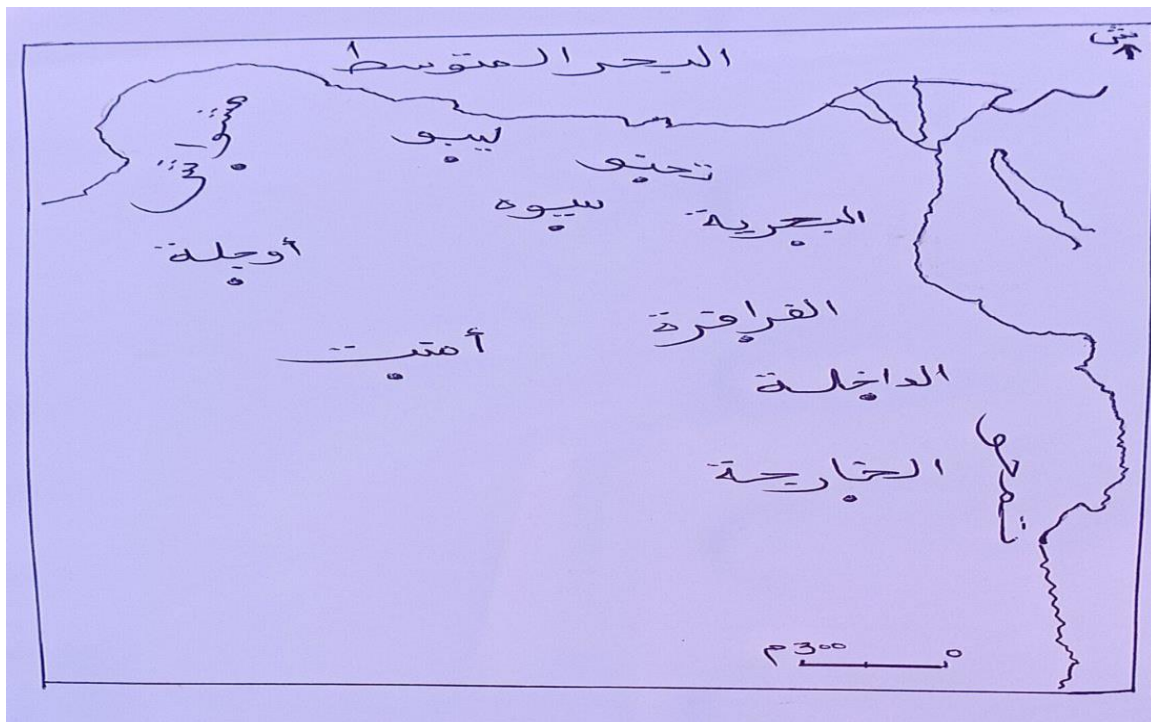
المصدر: إنجاز الباحثة نقلا عن محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 65.

الخريطة رقم 05: مصر القديمة



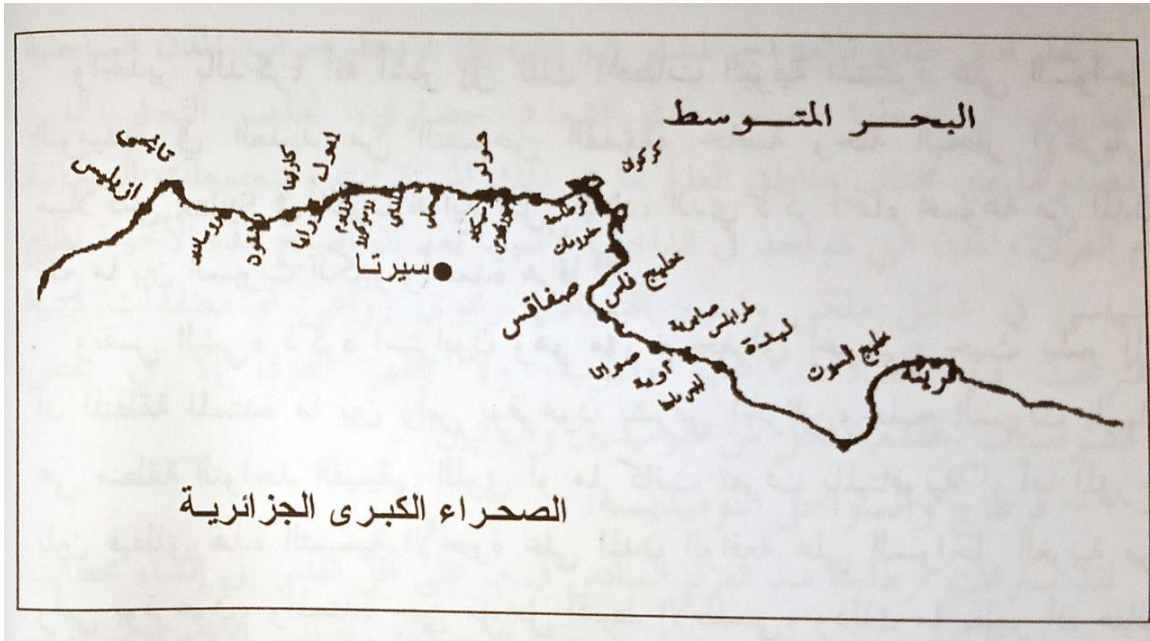
المصدر: إنجاز الباحثة.

الخريطة رقم 06: واحات مصر القديمة



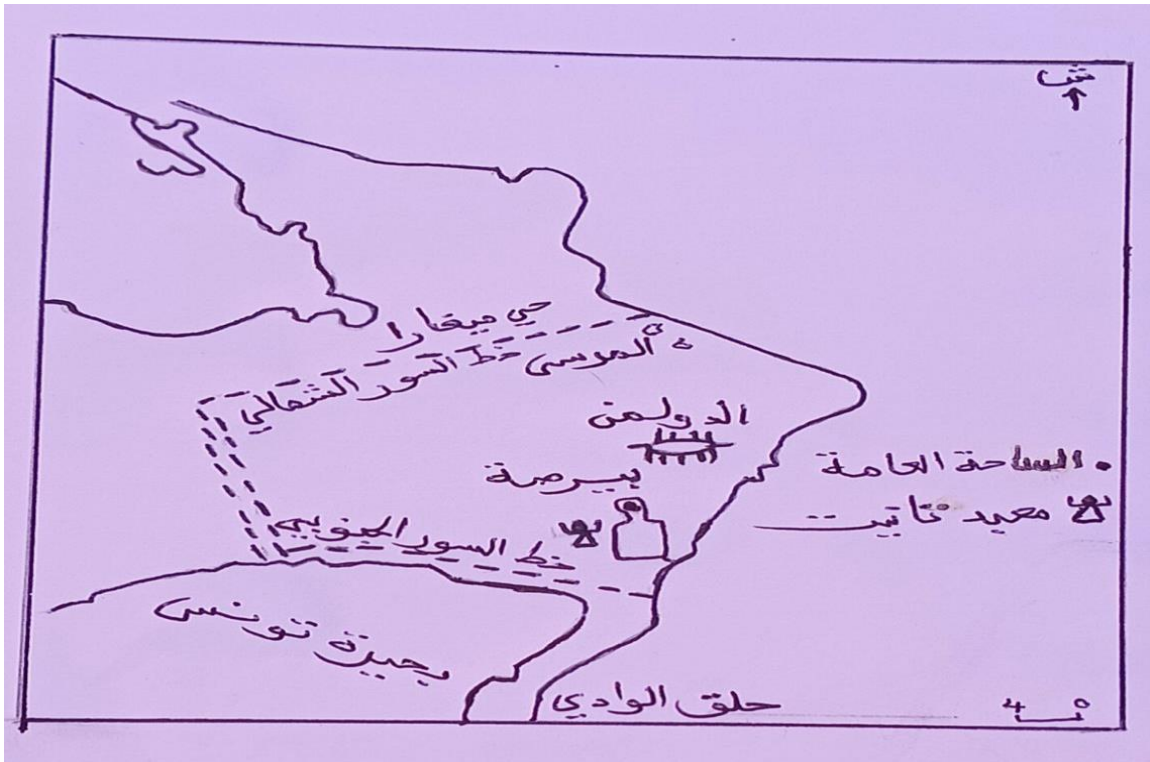
المصدر: إنجاز الباحثة.

الخريطة رقم 07: قرطاجة والمستوطنات الفينيقية



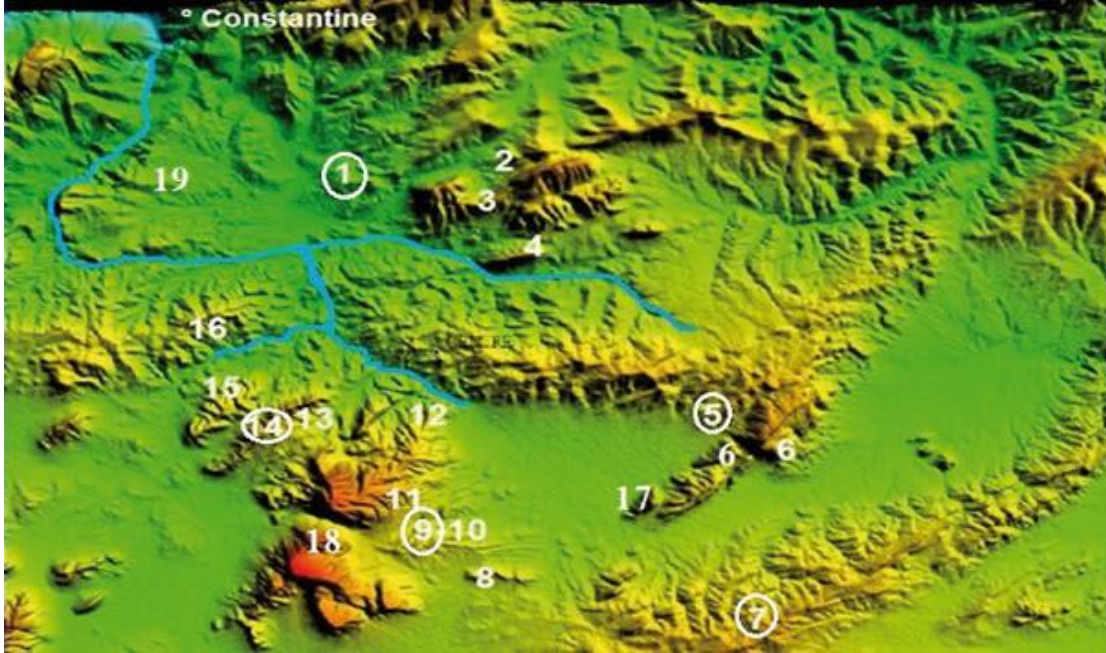
المرجع: محمد الصغير غانم، سيرتا النوميديّة...، ص 58.

الخريطة رقم 08: بقايا آثار مستوطنة قرطاجة



المصدر: إنجاز الباحثة نقلا عن محمد الصغير غانم، معالم التواجد...، ص 83.

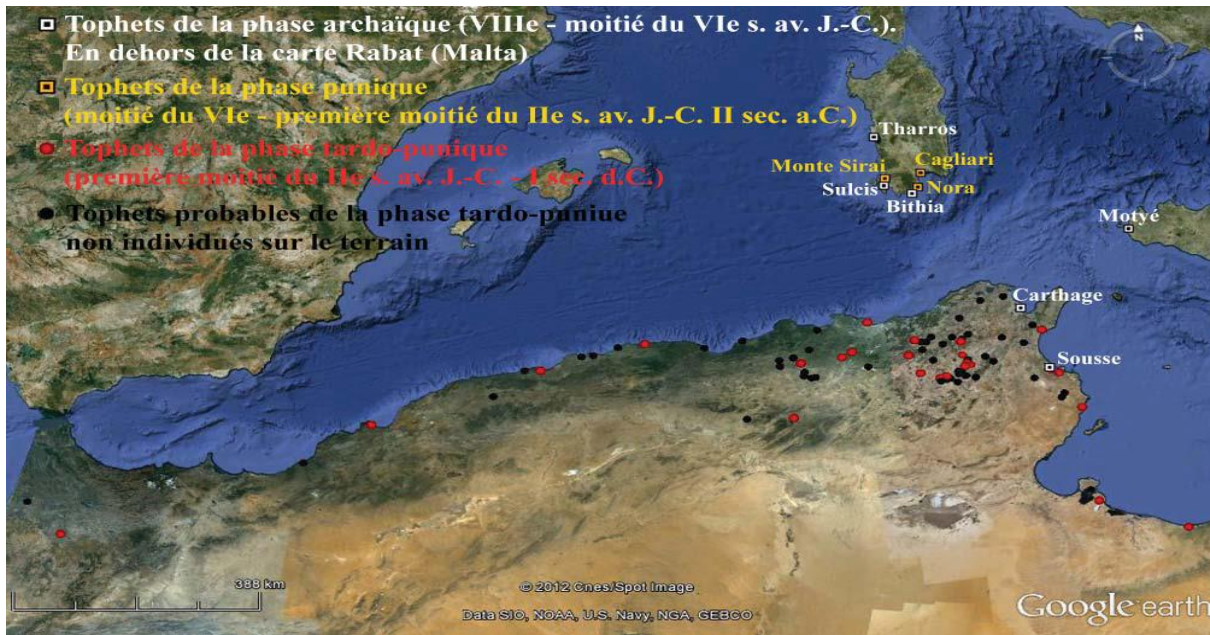
الخريطة رقم 09: انتشار المقابر الجنائزية بعدد من الأضرحة النوميديّة جنوب
قسنطينة



- 1-Soma 2- kasar mahidjiba 3- dj. M'cettas
4- dj. Mazela 5- tigungs 6- thenebreste 7- Chouf
8- loussalit 9- tirkabine 10- Draa bou toumi
11- bouchenn 12- sigus 13- sila 14- dj. Tissalia
15- ras l'ain boumerzoug 16- dj. Merah 17- dj. Fortas
ouled Aziz 18- dj. Guerioun 19- dj. Si tahar.

المرجع: مراد زرارقة، "الأضرحة النوميديّة ضمن المقابر الميغاليثيّة"، الملتقى الدولي
(نوميديا، ماسينيما والتاريخ)، العدد 02، قسنطينة، 14-15-16 ماي 2016، ص 13.

الخريطة رقم 10: توزيع التوفيت في بلاد المغرب القديم



المرجع:

- d'Andrea (Bruno.), Giardino (Sara.), op-cit., p. 1520.

الفهارس

فهرس الأماكن

الصفحة	المكان	الحرف
254-86-40.	الأطلس الصحراوي	أ
283-35.	الأغواط	
26.	إفرو	
283-35.	آفلو	
21.	أوروبا	
85.	الجزائر العاصمة	
381-283-87-35.	الجلفة	
-287-285-283-35-34.	الجنوب الوهراني	
304.		
20.	الحبشة	
404-256-252-83-56.	الخروب	
-106-104-51-20-19-07.	الصحراء الكبرى	
182-177-176.		
-151-107-65-39-35-34.	الطاسيلي	
287-157-153.		

29-37-85-89-90.		
29.	المغرب الأقصى	
39.	السيق	
101.	الشرق الأدنى	
37.	آسيا	
100-102-105-106-114-	الخارجة	
125-126-136-137-140-	النيل	
148-149-153-157-165-		
173-180-285-186-192-		
304.		
118-119-121-122-132-		
294-307-361.		
86-90-253.	الكرنك	
19.		
105-128-149.	الأوراس	
115-127-128-132-148-	الهلال الخصيب	
299.		

122.	الصحراء الغربية	
114-129-130-133-147.	آهناسيا	
101.		
37.	القاهرة	
311-313.	آبيدوس	
35-121-168-304-307-	آسيا	
314.	الخارجة	
171-173.	أوجلة	
21.	النوبة	
	السودان	
	الرتايمية	
27-106-123-180-304-	برقة	ب
311-313.		
19.	بلاد ما بين النهرين	

289-283-35.	بوعلام زناقة	
.22	بئر العاتر	
-317-316-315-51-48	بحيرة تريتون	
.318		
.21	تافورلت	ت
.297	تبسة	
-89-88-86-50-41-21	تونس	
-208-198-193-192-145		
.235-248-230-219		
.63-53		
.39	تيارت	
.240-158-89-53-44	تين هناكاتن	
.62	تيازة	
.266-239-50	تيفريت	
	تيديس	

ج	جبال الاطلس جبل الرعود جبل الفرطاس جبل بوقرنين جبل شطابة جبل طاية جرمة	19-24-254-106. 21. 27. 24-230. 27. 27. 169-170.
ح	حضر موت	233-239-243.
خ	خنقة بوحجار خليج قابس خليج سيرت	35-283. 43. 43-214-311.
د	دخلة زيتونة دوقة	27. 40-56-252-255.
ر	راس التنس	21.

41-191-197-233-243. 47-197-212-231-233- 256-332-340-341-342- 345. 60-102-284-312- 43. 26-46-68-85-203-248. 342-348. 142. 105-106-275-276-277- 278-282-284-289-290- 291.	سوسة سیرتا سیرت الكبرى سیرت الصغرى سیلا سلامبو سایس سیوة	س
5-10-18-19-38-41-51- 70-82-101-103-139- 146-151-177-195-196- 204-209-240-249-294. 50-156-239.	شمال افريقيا	ش

	شرشال	
ع	عين مترشم	.21
ف	فاس	.29
	فرنسا	.239
	فزان	-107-106-105-69-54-35 -285-169-168-161-151 .313
ق	قابس	.43-21
	قصر زكار	.35
	قفصة	.21
	قالمة	.26
ك	كهف الخراز	.26
	كهف تاسنعة	.35
	كهف غار جمعة	.27

13-32-37-38-39-41-52- 83-207-209-212-217- 219-223-231-233-336- 340. 28-40-208-335. 26-32. 29. 39-47-54. 20-21. 127-132-133-135 142-327. 252-253-254-378. 60-255.	معبد الحفرة مكثر منطقة القبائل منطقة ديمدي موريتانيا موقع القطار منف نقادة مدغاسن موريتانيا القيسرية	م
22. 21.	وادي الجبانة وادي العقريب	و

و	وادي المكاريت واحة اوجلة وادي النطرون	.21 .311-43 .64
ث	ثيموقادي	.47
ل	لمبيزي لبدة ليكسوس	.47 -234-220-219-214-191 .345-268-255 .196-194-158-156-50
ص	صيدا صبراتة صور صا الحجر	.348-298-232-217-213 -224-220-215-212-152 -257-252-247-246-233 .404-268-263-258 -327-247-212-211-209 .348-328 .327-142 -246-210-198-197-81

صقلية	344-378.	
ط	طيبة	106-116-119-120-131- 132-133-134-155-156- 175-176-178-184-287- 288-289-290-292-293- 300-301-302-303-305- 309-351.
هـ	هيرا كنبوليس	111-132-299-300.

فهرس القبائل والشعوب

الصفحة	الاسم	الحرف
18.	الاثيوبيون	أ
-81-77-53-48-37-20-18-13-10	الاغريق	
-187-159-154-145—101-100		
-211-200-199-198-197-195-191		
-269-268-267-253-247-241-215		
-380-360-327-320-312-291-276		
384.		
317-316.		
47.	الاولس	
37.	ايت بودولي	
37.	ايزاومار	
43.	ايمكارد ايزمار	
-120-113-112-111-109-108-100	البسولوي	
378-146-125.	التحنو	

114.		
-263-262-167-159-143-70-61-	التمحو	
387-313-282-267.	الجرمانت	
37.		
60-37-18.	جندافة	
61-42.	الجيتول	
308-292-141-105.	الجزانن	
-187-159-57-47-27-20-12-7-	دمنات	
-327-297-269-256-253-247-191-	الرومان	
360-351-333.		
133-124.		
42.		
285-24.	الريبو	
	الزواس	
-195-189-188-187-151-83-	الطوارق	
-221-219-214-208-201-200-	الفنيقيون	

-229-226-225-224-223-222		
-268-259-245-244-232-231		
.383-326		
.38	القوانتيون	
.37	الكيثولي	
	اللوبيون	
-100-77-66-63-57-54-38-25		
-117-116-113-112-111-110-103		
-124-123-122-121-120-119-118		
-138-137-136-133-129-127-126		
-268-223-148-147-145-140-139		
-304-303-302-298-294-289-286		
.385-369-367-365-361-321-308		
.100		
.317-316	ليهابيم	
-133-130-129-127-126-125-100	الماشلي	
.134	المشوش	

43.		
60-171-173-267.	الماكاي	
267-297-351-373.	المور	
27-146-257-259-260.	النوميد	
	اليونان	

فهرس الآلهة

الرقم	اسم الآلهة	الصفحة
أ	ارص	419-220.
	إزيس	.38
	آش	.147
	آشمون	.213
	أثينا	.319-318 -316-51
	آمون	-39-37-9-8-7-6-5-4
	آمون رع	-120-119-118-116-106
	انزار	-130-129-128-125-121
		-139-137-134-132-131
		-206-204-202-178-177
		-274-243-209-208-207
		-279-278-277-276-275
		-284-283-282-281-280
		-289-288-287-286-285
		-294-293-292-291-290
		-299-298-297-296-295
		-306-305-303-302-301

-311-310-309-308-307 -319-317-314-313-312 -353-351-349-348-321 -361-359-356-355-354 -378-377-373-370-363 .406-405-387-385-379		
.303-302-301-119		
.30		
.275-150-130	أوزوريس	
.39	ايزيس	
.46	باستوريانيس	
.154	بس	ب
.216-201	بعل ايدير	
-206-205-203-202-201 -233-223-217-209-208 -344-339-307-268-238 .400-399-355-345	بعل حامون بوسيدون	

406-321-320-319-317		
152-149	تحوت	ت
-24-14-9-8-7-6-5-4 -208-206-188-176-74 -230-217-214-213-209 -281-274-262-248-233 -321-320-318-316-315 -326-325-324-323-322 -331-330-329-328-327 -336-335-334-333-332 -342-341-339-338-337 -348-347-346-345-343 -354-352-351-350-349 -387-377-363-359-356 409-400	تنيت	
161	حابي	ح
-154-147-177-117-112 156-155	حتحور	

300-140-130-128.	حرف	
418-149.	حورس	
-150-145-144-143-141 380-352-213-155.	حورس	
312-300-299-37.	خنوم	خ
319.	داغون	د
239-220.	رشف	ر
306-155	رع	
-291-290-289-277-276 -327-319-318-316-296 379.	زيوس	ز
233-24.	ساتورنوس	س
419-156-140.	سبك	
147-141.	ست	
214-201.	شادرفا	ش
32.	عيشوشة	ع

غ	غزريل	.38
ك	كيماتيف	.280
ف	فرنانة	.32
م	ملقرت	-214-212-211-210-201 .226-223-220-219
ن	نت	.142
	نخبت	.127-119-111
	نيت	.109
هـ	هرقل	.258-215-211-199-190
	هيرا	.227

فهرس الأشخاص

الحرف	الاسم	الصفحة
أ	استرابون	411-39.
	ارنوب	40-31.
	الصقلي ديودور	-249-205-147-146-42-41
		365-343-342-284-277-250.
	الإسكندر المقدوني	312-311-133.
	ابن خلدون	368-253-52-51.
	آجاثوكليس	205-42-41.
ب	أوغسطين	26-25.
	بليين	48-46-43.
	بومبي	352-297-195-49-27.
	بنداروس	296-295-65.
ت	تيت ليف	56.
ح	حنون	246-241-199-198.
	حور عجا	110.

204-51.	حنبل	
198.	خميلكان	خ
329.	ديلاتر	د
-55-43-34-28=27-19-10-06 -85-79-78-77-76-74-62-58 -229--208-195-202-162-86 -326-321-288-264-261-255 338. 44. 112. 49. ساليون الاميلي	ستيفان جزال	س
365-49. -135-132-131-130-129-128 381. 132.	شيشرون شيشنق الأول شيشنق الثاني	ش
267-145-226-192-191.	عليسا	ع

غ	غلوسا	.55
ق	قمبیز	.291-290-282
ك	كامبس	-82-81-76-62-61-59-36 .373-316-257-253
م	ماسینیسا مینا مانیتون	-373-257-256-60-56-55-49 .416-387 .110 .128-118-112
ن	نعرمر	.110-109
ه	هملکار هیرودوت هیمصال	.348 -48-43-42-25-24-12-10-06 -77-66-64-61-54-53-51 -278-180-166-150-138-101 -315-291-290-289-284-282 .411-369-365-318-317 .55

326-188.	هاردن	
351-297-56.	يوبا الأول	ي
56.	يوبا الثاني	

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

01.....	مقدمة
	الفصل الأول: المعتقدات والطقوس الدينية لدى سكان بلاد المغرب القديم
17.....	تمهيد
23.....	أولاً: تقديس قوى الطبيعة والحيوانات والكواكب في بلاد المغرب القديم
23.....	1. عبادة قوى الطبيعة
23.....	1.1. الجبال والكهوف والمغارات
24.....	1.1.1. الجبال
25.....	1-1-2. الكهوف والمغارات
27.....	2.1. الحجارة
29.....	3.1. الأودية والينابيع
31.....	4.1. الأشجار
33.....	2. عبادة الحيوانات
34.....	1.2. الكباش
38.....	2.2. الثور
39.....	3.2. الأسد
40.....	4.2. السمك
41.....	5.2. القرودة
42.....	6.2. الثعابين
44.....	3. عبادة القوى الخفية والكواكب
45.....	1.3. الجن
47.....	2.3. الكواكب

47.....	1.2.3. الشمس
49.....	2.2.3. القمر
51.....	ثانياً: عبادة البشر والطقوس الدينية والجنائزية
51.....	1. عبادة البشر
52.....	1.1. الأسلاف
54.....	2.1. الملوك
56.....	2. الاعتقاد في الحياة الأخرى
58.....	3. الشعائر والطقوس الجنائزية
59.....	1.1.3. طلاء الجثث بالمغرة
61.....	2.1.3. حرق الجثة (الترميد)
61.....	1.2.1.3. الحرق الجزئي
61.....	2.2.1.3. الحرق الكلي
62.....	3.1.3. التحنيط
64.....	1.2.3. الطقوس الدينية
65.....	1.1.2.3. طقس القسم والنوم على قبور الأسلاف
66.....	2.1.2.3. القرابين
69.....	2.2.3. الطقوس السحرية الدينية
70.....	1.2.2.3. التمام والأقنعة
71.....	2.2.2.3. الوشم
72.....	4. طرق الدفن والأثاث الجنائزي
73.....	1.4. أنواع ووضعيات الدفن
74.....	1.1.4. دفن الجثة في التراب
74.....	2.1.3. وضعية الجلوس في دفن الجثة

76.....	3.1.4. الوضعية الممدودة
77.....	2.4. الأثاث الجنائزي
79.....	1.2.4. الفخار
79.....	1.1.2.4. فخار الدولاب الخزاف البسيط
80.....	2.1.2.4. الفخار النموذجي
81.....	2.2.4. الحلي
82.....	3.2.4. الأسلحة
82.....	5. المقابر والمدافن
83.....	1.5. المدافن الحجرية ذات الطابع البدائي
85.....	2.5. المدافن الحجرية المتطورة
86.....	1.2.5. قبور الدولمن
87.....	2.2.5. قبور الحوانيت
90.....	خلاصة الفصل
	الفصل الثاني: العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم ومصر
100.....	تمهيد
101.....	أولاً: صلات بلاد المغرب القديم بمصر
105.....	1. جذورها و عوامل قيامها
111.....	2. عهد الدولة القديمة (2780-2281 ق.م)
114.....	3. عهد الدولة الوسطى (2160-1567 ق.م)
116.....	4. عهد الدولة الحديثة (1567-950 ق.م)
126.....	5. فترة الحكم الليبي لمصر (950-332 ق.م)
136.....	ثانياً: التأثيرات الدينية المصرية على ديانة بلاد المغرب القديم وطقوسها
138.....	1. الآلهة الليبية وتقديسها في مصر القديمة

140.....	1.1. الإله ست (Sith)
141.....	2.1. الإلهة نت (Neith)
142.....	3.1. الإله حورس (Hors)
144.....	4.1. الإله أوزيريس (Osiris)
145.....	5.1. الإله أش (Ash)
146.....	6.1. الإله حرشف (Harishef)
148.....	2. الآلهة المصرية في بلاد المغرب القديم
148.....	1.2. الإلهة ايزيس (Isis)
150.....	2.2. الإله تحوت (Thoth)
152.....	3.2. الإله بس (Bes)
153.....	4.2. الإلهة حتحور (Hathor)
154.....	5.2. الإله التمساح (Sebek)
155.....	6.2. الإله الجعران (Scarab)
	3. مظاهر تأثير عقيدة ما بعد الموت المصرية القديمة في بلاد المغرب القديم
157.....	(العمارة الجنائزية أنموذج)
158.....	1.3. موائد القرايين وتطورها
159.....	1.1.3. طرق تشييدها وتطورها
160.....	2.1.3. أنواعها
162.....	2.3. شعائر الدفن والمقابر
162.....	1.2.3. شعائر الدفن والطقوس الجنائزية
162.....	1-1-2-3 الاحتفالات الدينية
163.....	2.1.2.3. توجيه الجثة نحو الشرق
164.....	2.2.3. تطور العمارة الجنائزية

165.....	1.1.2.2.3. المقابر دائرية أو بيضوية
167.....	2.1.2.2.3. المقابر المربعة أو المستطيلة
168.....	3.1.2.2.3. القبور الهرمية
172.....	2.2.2.3. الشواهد
175.....	3.2.2.3. المساند
178.....	خلاصة الفصل
	الفصل الثالث: العلاقات الدينية بين بلاد المغرب القديم وفينيقي
187.....	تمهيد
187.....	أولاً: التواجد الفينيقي في بلاد المغرب القديم
189.....	1. تأسيس قرطاجة
189.....	1.1. اختيار الموقع وأسباب بناء المدينة
190.....	2.1. أصل التسمية
191.....	3.1. ظروف وأسباب بناء المدينة الجديدة
192.....	4.1. اختيار الموقع وبداية التشييد
194.....	2. دور العلاقات الحضارية مع فينيقي في التأثير الديني
195.....	1.2. العلاقات من القرن التاسع ق.م إلى القرن الخامس ق.م
198.....	2.2. العلاقات بعد القرن الخامس ق.م إلى القرن الثاني ق.م
200.....	3. الآلهة الفينيقية والآلهة المحلية في بلاد المغرب القديم
202.....	1.3. بعل حامون (Ba 'al Hammon)
210.....	2.3. الإله ملقارت (Melkart)
213.....	3.3. الإله أشمون (Echmoun)
214.....	4.3. الإله شادرافا (Shadrafe)
215.....	5.3. الإله بعل إيدر (Baal Addir)

217	6.3. الإلهة عشتارت (Ashtarar).....
	ثانياً: مظاهر تأثير الآلهة والطقوس الدينية والجنائزية الفينيقية على بلاد المغرب القديم.....
220	2. العمارة والطقوس الدينية.....
224	1.2. المعابد.....
225	1.1.2. أماكن تواجدها.....
227	2.1.2. أقسام وأنواع المعابد.....
230	2.2. المجتمع الكهنوتي في بلاد المغرب القديم.....
235	1.2.2. الكهنة.....
235	2.2.2. العرافون.....
240	3.2.2. الأقنعة.....
241	3. الطقوس والاحتفالات الدينية.....
243	1.1.3. القرابين البشرية.....
244	2.1.3. القرابين الحيوانية.....
247	3.1.3. القرابين الغذائية.....
248	2.3. الاحتفالات الدينية في تقديم القرابين.....
248	4. العمارة والطقوس الجنائزية.....
250	1.4. الأضرحة.....
251	1.1.4. ضريح مدغاسن.....
252	2.1.4. ضريح دوقة.....
254	3.1.4. ضريح الملك ماسينيسا (صومعة الخروب).....
255	4.1.4. ضريح صبراته.....
256	2.4. المقابر والأثاث الجنائزي.....
258	

259.....	1.1.2.4. القبور البسيطة
260.....	2.1.2.4. القبور السردابية
262.....	2.2.4. الحرق
263.....	3.2.4. التحنيط
264.....	4.2.4. الأثاث الجنائزي
266.....	خلاصة الفصل

الفصل الرابع: الإله آمون والإلهة تانيت في بلاد المغرب القديم

(دراسة مقارنة من خلال المصادر التاريخية)

274.....	تمهيد
274.....	أولاً: آمون
275.....	1. أساطير الإله آمون
278.....	2. التسمية والأصل
278.....	1.2. التسمية
280.....	2.2. الأصل (أوجه التشابه والاختلاف بين الأصل الليبي والمصري القديم)
281.....	1.2.2. الأصل الليبي القديم
297.....	2.2.2. الأصل المصري القديم
306.....	3. أماكن عبادته ومعابده
314.....	ثانياً: الإلهة تانيت
314.....	1. أساطير الإلهة تانيت
321.....	2. التسمية والأصل
321.....	1.2. التسمية
324..	2.2. الأصل (أوجه التشابه والاختلاف بين الأصل الليبي والفينيقي القديم)

324.....	1.2.2. الأصل الليبي القديم
328.....	2.2.2. الأصل الفينيقي
333.....	3. رموزها ومدلولاتها
342.....	4. أماكن عبادتها ومعابدها
346.....	ثالثا: دراسة مقارنة بين آمون وتانيت في التأثير الديني
346.....	1. أوجه التشابه
346.....	2. أوجه الاختلاف
347.....	3. التكامل والتداخل
348.....	4. التأثير الديني في بعض المظاهر الحضارية
353.....	خلاصة الفصل
355.....	خاتمة
361.....	قائمة المصادر والمراجع
386.....	الملاحق
391.....	الفهرس

ملخص الأطروحة:

سلطت هذه الدراسة الضوء على المشهد الديني الغني والمعقد في بلاد المغرب القديم، الممتدة من غرب نهر النيل شرقاً إلى أعمدة هرقل غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً، في الفترة الزمنية الممتدة من العصر الحجري القديم الأوسط إلى سقوط قرطاجة (100.000 ق.م-146م) المتأثر بالثقافتين المصرية والفينيقية، التي ساهمت في تطور معتقدات وأساطير السكان الأصليين وطقوسهم جنباً إلى جنب مع هذه التأثيرات الخارجية، مما أدى إلى ظهور نسيج روحاني متعدد الأوجه فوجود الآلهة المصرية مثل آمون والآلهة الفينيقية مثل تانيت، إلى جانب الممارسات الدينية المرتبطة بها، يدل على التأثير العميق والدائم لهذه الحضارات في العادات والتقاليد الدينية للمنطقة، وتساهم هذه الدراسة المقارنة في فهم أعمق للتاريخ الديني للمنطقة، وتأكيد الترابط الذي حصل بين ثقافات البحر الأبيض المتوسط القديمة.

الكلمات المفتاحية: المغرب القديم، نهر النيل، معتقدات، أساطير، طقوس، مصر، فينيقيا، قرطاجة، آمون، تانيت.

summary:

This study shed light on the rich and complex religious landscape of the ancient Maghreb, stretching from the west of the Nile River in the east to the pillars of Hercules in the West, and from the Mediterranean Sea in the north to the Sahara Desert in the south, in the time period from the Middle Paleolithic to the fall of Carthage (100,000 BC.A.D.-146 ad), influenced by the Egyptian and Phoenician cultures, which contributed to the development of indigenous beliefs, myths and rituals along with these external influences, giving rise to a multifaceted spiritual Tapestry, the presence of Egyptian gods such as Amun and Phoenician gods such as Tanit, along with associated religious practices, demonstrates the deep and lasting influence of these This comparative study contributes to a deeper understanding of the religious history of the region, and confirms the interconnection that took place between the ancient Mediterranean cultures.

Keywords: ancient Morocco, Nile River, beliefs, legends, rituals, Egypt, Phoenicia, Carthage, Amun, Tanit.

تم بحمد الله